أعلام المسلمين
٦٣



الإمام الخطابي

المحدِّثُ الفقيهُ والأديبُ الشَّاعِرُ

الدكتور
أحمد عبد الله الباتلي

دار القلم
دمشق

أعلام المسلمين
٦٣



الإمام الخطابي
المحدّث الفقيه والأديب الشاعر

الدكتور
أحمد عبد الله الباتلي

دار القلم
دمشق


الإمام الخطابي
المحدث الفقيه والأديب الشاعر

الطبعة الأولى
١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

تطلب جميع كتبنا من:
دار القلم - دمشق: ص.ب: ٤٥٢٣ - ت: ٢٢٢٩١٧٧
الدار الشامية - بيروت - ت: ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦
ص.ب: ٦٥٠١ / ١١٣

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق
دار البشير - جدة: ٢١٤٦١ - ص.ب: ٢٨٩٥
ت: ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

هٰـذا الرَّجُـل

إمام فاضل، كبير الشأن، جليل القدر، صاحب التصانيف الحَسَنة.

الإمام السمعاني

كان بحراً في علم الحديث، وقيل في صفته: جُعِل الحديث لأبي سليمان كما جُعل الحديث لأبي سليمان ـ يعني داود عليه السلام ـ

الإمام الفخر الرازي

الإمام المجمع على إمامته وتَفَنُّنه في العلوم وإتقانه وإطلاعه وتحرّيه وإنصافه.

الإمام النووي

إمام متفق على علمه بالنقل وبالمعاني.

شيخ الإسلام ابـن تيميـة.

كان علامة محققاً، ثقةُ مثبتاً، من أوعية العلم.

الحافظ الذهبي

كان محدثاً، فقيهاً، أديباً، شاعراً، لغوياً، كان من الأئمة الأعيان.

ياقوت الحموي



إهـداء ووفـاء

مع خالص الدعاء وموفور الثناء . .

أهدي كتابي هذا لوالدي الكريم الأستاذ/ عبد الله بن حمد بن سليمان الباتلي تقديراً لأياديه البيضاء . . وغرته السمحاء، ووفاء لجهده المعطاء . . وتوجيهاته الغراء أقدمه ثمره من ثمار غرسه المبارك إن شاء الله تعالى ولسان حالي يقول : ـ

ولـو أن لـي فـي كـل مَنْبِـتِ شعـرةٍ
لسـانـاً يبـثُ الشكـرَ كنـتُ مقُصـراً

ابنك : أحمد





مقدّمة

حمداً لك اللهم على آلائك. وشكراً لك على نعمائك.

وصلاة وسلاماً على خاتم أنبيائك، وأفضل عبادك نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فلما كانت السنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي.

فهي روضة غَنَّاء، وواحة فيحاء، فقد تعاقبت الأجيال، وتتابع العلماء على خدمتها روايةً وتدويناً، وشرحاً وترتيباً.

ولا غرو فهي سُنَّة المصطفى ﷺ الذي أمرنا الله بطاعته فقال تعالى: **﴿وما آتاكمُ الرسول فخذوه، ومانهاكم عنه فانتهوا﴾**
وقوله جل وعلا: **﴿من يطعِ الرسولَ فقد أطاع الله﴾**

ومن هؤلاء العلماء الذين لهم يد طولى في خدمة السنة المشرفة الإمام أبو سليمان حَمْد بن محمد الخطّابي البُستي، المولود سنة (٣١٩) والمتوفى سنة (٣٨٨)هـ رحمه الله تعالى.

فقد عرف بين العلماء وطلاب العلم بشرحه الحافل لسنن أبي داود الذي سماه «معالم السنن»، وبكتابه القيم: «غريب الحديث»، وبسبقه لشرح «صحيح البخاري» في شرحه المطبوع بعنوان: «أعلام الحديث» فهو حامل راية الشروح الحديثيّة في عصره.

كما عرف رحمه الله بعنايته بالفقه وأصوله من خلال شروحه، كما يشار إليه بالبنان في علوم اللغة العربية لا سيما في شرح غريبها وإصلاح ما تصحَّف أو تحرَّف من عباراتها من خلال ماوهبه الله من مَلَكة أدبية وقريحة شعرية. فشخصيتُه العلمية متعدِّدة الجوانب في مختلف العلوم.

لذا لما كان بتلك المنزلة العلمية فقد كان البحث فيه هو موضوع رسالتي في مرحلة التخصُّص «الماجستير» في قسم السنة وعلومها بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض وقد حصلت عليها بحمد الله تعالى بتقدير «ممتاز» وكانت بعنوان «الإمام الخطابي، وآثاره الحديثية ومنهجه فيها» وقد تمَّت مناقشتها مساء يوم الثلاثاء ١٢/ ١١/ ١٤١٠هـ.

وتكونت لجنة المناقشة من أصحاب الفضيلة:

د. أحمد معبد عبد الكريم الأستاذ المشارك بقسم السنة وعلومها بكلية اصول الدين بالرياض مشرفاً ومعالي د. أبو لبابة الطاهر حسين، رئيس جامعة الزيتونة، والأستاذ بقسم السنة وعلومها بكلية أصول الدين بالرياض ـ سابقاً ـ عضواً ود. محمد

بن عبد الله آل فهيد، عميد كلية أصول الدين بالرياض. شكر الله لهم ما لقيتُه من ثنائهم وتقديرهم، ونفعني الله بما استفدته من ملحوظاتهم وتوجيهاتهم السديدة.

واستجابة لرغبة كثير من مشايخي النُبلاء وإخواني الفضلاء في نشر الرسالة؛ ليتيسَّر الانتفاع بها لدى طلاب العلم لا سيما وأنه ـ حسب علمي ـ لم يطبع كتاب مستقل يتناول حياة الإمام الخطابي بتوسُّع، مع التعريف بكافة مؤلفاته وبسط القول في بيان منهجه في المطبوع منها.

فرأيت القيام بذلك رغم قلَّة زادي، وَقِصَر باعي في مجال التأليف. ولما رأيت أنَّ الرسالة قد طبعت على الآلة الكاتبة فبلغت ألفاً ومائتي ورقة ١٢٠٠ تماماً. وجدت أنَّ هذا العدد قد يصدُّ البعض عن قراءتها نظراً لطولها. فعملت على اختصارها اختصاراً مناسباً يفي بالمقصود دون إطالة، فحذفت ما رأيت أنه استطراد، وجمعت الموضوعات المتقاربة في باب واحد، واختصرت بعض المباحث، وأوجزت العزو في كثير مما توسَّعت في تخريجه من الأحاديث والآثار، واقتصرت على إحالة القارىء المبتغي التوسُّع والاستزادة على أرقام صفحات المواضع التي لم أذكرها. فجاء هذا الكتاب امتداداً لسلسلة أعلام المسلمين رقم «٦٣» الذي اسأل الله عز وجل أن يكون تأليفه خالصاً لوجهه الكريم ويرزقه حسن القبول، فينال استحسان وثناء كل من قرأه أو اطَّلع عليه إنه سميع مجيب.

ويعلم الله أنني حَرَصت كثيراً على الوفاء بكافة متطلبات الكتاب بالترجمة الشاملة لحياة الإمام الخطابي من كافة ما وقفت عليه من مصادر. ثم التعريف بكل ما وقفت عليه من مؤلفات منسوبة للخطابي، والتوثُّق من ذلك، ومراسلة مختلف المكتبات العالمية التي في خزائنها شيء من مؤلفاته مع التعريف الدقيق بمؤلفاته المطبوعة في علوم القرآن والسنة وعلومها، والفقه، واللغة والأدب والزهد والسلوك. والتوسُّع في بيان منهجه فيها من جميع جوانبه في مختلف فنون المعرفة وآرائه في جميع الأبواب، مع التركيز على الموضوعات المتعلّقة بالسنة وعلومها. فمؤلفاته متميِّزة بالأصَالَة والغَزَارة العلمية، والفوائد الحديثية والفقهية واللغوية.

وأجدها فرصة مناسبة لحثِّ الباحثين وطلاب العلم على العناية بتراجم العلماء، وضرورة الإقبال على قراءة مؤلفاتهم، والاستفادة من آرائهم في مختلف كنوز المعرفة وروافد الحضارة. فندعوا لهم جزاء ما صبروا وصابروا حتى جمعوا لنا هذا العلم العظيم، والتراث الكريم.

كما أعتذر عما يقع من أخطاء وملاحظات، وعذري في ذلك بشريتي الضعيفة كما قال الإمام الخطَّابي في خاتمة مقدمته «لغريب الحديث»: «وكل من عَثَرَ منه على حرف أو معنى يجب تغييره، فنحنُ نناشدُهُ الله في إصلاحه، وأداء حق النصيحة فيه؛ فإنَّ

الإنسان ضعيفٌ لا يَسْلَم من الخطأ إلا أن يعصمه الله بتوفيقه».
ولا شك أنَّ الناقد بصير كما قال إبراهيم بن العباس الصولي:
«المتصفِّح للكتاب أبصر بمواقع الخلل فيه من مُنشئه».

وختاماً: أحمد الله وأشكره على سائر نعمه فهو الكريم الوهاب سبحانه. ثم أشكر كل يد ساعدتني، وكل عين سهرت معي. سدَّد الله على طريق الخير خطانا ووفقنا لنَيْل العلم النافع والعمل الصالح وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتبــه

أحمد عبد الله الباتلي

الرياض في ١٥/ ١٢/ ١٤١١هـ

● ● ●



الفصل الأول

حيـــاة الإمام الخطابي

☆ ١ ـ اسمه

☆ ٢ ـ نسبه

☆ ٣ ـ نسبته

☆ ٤ ـ كنيته

☆ ٥ ـ مولده

☆ ٦ ـ نشأته وأخلاقه

☆ ٧ ـ مهنته وأعماله

☆ ٨ ـ وفاته ومراثيه

١ ـ اسمـه:

اختلفت أقوال العلماء المترجمين للإمام الخطَّابي في تحديد اسمه على قولين:

١ ـ القول الأول: أنَّ اسمه أَحمد ـ بإثبات الهمزة.

٢ ـ القول الثاني: أنَّ اسمه حَمْد ـ بفتح الحاء المهملة وسكون الميم[١].

وقال بالقول الأول عددٌ من العلماء حيث سموه «أحمد» ومن هؤلاء: الإمام أبو عُبَيْد الهَرَوى[٢]، حيث حدَّث عنه في كتاب «الغريبين» فقال: أحمد بن محمد الخطَّابي ولم يكنه. . ، والإمام أبو منصور الثعالبي[٣]، والإمام القِفْطبي[٤]، والصَّفَدى[٥]، وابن تغري بَردي[٦]و وياقوت الحموي[٧] في الموضع الأول من ترجمته للخطَّابي في «معجم الأدباء»، أما في الموضع الثاني فوافق

(١) الإكمال لابن ماكولا ٢ : ٥٤١ والمشتبه في الرجال أسمائهم وأنسابهم ١ : ٢٤٨.
(٢) نسب له هذا القول الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ١٧ : ٢٥.
(٣) يتيمة الدهر ٤ : ٣٣٤.
(٤) انباه الرواه ١ : ١٢٥ رقم ٦٣.
(٥) الوافي بالوفيات ٧ : ٣١٧ رقم ٣٣٠١.
(٦) النجوم الزاهرة ٤ : ١٩٩.
(٧) معجم البلدان عند الحديث عن مدينة بست ١ : ٤١٥ ومعجم الأدباء ٤ : ٢٤٦.

الجمهور، ونقل ابن خِلِّكان[1] أنه سمع في اسم أبي سليمان «أحمد» لكنه رجَّح القول الثاني.

وذكر ابن كثير[2] أنه يقال فيه «أحمد» بعد أن ذكر أن اسمه حَمْد. وسمَّاه الذهبي[3] أحمد في كتاب «دول الإسلام» لكنه رجَّح القول الثاني في كتبه الأخرى التي سيرد ذكرها قريباً بإذن الله تعالى.

واحتج القائلون بهذا القول بدليلين:

١ ـ أنَّ الخطابي قد رضى بأن يُسمىٰ «أحمد» ولم ينكر على من سمَّاه بذلك ويدل على ذلك ما ذكره أبو سعد السمعاني في «كتاب مرو» قال: وسُئِل أبو سليمان عن اسمه فقال: اسمى الذي سُمِّيت به حَمْد، ولكن الناس كتبوه أحمد فتركته عليه[4].

٢ ـ قال ياقوت: إنَّ الثعالبي ـ وكان صديقه ـ وأبا عبيد الهَروي وكان تلميذُه ـ سمّياه احمد[5]. أهـ

قلت: فهذا يفيد أنهما أدرى باسمه من غيرهما.

---

(١) وفيات الأعيان ٢ : ٢١٥ رقم ٢٠٧.
(٢) البداية والنهاية ١١ : ٣٢٤.
(٣) دول الإسلام ١ : ٢٣٤.
(٤) معجم الأدباء ٤ : ٢٤٦ والوافي بالوفيات ٧ : ٣١٧.
(٥) معجم الأدباء ٤ : ٢٤٦ والوافي بالوفيات ٧ : ٣١٧.

أما القول الثاني وهو أن اسمه «حَمْد»:

فلقد قال به جمعٌ كثير ممن ترجموا للإمام الخطَّابي، ومنهم حسب ما وقفت عليه:

الإمام السَمْعاني[1]، وابنُ الجَوزْي[2]، وياقوت الحَمَوي[3]، في الموضع الثاني من ترجمته للخطَّابي، والنَووي[4]، وابن خِلِّكان[5]، والذهبي[6]، والوادي آشي[7]، وابن السُبكي[8] وابن كثير[9] والإِسْنَوي[10] وابن خَطيب الدَّهشة[11]، والعراقي[12]،

---

(١) الأنساب ٢ : ٢٢٦ رقم ٤٩٨ و٥ : ١٥٨ رقم ١٤٢٥.

(٢) المنتظم ٦ : ٣٩٧.

(٣) معجم الأدباء ١٠ : ٢٦٨ رقم ٣٥.

(٤) طبقات الشافعية للنووي، مخطوط بدار الكتب المصرية كما أشار إلى ذلك برهان الدين الداغستاني في مجلة الرسالة عدد ٩٨ـ ص ٨٢٢، وانظر «التبيان في آداب حملة القرآن»ـ ص١٦٤.

(٥) وفيات الأعيان ٢ : ٢١٥.

(٦) سير أعلام النبلاء ١٧ : ٢٥ و٢٦، تذكرة الحفاظ ٣ : ١٠١٩، والعبر ٢ : ١٧٤، وتاريخ الإسلام ٤ : ١٥٦.

(٧) برنامج الوادي آشي ـ ص٢١٦.

(٨) طبقات الشافعية الكبرى ٣ : ٢٨٢ رقم ١٨١.

(٩) البداية والنهاية ١١ : ٣٢٤.

(١٠) طبقات الشافعية ـ ص ٤٦٧.

(١١) تحفة ذوي الأرب ـ ص ١٥٤.

(١٢) شرح ألفية العراقي ١ : ٨٤ وطرح التثريب ١ : ٤٤.

والفَيْرُوز آبادي[١]، والسَّخاوي[٢]، والقاضي زكريا الأنصاري[٣] وابن العماد الحنبلي[٤]، وعبد القادر البَغدادي[٥].

والظاهر ـ والله أعلم ـ أنَّ هذا القول هو الراجح. . ومما يدل على رجحانه مايلي:

١ ـ تصريح الإمام الخطَّابي أن اسمه «حَمْد».

وذلك فيما نقله ابن خِلِّكان[٦] عن الإمام الحاكم، قال سألت أبا القاسم المظفر بن طاهر بن محمد البُسْتي الفقيه عن اسم أبي سليمان الخطابي، أحمد أو حَمْد؟ فإنَّ بعض الناس يقول أحمد؟

فقال سمعته يقول: اسمى الذي سُمِّيت به حَمْد، لكن الناس كتبوا أحمد فتركته عليه. أهـ.

٢ ـ نصَّ عدد من العلماء المحققين على أن الراجح في اسمه أنه «حَمْد» وحكموا بأنَّه الصواب وغيره هو الوهم.

ومن ذلك ما نقله الصَّفَدي[٧] عن الإمام السِّلَفي أنه قال: ذكر

---

(١) البلغة ١ : ٩٤.
(٢) فتح المغيث ١ : ١٢١.
(٣) فتح الباقي ١ : ٨٥.
(٤) شذرات الذهب ٣ : ١٢٧.
(٥) خزانة الأدب ٢ : ١٢٣.
(٦) وفيات الأعيان ٢ : ٢١٥.
(٧) الوافى بالوفيات ٧ : ٣١٧.

الجمُّ الغفير، والعدد الكثير أنَّ اسمه «حَمْد» وهو الصواب، وعليه الاعتماد.

وقال الذهبي[1]، ووهم أبو منصور الثعالبي في «اليتيمة» حيث سماه «أحمد بن محمد».

وقال ابن خلكان[2]: وقد سمع في اسم سليمان «حَمْد» المذكور «أحمد» أيضاً بإثبات الهمزة. والصحيح الأول «يعني حمداً».

وقال السَّخَاوي[3]: وَوَهِم من سماه أحمد.

وقال السيوطي[4]: وَوَهِم من سماه أحمد.

قال العلامة الكَتَّابي[5]: وسمَّاه بعضهم «أحمد» بعضهم «أحمد» هو غلطْ.

ضبطُ اِسمـه:

بعد أن ترجَّح أن اسم الخطابي «حمد» أود الإشارة إلى ضبط هذا الاسم حيث اختلف فيه على قولين:

١ ـ أنه بفتح الحاء والميم «حَمَد».

---

(١) تذكرة الحفاظ ٣ : ١٠١٩.
(٢) وفيات الأعيان ٢ : ٢١٥.
(٣) فتح المغيث ١ : ١٢١.
(٤) طبقات الحفاظ ـ ص٤٠٤.
(٥) الرسالة المستطرفة ـ ص٤٤.

وبه قال الإمام الصَّنْعاني[1] عند كلامه على أقسام الحديث فقال: «قَسَّمَه الخطَّابي» هو الحافظ حَمَد بفتح الميم بغير همزة. ولم أجد من ضبطه ضبط حرف على هذا النحو سوى الإمام الصَّنْعاني رحمه الله.

٢ ـ القول الثاني أنه بفتح الحاء وسكون الميم «حَمْد» وممن ضبطه من هؤلاء ضبط حرف؛ الإمام النَووي[2]، والإِسْنَوي[3] وابن قاضي شُهْبَة[4]، والمتبولي[5] والكَتَّاني[6].

وهذا القول هو الراجح لأنه الذي نَصَّت عليه كتب ضبط الأسماء كالإكمال[7]، «والمشتبه في الرجال»[8]، و«تبصير المُنْتبه»[9] وغيرها. ولكثرة عدد القائلين به من العلماء؛ فهو قول جمهور العلماء.

---

(١) توضيح الأفكار ١/٧.
(٢) طبقات الشافعية للنووي نقلاً عن مجلة الرسالة عدد ٩٨ ـص ـ٨٢٢.
(٣) طبقات الشافعية ت ص ٤٦٧.
(٤) طبقات الشافعية ١/١٥٦ رقم ١١٦.
(٥) شرح الجامع الصغير للمبتولي نقلاً عن «شذرات الذهب» ٣ : ١٢٧.
(٦) الرسالة المستطرفة ـ ص٤٤.
(٧) الاكمال ٢/٥٤١.
(٨) المشتبه ١:٢٤٨.
(٩) تبصير المنتبه ١/ ٤٦٠.

٢ ـ نَسبُـه :

هو حَمْد بنُ محُمد بنُ إبراهيم بن خَطّابْ. . هكذا بالاتفاق لدى كافة من ترجموا له، ولم أجد من خالف في سَرْد نسبه هكذا سوى الإمام ابن كثير حيث ترجم له في موضعين من «البداية النهاية»[١].

فذكر نسبه في الترجمة الأولى: حمد بن إبراهيم بن خطاب[٢] بإسقاط اسم والده محمد. . أما في الترجمة الثانية فلقد ساق نسبه حسب سياق الجمهور[٣]، ولعل السقط من خطأ النَّسخ، أو الطباعة لأنه في هذا الموضع ناقل من ابن الجَوْزي في «المنتظم»[٤]، ولم يقع هذا السَّقْط عند ابن الجَوْزي، وكذلك خالف الإمام ابن العِماد الحنبلي[٥] حيث ذكر أنه حَمْد ابن إبراهيم بن خطَّاب بإسقاط اسم والده محمد ـ رحمه الله ـ ولعل هذا أيضاً من خطأ بعض النسَّاخ أو سقط طباعة.

وكافة من رجعت إلى مؤلفاتهم في ترجمته يقفون بنسبه عند جده خطَّاب، ولم أجد من زاد على ذلك سوى الإمام الصَّاغاني[٦]

---

(١) البداية والنهاية ـ ج ١١ ـ ص٢٣٦ و٣٢٤.
(٢) البداية والنهاية ـ ١١ : ٢٣٦.
(٣) البداية والنهاية ـ ١١ : ٣٢٤.
(٤) المنتظم ٦ : ٣٩٧ رقم ٦٧٢.
(٥) شذرات الذهب ٣: ١٢٧.
(٦) العباب الزاخر واللباب «نسخة ميمن» الفصل الثاني ١/٧ المقدمة.

ت ـ ٦٥٠هـ، فحينما سَرَدَ اسم الخطابي قال: حَمْد بن محمد بن إبراهيم بن الخَطّاب بن طَهْمان بن عَبد الرحمن بن أَنبوي هَزارَ بَنْدة الخطابي النَّيْسابوري المتوفى سنة ٣٨٨هـ. أهـ

٣ ـ كنيتــه:

كُنِّي ـ رحمه الله ـ بأبي سُليمان، واتَّفَقَت كل المصادر ـ التي رجعت إليها ـ على تَكْنِيَتِه بذلك، فلم أَجد من كَنَّاه بغيرها ـ اللهم إلا فيما ذكره الإمامُ الإسْنَوي[١]، فلقد كنَّاه بأبي سَلْمَان ـ بدون ياء ـ ولعل هذا خطأ مطبعي سقطت منه الياء طباعة.

٤ ـ نسبتــه:

عُرِفَ ـ رحمه الله ـ بنسبين هما: الخَطّابِي، والبُسْتي.

أ ـ فالخطّابِي: بفتح الخاء المنقوطة وتشديد الطاء المهملة، وكسر الباء الموحدة[٢].

واختلف في سبب هذه التسمية على أربعة أقوال:

١ ـ منهم من نسبه إلى زيد بن الخَطّاب ـ رضي الله عنه ـ أخي الخليفة أمير المؤمنين عُمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ جازماً بذلك كالإمام الصَّفَدي[٣]، وياقوت الحَمَوي[٤]، وإسماعيل

---

(١) طبقات الشافعية للإسنوي ـ ١: ٤٦٧ رقم ٤٢٠.
(٢) الأنساب للسمعاني ٥: ١٥٨ واللباب لابن الإثير ١ : ٤٥٢.
(٣) الوافي بالوفيات ٧: ٣١٧.
(٤) معجم الإدباء لياقوت الحموي ١٠ :٢٦٨، ٢٤٦/٤.

البغدادي[1]، منهم من لم يجزم بذلك وهو الإمام ابن خِلِّكان[2] حيث قال: «وقيل إنه من ذريَّة زيد بن الخطاب - رضي الله عنه - فَنُسِبَ إليه.

وكذلك الإمام ابن قاضي شهبه[3] حيث قال: قيل إنه من ولد زيد بن الخطاب بن نُفيل العدوي.

وقد قال الإمام السُّبْكي[4]: إنه من سلالة ولد زيد بن الخطاب. . ولم يثبت ذلك.

وممن لم يثبت ذلك أيضاً الإمام الذهبي[5] فيما نقله عنه ابن قاضي شهبه أنه قال: ولم يثبت.

٢ - ومنهم من نسبه إلى الخطاب (والد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه) قال السَّمعاني[6] في ترجمة إسحاق بن زيد بن الخطاب: يُنسب إلى والد عمر بن الخطَّاب - رضي الله عنه -، ثم عطف عليه بعد ذلك أبا حفص الفاروق بن عبد الكبير الخَطَّابي، ثم أبا سليمان الخطابي فكأنَّه يشير إلى أنَّه يُنْسَب إلى والد عمر بن الخطاب.

---

(١) خزانة الأدب ٢: ١٢٣.
(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/ ٢١٥.
(٣) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبه - ص١٥٦.
(٤) طبقات الشافعية الكبرى للإمام السبكي ٣/ ٢٨٢.
(٥) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبه - ص١٥٦.
(٦) الانساب ٥/ ١٥٨.

٣ ـ ومنهم من نسبه إلى جده الخطاب.

قال الإمام عز الدين ابن الأثير: وأما أبو سليمان حَمْد بن محمد بن إبراهيم بن الخَطّاب الخَطَّابي البُستِي فَنُسبَ إلى جده[١]. أهـ وقال ابن خِلِّكان: الخطَّابي نسبة إلى جده الخطَّاب[٢].

وقال القاضي زكريا بن محمد الأنصاري: المشهور بالخطَّابي نسبة إلى جد أبيه[٣].

وقال الإمام النَووي: الخطَّابي: الإمام المنسوب إلى جد من أجداده اسمه الخطاب[٤].

٤ ـ ومنهم من تردَّد في نسبته فلم يجزم فيها باسم محدد.

ومن هؤلاء الإمام السمعاني حيث قال: ـ الخطَّابي ـ منهم من نسبه إلى عمر بن الخطاب، وإلى أخيه زيد بن الخطاب ـ رضي الله عنهما[٥]. وكذا الإمام العراقي[٦] تردد في نسبته إمّا إلى: جده الخطَّاب، أو للخطَّاب والد عمر بن الخطاب، أو إلى زيد بن الخطَّاب. ومنهم عباس القُمِّي حيث قال: الخطابي نسبة إلى جده

---

(١) اللباب في تهذيب الانساب ١:٤٥١.

(٢) وفيات الاعيان ٢: . ٢١٥

(٣) فتح الباقي ١ : ٨٥.

(٤) الترخيص بالقيام لذوي الفضل والمزية في الإسلام للنووي ـ ص٨٠ والتبيان في آداب حملة القرآن ـ ص١٦٤.

(٥) الانساب ٥ : ١٥٨.

(٦) طرح التثريب ١/ ٤٤.

الخطَّاب المذكور، او إلى الخطاب والد عمر بن الخطاب[1]، وقال ابن خطيب الدَّهشة: الخطَّابي نسبة إلى عمر بن الخطاب وإلى ابنة زيد ـ رضي الله عنهما[2].

قال العلامة الكتَّاني: الخطَّابي: نسبة إلى جده خطَّاب المذكور، ويقال: إنه من نَسْل زيد بن الخطاب أخي عمر بن الخطاب[3] أهـ.

هذا وتعتبر نسبة «الخطَّابي» هذه أشهر ما عرف به الإمام الخطابي، وعندما تُطْلق في كلام المحدِّثين يكون هو المراد بها، ولذلك اعتمدتها في عنوان كتابي هذا.

ب ـ **والبُسْتي**: نسبة إلى مدينة «بُسْت» وهي: بضم الباء المعجمة وسكون السين[4]

قال ياقوت الحموي: مدينة بين سجستان وغزنين وهراة ثم قال: وأظنها من أَعمال كابل[5]؟

وقال السمعاني: هي من بلاد كابل بين هراة وغزنة[6].

---

(١) الكنى والألقاب ٢/٢٠٧.
(٢) تحفة ذوي الأرب ـ ص١٥٤، ولعل في قوله: ابنه وهم، فالصحيح أنه أخوه.
(٣) الرسالة المستطرفة ـ ص ٤٤.
(٤) الانساب ١ : ٢٠٨.
(٥) معجم البلدان ١ : ٤١٥.
(٦) الأنساب للسمعاني ٢ : ٢٠٨.

وقال الفيروز آبادي: إنها بلد بسِجستان[1].

وقال الذهبي عنها: بلدٌ كبير من بلاد الغور بطرف خراسان بين هراة وغزنة[2]، ويحدِّدها الجغرافيون المعاصرون[3] بأنها مدينة في غرب أفغانستان ـ حالياً ـ وتقع بين سجستان غزنين وهراة على شاطىء نهر هيلند، على ملتقى الطرق بين بُلوجِستَان والهند. . . وتبعد عن كابل ـ العاصمة ـ (٦٠٤كم). وهي على مقربة من الحدود الأفغانية الإيرانية.

هذا عن موقع «بست الجغرافي».

أما عن طبيعتها، فيقول ياقوت ـ رحمه الله ـ: إنها حارة المزاج وهي كثيرة الأنهار والبساتين، إلا أنَّ الخراب فيها ظاهر.[4]

وعن حالتها العلمية، أفاد ياقوت بأنها أخرجت عدداً من العلماء، منهم الإمام أبو حاتم محمد بن حِبّان البُسْتي ـ صاحب الصحيح ـ ت ٣٥٤ هـ، وأبو سليمان حَمْد بن محمد الخطابي

---

(١) القاموس المحيط ـ ص ١٨٩.

(٢) المشتبه في الرجال أسمائهم وأنسابهم للذهبي ١ : ٧٢.

(٣) يراجع كتاب أفغانستان بين الأمس واليوم للأستاذ أبي العينين فهمي محمد ص ٣٣٣.
وكتاب دراسات في جغرافية العالم الإسلامي للدكتور يسرى الجوهري ص ٤٣٢.

(٤) معجم البلدان ١ : ٤١٥.

البستي، والإمام إسحاق بن إبراهيم القاضي البُستي، والشاعر أبو الفتح البُستي[1] وغيرهم.

هذا ولقد ذكر الخطَّابي مدينة «بُسْت» في موضعين هما:

١ ـ ذكرها في كتاب «العزلة[2]» وأبدى عدم ارتياحه فيها فقال وهو يتحدَّث عن فوائد العزلة:

«وفي العزلة الأمان ببلد ـ بُسْت ـ خاصة من دَواهي[3] الكُنف[4] الشارعة[5]، والمثاعب[6] السائلة، فإنَّ جنايتها[7] عند

---

(١) معجم البلدان ١ : ٤١٥.
(٢) العزلة ـ ص ١١٩.
(٣) الداوهي: جمع داهية وهي الأمر المنكر العظيم ـ لسان العرب.
(٤) الكنف: جمع كنيف: وهو كل ما ستر من بناء أو حظيرة ـ النهاية ـ مادة كنف ٤ : ٢٠٥ والقاموس ص ١٠٩٩.
(٥) الشارعة: من شرع المنزل، ويطلق ويراد به المرحاض، المعجم الوسيط ٢ : ٨٠١، أي صار على طريق نافذ. القاموس المحيط ـ مادة الشرع ـ ص ٩٤٦.
(٦) المثاعب: جمع مثعب وهو بالفتح واحد مثاعب الحياض، وانثعب الماء جرى في المثعب، لسان العرب ـ ثعب (١ : ٢٣٦).
ويطلق على مسايل مياه المدينة ـ القاموس المحيط ـ ثعب ـ ص ٨٠.
(٧) جنايتها من جنى عليه يجني جناية، والتجني مثل التجرم، وهو أن يدعى عليه ذنباً لم يفعله ـ مختار الصحاح ـ مادة جنى، ص ١١٤.

أهلها جُبار[١]: لا أرش[٢] لها، ودماءُ قتلاها مطولة[٣] لا عقل[٤] ولا قود[٥] فيها.

فكلما قلَّ بروز الإنسان وعبوره عليها كان أوفر لمُروءته، وأبقى لنظافته، وأبعد له من أذاها، وغائلتها[٦]، وأسلم له من دائها وعاديتها.

٢ ـ وذكرها في شعره فقال:

إني غريب بين «بست» وأهلها　　　وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي[٧]

٥ ـ مولــده:

أكثر المصادر التي ترجمت للإمام الخطَّابي ذكرت أنه ولد سنة

---

(١) جبار: هو الهدر، المصباح المنير (جبر) ١ : ص٨٩.
(٢) أرش: دية الجراحات. مختار الصحاح ـ ص ١٣.
(٣) مطلوله: أي مهدرة ـ مختار الصحاح ـ مطل ـ ص ٣٩٦.
(٤) العقل: المقصود به هنا الدية وسميت الدية عقلاً لأنها كانت من الإبل. حيث تعقل في فناء ولي القتيل، ثم كثر استعمال تلك اللفظة فصارت تطلق على الدية إبلاً كانت أو نقوداً ـ المصباح ١ : ٤٢٣.
(٥) القَوَد: بفتحتين القصاص ـ مختار الصحاح ـ ص ٥٥٥.
(٦) غائلتها: الغيلة بالكسر الاغتيال، يقال قتله غيلة، وهو أن يخدعه، فيذهب به إلى موضع فيقتله فيه.
مختار الصحاح ـ غال ـ ص ٤٨٧.
(٧) البيت المذكور في يتيمة الدهر ٣ : ٣٣٥.
وخزانة الأدب ٢ : ١٢٤.

بِضْع عشرة وثلاثمائة في مدينة بُست[1].

هكذا بإطلاق، دون تحديد لليوم أو الشهر أو السنة التي ولد فيها.

أما الذين حَدّدُوا السنة التي ولد فيها، فلقد اختلفوا في تحديدها على قولين:

١ ـ القول الأول: أنه ولد سنة سبع عشر وثلاثمائة.

وقال بهذا الإمام الحاكم فيما نقله الإمام ابن الأثير[2]، وابن خطيب الدَّهشة.[3]

٢ ـ أما القول الثاني:

فهو أنه ولد في شهر رجب سنة تِسْعَ عشرة وثَلاثِمائة. وقال به: ياقوت الحَمَوي[4]، والصَّفَدي[5]. وقال بهذا الإمام عبد القادر البغدادي[6]، والإمام السُّيوطي[7].

ولم أجد من خالف في ذكر سنة مولده على القولين السابقين

(١) سير أعلام النبلاء ١٧ : ٢٣.
(٢) اللُّباب ١ : ٤٥٢
(٣) تحفة ذوي الأرب ـ ص ١٥٤.
(٤) معجم الأدباء ١٠ : ٢٦٩، ٤ : ٢٤٩.
(٥) الوافي بالوفيات ٧ : ٣١٨.
(٦) خزانة الأدب للبغدادي ٢ : ١٠٦.
(٧) بغيةُ الوعاة ١ : ٥٤٧.

سوى: إسماعيل باشا البغدادي[1] فلقد ذكر أنه ولد سنة ٣٠٨ هـ في هذا مخالفة لجمهور من ترجموا لهو وتفرد بهذا القول وحده.

٦ ـ نشأتـه وأخلاقـه:

لم تشر المصادر التي رجعت إليها إلى كلام مفصَّل عن نشأته، ولكن يستقى من أشعاره ما يدل على بعض جوانب نشأته ويفهم من سياق تراجمه أنه ولد ونشأ في مدينة بُستْ عند أهله وأسرته.

ويظهر أنه نشأ في أُسرة علمية؛ لأنه تعلَّق بالعلم منذ صغره، فطلبه في بُسْت، ثم رحل إلى مكة، وإلى بغداد، والبصرة، ونيسابور وغيرها، ثم عاد إلى بُسْت، حيث توفي بها ـ رحمه الله ـ[2] وسيأتي لهذا مزيد تفصيل عند الحديث عن رحلاته.

وكان صديقاً للإمام أبي منصور الثعالبي[3]، وكان بينهما ود، ومحبة ويظهر ذلك في قول الثعالبي مخاطباً الإمام الخطابي:

أبا سليمانَ سِرْ في الأرضِ أَوْ فأَقِمْ ... فأنتَ عندي دَنَا مَثْواكَ أوشَطَنَا
ما أنت غيري فأخش أن يفارقني ... فديتُ روحك، بل روحي فأنت أنا[4]

---

(١) هدية العارفين ٥/٦٨.
(٢) تذكرة الحفاظ ٣/١٠١٩.
(٣) خزانة الأدب ٢ : ١٢٣.
(٤) المرجع السابق ٢ : ١٢٤ ومعجم الأدباء ٤ : ٢٥٤، وديوان الثعالبي ص ١٢٢. وشطن أي: بَعُد. «المعجم الوسيط» ١ : ٤٨٣.

وقال الخطابي مخاطباً الثعالبي:

قلبي رهين بنيسابور عند أخٍ ما مثله حين تستقري البلادُ أخُ
له صحـــائفُ أخـلاقٍ مهذبــةٍ منها التُّقى والنُّهى والحُلم تنتسخ[1]

فهذا يدل على ما كان بينهما من محبة وتآلف أخوي.

وعُرِفَ ـ رحمه الله ـ بالأخلاق الفاضلة وحسن التعامل مع الناس ويدل على ذلك قوله:

ارضَ للنـــاسِ جميعـــاً مثـلَ مـا تـرضـيِ لنفسـك
إنَّمـــا النـــاسُ جميعـــاً كلهـــم أبنـــاءُ جِنسِـــك[2]

وما اتصف به ـ رحمه الله إيثاره للعزلة. فلقد حرص في آخر حياته على العُزلة والخلوِّ إلى نفسه، والبعد عما كثر في زمانه من منكرات. فكان في آخر عمره قد استقرَّ في مدينة بُسْت بين أهله وعشيرته؛ لكنه كان غريباً بينهم لا يجد من يشاكله في الناس ويأنس به وفي هذا يقول:

ما غربةُ الإنسان في شُقّة النوى لكنهـا والله فـي عـدم الشَكـل

(١) هذان البيتان نسبهما السِّلَفي والبغدادي للخطابي كما في خزانة الأدب ٢ : ١٢٥ ـ لكن يرى محقق الكتاب أن البيتين لأبي الفتح البستي في مدح الثعالبي كما في يتيمة الدهر ٤ : ٢١٩ في ترجمة أبي الفتح وقال: إن الذي أحدث هذا الخلط أن كلاً من أبي الفتح والخطابي بُستيان، ونسبهما ياقوت الحموي للخطابي / معجم الأدباء ٤ : ٢٥٦.

(٢) معجم الأدباء ٤/ ٢٥٧.

إني غريبٌ بين بُستٍ وأَهلها وإن كان فيها أُسرتي وبها أهلي[1]

وكان يحرص في عزلته على التفكر في ملكوت الله، والتأمُّل في مخلوقاته.

يدل على ذلك أنه رأى طائراً على شجرة فنظر إليه ثم قال:

ياليتني كنت (ذاك) الطائر الغَرِدا من البرية منحازاً ومنفرداً
ما إن يؤرقُه فكرُ لرزقِ غَـد ولا عليه حساب في المعاد غَدَا
طُوباكَ من طائرٍ طوباكَ ويحك طِبْ من كان مِثلُك في الدنيا فقد سَعدا[2]

ولكن يجب العلم أنَّ عزلة الإمام الخطابي لا تعني هجر الناس والبعد عنهم وعدم القيام بحقوقهم بل يوضح عزلته فيقول:

ولسنا نريد رحمك الله بهذه العزلة التي نختارها: مفارقةَ الناسِ في الجماعات والجمُعات، وتركَ حقُوقهم في العبادات، وإفشاءَ السلام ورد التحيات.. إنما نريد بالعزلة تركُ فضول الصحبة ونبذ الزيادة منها، وحط العلاوة التي لا حاجة لك إليها[3].

٧ ـ مهنتـه وأعمالـه:

أما عن مهنته، ومن أين كان يكسب قوت يومه؟ فإنه كان ـ رحمه الله ـ يكسب قوته من التجارة، فكان يتَّجر في ملكه

---

(١) يتيمة الدهر ٣/ ٣٣٥ وخزانة الأدب ٢/ ١٢٤.
(٢) معجم الأدباء ٤/ ٢٥٥.
(٣) انظر كتاب العزلة للخطابي ـ ص١١ و١٢.

الحلال، وينفق على الصلحاء من إخوانه[1]. ويظهر أنَّ الإمام الخطابي كان متَّصفاً بالزهد، والورع، والبعد عن السلاطين وعدم التقرُّب إليهم، ويتَّضح ذلك جليّاً في عدم إهدائه أي كتاب من كتبه لأحد من الولاة، بل كان تأليفه للكتب بناء على طلب تلاميذه، ولم أجد فيما رجعت إليه أنه ألَّف كتباً استجابةً لرغبة أحد الخلفاء، أو الولاة في زمانه؛ مع أنه كَثُر في ذلك القرن إهداء المؤلفات للخلفاء، وحرص الولاة على تقريب العلماء لهم، وأغدقوا على بعضهم الهبات الجوائز.

٨ ـ وفاتـــه:

بعد حياة مفعمة بالجد والتحصيل العلمي؛ ملأ خلالها الإمام الخطابي العلم الإسلامية بعدد من المؤلفات القيِّمة، تخرج على يديه عدد من فحول طلاب العلم، وجهابذة المعرفة؛ من المحدثين والفقهاء، واللغويين، والأدباء.. لقى وجه ربه في مدينة بُست في رباط على شاطىء هندمند[2] واختلف في تاريخ وفاته على أقوال أربعة:

---

(١) الوافي بالوفيات ٧/ ٣١٧.

(٢) خزانة الأدب ٢ : ١٢٣، وهند مند: بالكسر ثم السكون وبعد الدال ميم ونون ساكنة ودال مهملة أخرى وهو اسم لنهر مدينة سجستان، معجم البلدان ٥ : ٤١٨.

١ ـ قال الإمام القفْطي[١]، مات في بست في حدود سنة أربعمائة.

قلت: وفي هذا إطلاق دون تحديد السنة بعينها، قال ابن مكتوم[٢]: والصواب في وفاته أنها كانت في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، لا في حدود الأربعمائة كما ذكره القِفْطي أهـ

٢ ـ قال الإمام ابن الجوزي[٣] أنه توفي سنة تسع وأربعين وثلاثمائة.

ونقل هذا القول الإمام ابن كثير[٤] في الموضع الأول من ترجمته للإمام الخطَّابي ولكن هذا القول مردد بأنه وَهْم من ابن الجوزي إذ أنَّ القول الصواب غير هذا.

قال الإمام السيوطي[٥] ـ رحمه الله ـ بعد أن نقل قول ابن الجوزي: وهو غلط.

وقال ياقوت عن قول ابن الجوزي: وهذا ليس بشيء[٦].

٣ ـ وقيل: إنه توفي يوم السبت السادس [أو السادس عشر]

---

(١) أنباه الرواة ١ : ١٢٥.
(٢) تلخيص ابن مكتوم ـ ص ٢٠.
(٣) المنتظم ٦ : ٣٩٧.
(٤) البداية والنهاية ١١ : ٢٣٧.
(٥) بغية الوعاة ١ : ٥٤٧.
(٦) معجم الأدباء ٤ : ٢٥٠.

من ربيع الآخر سنة ست وثمانين وثلاثمائة في مدينة بست.

وقال بهذا الإمام عبد القادر البغدادي[١] والسيوطي[٢] وياقوت الحموي[٣].

٤ ـ وقيل: إنه توفي ـ رحمه الله ـ سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة وقال بهذا عدد كبير ممن ترجموا للإمام الخطابي.

واختلفوا في شهر وفاته فقال الذهبي[٤]والسبكي[٥]، والعراقي[٦] إنه توفى في شهر ربيع الآخر، وقال ابن خَلِّكان[٧]، وابن كثير[٨] في ربيع الأول.

وقال ياقوت عن هذا القول: إنه أصح[٩]، ونصَّ عليه ابن قُنْفُذ القُسنطيني[١٠]، والصفدي[١١].

---

(١) خزانة الأدب للبغدادي ٢ : ١٢٣.
(٢) بغية الوعاة ١ : ٥٤٧.
(٣) معجم الأدباء ٤ : ٢٥٠.
(٤) سير أعلام النبلاء ١٧ : ٢٧. وتذكرة الحفاظ ٣ : ١٠٢٠، والعبر في خبر من غبر ٢ : ١٧٤.
(٥) طبقات الشافعية الكبرى ٣ : ٢٨٣.
(٦) طرح التثريب ١ : ٤٤.
(٧) وفيات الأعيان ٢ : ٢١٥.
(٨) البداية والنهاية ١١ : ٣٢٤.
(٩) معجم الأدباء ٤ : ٢٦٩.
(١٠) كتاب الوفيات لابن العباس الشهير بابن قنفذ القسطنيني ـ ص ٢٢٢.
(١١) الوافي بالوفيات ٧ : ٣١٨.

٩ ـ مراثيه (ودلالتها على مكانته):

بوفاة الإمام الخطابي افتقد الناس عالماً جليلاً وإماماً عظيماً، استفادوا منه كثيراً في دروسه المفيدة، ومؤلفاته القيّمة،، فرثاه عدد من الشعراء بمراثي رائعة، منها ما قاله صديقه أبو منصور الثعالبي:

انظروا كيف تُخمدُ الأنوارُ ... انظروا كيف تَسقط الأقمارُ
انظروا هكذا نزول الرواسي ... هكذا في الثرى تغيضُ البحار[1]

ورثاه أبو بكر عبد الله بن إبراهيم الحنبلي بقوله:

وقد كان «حَمْداً» كاسمه حَمْدَ الورى ... شمائلُ فيها للثناءِ مَمَادحُ
خلائقُ ما فيها معابٌ لعائبٍ ... إذا ذُكرت يوماً فُهَنَّ مَدائِحُ
تغمدهُ الله الكريمُ بعفوهِ ... ورحمته والله عافٍ وصافحُ
ولا زال ريحان الإله وروحه ... قرى روحه ما حنّ في الأيك صادح[2]

ولا شك أنَّ كل هذا دليل على مكانة الخطابي عند أهل زمانه ومن بعدهم.

وأما الحافظ أبو طاهر السِّلَفي ت٥٧٦ هـ فلقد أعجب كثيراً

---

(١) ديوان الثعالبي ـ ص ٥٥.
ومعجم الأدباء ٤ : ٢٦٠.

(٢) المرجع السابق ٤ : ٢٥١.
والوافي بالوفيات ٧ : ٣١٧.

بالإمام الخطابي فمدحه وأثنى عليه لشغفه بتآليفه، وفي هذا يقول أبو طاهر السلفي ـ رحمه الله:

«وقد قلت أنا فيه بثغر خيره لشغفي بتواليفه، ورغبتي في تحصيل تصانيفه سنة خمس وخمسمائة: [1]

ظنّ هذا الخطاءُ في الخطابي ... شيخ أهل العلوم والآداب
من على كُتبه اعتماد ذوي الفضل ... ومن قوله كفصل الخطاب
إن يحوز الفردوس إذ أتعب النفسَ ... لذى العرش غاية الإتعاب
وتعنّى في الأخذ جداً وفي التصنيف ... من بعدُ رغبةً في الثوابِ
نضر الله وجهه من إمام ... ألمعي أتى بكل صواب
ولعمري قد فاز بالرَّوْحِ والرَّيحان ... من غير شبهة وارتياب
هو قد كان شمس متبعي الشرع ... على الزائغين سوطُ عذابِ[2]

● ● ●

(١) معالم السنن ٤ : ٣٨١، ومعجم الأدباء ٤ : ٢٥٦ و٢٥٧.

(٢) معالم السنن ٤/ ٣٨١، ومعجم الأدباء ٤/ ٢٥٦و٢٥٧.

الفصل الثاني

شخصية الإمام الخطابي العلمية

☆ ١ ـ طلبه للعلم ورحلاته العلمية

☆ ٢ ـ شيوخه

☆ ٣ ـ تلاميذه، والرواة عنه

☆ ٤ ـ مذهبه الفقهي

☆ ٥ ـ الخطابي شاعراً وأديباً

☆ ٦ ـ شخصيته ومكانته العلمية وثناء العلماء عليه



١ ـ طلبه للعلم، ورحلاته العلمية:

لما بدأ الإمام الخطَّابي في طلب العلم درس أولاً في مسقط رأسه مدينةُ «بُست» كما تقدم، ثم عَزَم على الرحلة في طلب العلم، والرواية عن أئمة السنة في زمانه. وفي هذا أمران:

أولهما: نَيْل أجر الرحلة في طلب الحديث، والخروج في طلب المزيد من العلم، كما جاءت أدلة الكتاب والسنة بذلك.

وثانيهما: طلب علو الإسناد في المرويات؛ حيث إنه من أهم دواعي الرحلة ليتمكن من ملاقاة الشيوخ والرواية عنهم مباشرة دون وسائط.

ونظراً لكثرة رحلاته العلمية وصفه الذهبي(١) بأنه: المحدِّث الرَّحال ـ وقال الصفَّدي(٢): «وقد طَوّفَ، وألّفَ في فنون من العلم»؛ فلقد رَحَل أولاً إلى مكة المكرمة وسمع فيها من الإمام أبي سعيد بن الأعرابي شيخ الحرم في زمانه، وأكثر الخطابي ملازمته حتى صار أكثر شيخ روى عنه(٣). ثم اتَّجه إلى بغداد(٤)،

---

(١) تذكرة الحفاظ ٣ : ١٠١٨.

(٢) الوافي بالوفيات ٧ : ٣١٧.

(٣) مسألة العلو والنزول ـ ص ٨٦، تذكرة الحفاظ ٣ : ١٠١٩.

(٤) لم يترجم الإمام الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد للإمام الخطَّابي، رغم أنه دَخَل بغداد وتكلّم عنها في «معالم السنن» ٤ : ٣٤٠، وفي «غريب الحديث» ١ : ٤٢٨، وفي «أعلام الحديث» ٢ : ١٠٠٠، =

فسمع فيها من الإمام النَّحوي، مسند العراق: إسماعيل بن محمد الصفار، وطبقته، ثم سافر إلى البصرة فسمع فيها من أبي بكر بن داسة البصري ـ الذي هو آخر من حدَّث بسنن أبي داود ـ ثم يمَّمَ وجهه نحو نَيْسابور فأقام فيها مدةً طويلة؛ حيث سمع من مُسنِد العصر، ورُحلَةِ الوقت أبي العباس الأَصَمْ وطبقته، وجلس للتحديث فيها، فروى عنه فيها الإمام أبو عبد الله الحاكم النيسابوري[1]، وحين إقامته في نيسابور أخذ يُصنِّف، ويؤتى ثمار تحصيله العملي، فعمل عدداً من المؤلفات هي: كتاب «غريب الحديث» ، وكتاب «معالم السنن»، وكتاب «شرح الأسماء الحسنى»، وكتاب «العزلة»، وكتاب «الغنية عن الكلام وأهله»[2].

وقد تجول ـ رحمه الله ـ في خراسان، وخرج إلى ما وراء النهر[3]، وحدَّث في غزنة، حيث روى عنه فيها أبو بكر محمد بن الحسن المُقرىء، وحدَّث في سجستان روى عنه فيها الفقيه أبو الحسن السِجْزِي.. ورحل إلى فارس[4]، ومكث في بَلْخ مدة أملى خلالها كتابة «معالم السنن» ـ بعد أن أَلَّفَه في نَيْسابور، وأَلَّف

= فلعله لم يمكث بها طويلاً، أو لعلها سقطت ضمن التراجم الساقطة من تاريخ بغداد، أو لسبب آخر لم نعرفه؟!!!

(١) تذكرة الحفاظ ٣ : ١٠١٩، وانظر طرح التثريب ١ : ٤٤.

(٢) تذكرة الحفاظ ٣ : ١٠١٩.، وانظر طرح التثريب ١ : ٤٤.

(٣) الوافي بالوفيات ٧ : ٣١٧.

(٤) معجم الأدباء ٤ : ٢٥٣.

فيها كتابة «أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري»، حيث أشار إلى ذلك في مقدمته[1].

هذا وبعد رحلات طويلة طوّف فيها بمختلف المدن الإسلامية المشهورة بالعلم والعلماء عادَ ـ رحمه الله ـ إلى مدينة «بُسْت» فأقام بها حتى وافاه اليقين فيها ـ رحمه الله تعالى.

أثـر رحلاتــه في شخصيتـه:

لا شك أن للرحلات ـ عموماً ـ أَثَراً كبيراً في إثراء من قام بها بمختلف الفوائد العلمية، والتجارب الشخصية والاطلاع عن كثب على أحوال الناس السياسية والإجتماعية.. واستفادته من ذلك كله، فلرحلات الإمام الخطَّابي أثرٌ كبير في اكتسابه عدداً من الفوائد منها:

١ ـ استفادته العلمية بالتلمذ على عددٍ من شيوخ أهل العلم في زمانه ممن سبق ذكرهم.. وكما سيأتي في تراجمهم ـ بإذن الله تعالى.

٢ ـ علو سنده.

٣ ـ معرفته بأحوال عصره من الناحية العلمية والإجتماعية.

٤ ـ اطلاعه وروايته لبعض المصنَّفَات الحديثية[2] التي لم

---

(١) أعلام الحديث ١ : ١٠١.

(٢) معالم السنن ١ : ٦.

تصلهم في بلاد الأفغان، مع الاستفادة من المكتبات الهامة في مختلف المدن الإسلامية التي رَحَل إليها، وتحذيره الناس من بعض الكتب المشتملة على كثير من الأخطاء والدسائس كتحذيره من كتاب «ألف اسم»[(١)]

٥ ـ معرفته بما يدور في زمانه من أفكار وبدع خاطئة، وإجابته عليها، وتفنيد ما يثار من شبهات حول بعض الأحاديث، من بعض المتكلمين في زمانه[(٢)]،

٦ ـ معرفته بالمذاهب الفقهية في زمانه، وملاقاته لبعض فقهاء المذاهب، كما في قوله[(٣)]: أخبرني بعض أهل العلم من أهل الأندلس أنَّ هذه القضية [وهي حكم شتم النبي] جارية فيما بينهم، وأن أمراءهم والقضاة يحكمون [بالقتل] على من فعل ذلك، وربما بقي أسراء الروم في أيديهم فيطول مقامهم بينهم، فيطلبون الخلاص بالموت. فيجاهرون بشتم النبي ﷺ فعند ذلك لا يمهلون أن يقتلوا، والغالب على بلاد الأندلس ونواحي المغرب رأي مالك. ونقل قبل ذلك رأي الإمام مالك أنه لا يرى لمن سبَّ

---

(١) شأن الدعاء ـ ص ١٦، وهذا كتاب يشتمل على أدعية منكرة وأسماء لم يسم الله بها نفسه، ولم يذكر الخطابي اسم مؤلفه بل قال صنعه بعض المتكلفين من أهل الجهل.

(٢) تراجع رسالته في «الغنية عن الكلام وأهله»، ومقدمة «أعلام الحديث».

(٣) معالم السنن ٢ : ٢٨٢.

النبي ﷺ توبة، وأشار في مقدمته لمعالم السنن[1] لما كان في زمانه من خلاف بين المحدِّثين والفقهاء.

٧ ـ روايته ونقله عن بعض فصحاء العرب في زمانه.

ومن ذلك قوله[2]: قلت لأعرابي: اين نزلت؟ فقال: في قافية ذلك المكان وسمى لي مكاناً عرفته.

وقوله[3] عند تفسيره لكلمة «مَحْجِر»: قال لي كُعَيدِنَةُ بن مِرْفَد، رجل من أهل اليمن، إنها بلاد من حضرموت أقطعها النبي ﷺ إياهم، وقال لي: أنا أعرف مَحْجِر: وهي قرية معروفة فيها. وقال لي غيره من أهل حضرموت: بل هو المَحْجِنْ.

قوله[4]: وأخبرني ابن مالك قال: استغسلتُ أعرابيةً ثوباً فقلتُ لها: نَقِّيه وبَيِّضِيه، فقالت: نعم، وأمُوصه لك موصةً ثانية.

٨ ـ اكتسابه ومعرفته بعادات وتقاليد بعض البلدان التي رحل إليها. ومن ذلك قوله[5] ـ واصفاً حال أهل الحجاز في الذهاب لصلاة الجمعة ـ:

«إنَّهم كانوا يروحون إلى الجمعة في الثياب التي يباشرون فيها

---

(١) معالم السنن ١ : ٣.
(٢) معالم السنن ١ : ٢٨٠.
(٣) غريب الحديث ١ : ١٤٩.
(٤) أعلام الحديث ١ : ٢٩٣.
(٥) المرجع السابق ١ : ٥٧١.

العمل والخدمة، وأرض الحجاز حَارةٌ، والعرق يُسرع إليهم فتتغيَّر الروائح، فإنما أمروا بالغسل لقطع الرائحة..

وقوله[1]: والعامة في كثير من البلدان تفرش الخوص في قبور موتاهم.. وعندما تكلَّم عن المزارعة، وأنها جائزة إذا كانت الحصص معلومة بين الشريكين، قال[2]: هي عمل المسلمين من بلدان الإسلام، وأقطار الأرض شرقها وغربها، ولا أعلم أني رأيت أو سمعت أهل بلد أو صقع من نواحي الأرض التي يسكنها المسلمون يبطلون العمل بها.

وقوله[3]: وقد أبدع عوام الناس في أواخر الزمان لبس الخواتيم في اليدين، وليس ذلك بحميد في مذاهب أهل الفضل والنُبْل..، وكل ذلك مكروه ومستهجن في حميد العادات، ورضِّي الشَّمائل، وتكلم كثيراً في كتاب «العزلة» عما كان عليه أهل زمانه من فشوِّ المنكرات فيهم، وإضاعة أوقاتهم.

٩ ـ معرفته ببعض مُفْرَدات اللغات الرومية والفارسية ولهجة أهل اليمن والحبشة وغيرها كما أشار إلى ذلك في كتابيه: «أعلام الحديث»[4] «وغريب الحديث»[5].

---

(١) معالم السنن ١ : ١٨٠.
(٢) المرجع السابق ٣ : ٩٥.
(٣) أعلام الحديث ٣ : ٢١٥.
(٤) أعلام الحديث ـ ص ٦٣٩ و٩٩٤ و١٣٦٣ و١٧٦٨ و١٨٠٠ و٢٠٥٥.
(٥) غريب الحديث ١ : ٢٨٠ و٢٩٦ و٥٤٨ و٧٢٢.

١٠ ـ معرفته بالنقود والمكاييل والموازين ونحوها، واتَّضح ذلك جلياً في كتابه «معالم السنن»[١].

١١ ـ معرفته بما كان من فتن ومصائب في بعض المدن الإسلامية. ومن ذلك كلامه على ما كان من الخوارج في زمانه[٢]، والغلاء في بغداد والبصرة، وهلاك خلق كثير بسبب الجَدْب والجوع[٣].

١٢ ـ ما سبق ذكره من الفوائد يدل على نفي عزلة الخطابي التامَّة عن الناس، فمعرفته بما سبق دليل على مخالطته لهم، واستفادته منهم، إلا أنْ تحمل عزلته على ما كان منه في آخر حياته ـ رحمه الله ـ حين عاد إلى «بُسْت» واستقرَّ بها وألف كتاب «العُزْلة» فيها. ولهذا مزيد تفصيل عند الكلام عن منهجه في كتاب «العزلة» بتوفيق الباري جل وعلا.

٢ ـ شيوخه:

تلقى الإمام الخطَّابي ـ رحمه الله ـ العلم على عدد كبير من الأئمة.. وساعده في ذلك كثرة رحلاته في طلب العلم، حيث طوَّف بعدد من المدن الإسلامية، منها مكة، وبغداد، والبصرة، والكوفة ونيسابور، وبُسْت التي خَتَم بها رحلاته، وأقام بها حتى

---

(١) معالم السنن ٣ : ٣٥ و٥٥ و٦٢ و٦٣ و٦٤ و٢٠٩.
(٢) أعلام الحديث ٣ : ١٥٣٤.
(٣) معالم السنن ٤ : ٣٤٠، وغريب الحديث ١ : ٤٢٨.

توفى ـ رحمه الله ـ قال الإمام السِّلَفي[1]: وفي شيوخه ـ رضي الله عنهم ـ سَفَراً وحضراً كَثْرَةٌ، كما في تصانيفه.

وسأقتصر في هذه التراجم على أبرز شيوخه من الذين كان لهم تأثير في حياته العلمية.. وله رواية عنهم، في مختلف العلوم ـ ممن وقفت على تراجمهم ـ ومن أبرز هؤلاء الأئمة الذين روى عنهم من المحدثين الذين سأذكرهم بتقديم من أكثر الرواية عنهم وهم:

١ ـ الإمام ابن الأعرابي:

وهو أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بِشْر بن دِرْهَم البصرى المعروف بابن الأعرابي، الحافظ، شيخ الإسلام نزيل مكة، وشيخ الحرم، ولد سنة نيّف وأربعين ومائتين.

وخَرّج عن مشايخه معجماً كبيراً، ورحل إلى الأقاليم، وحمل السنن عن أبي داود.

قال الإمام الذهبي: وكان ثقة، عارفاً، عابداً، ربانياً، كبيرَ القدر، بعيدَ الصيت[2]، وقال أيضاً: عالى الإسناد[3].

وتوفى بمكة في شهر ذي القعدة وقيل: ذي الحجة سنة أربعين[4]،

---

(١) معالم السنن ٤ : ٣٧٨.
(٢) تذكرة الحفاظ ٣ : ٨٥٢ رقم ٨٣٠.
(٣) و(٤) سير أعلام النبلاء ١٠ : ٤٠٨.

وقيل: واحدوأربعين[1] وثلاث مائة وله أربع وتسعون سنة وأشهر. رحمه الله.

ولقد تأثَّر الخطابي كثيراً بشيخه أبي سعيد ابن الأعرابي، واستفاد منه علماً غزيراً، وذلك لملازمته له في مكة، فأكثر الرواية عنه. فيغلب على ظنى أن ابن الأعرابي[2] يعتبر هو أكثر شيخ روى عنه الخطَّابي، إذ لم أقف على كتاب حديثي مطبوع للإمام الخطَّابي إلا وجدتُه مليئاً بالرواية عن شيخه ابن الأعرابي[3]. فلقد روى الخطَّابي من طريق ابن الأعرابي بعض سنن أبي داود في إحدى رواياتها المشهورة وهي رواية ابن الأعرابي.

كما أنه روى من طريقه كثيراً من الأحاديث المرفوعة.

---

(١) لسان الميزان ١ : ٣٠٩.

(٢) قال أبو الفضل بن القَيْسَراني: ثم نظرنا فإذا أَجلُ شيخ روى [الخطابي] عنه: أبو سعيد ابن الأعرابي، انظر مسألة العلو والنزول - ص ٨٦.

(٣) تنبيه: أحياناً ينقل الخطابي بعض تفسيرات المفردات أو العبارات الغريبة أو يذكر بعض الأقوال اللغوية عن ابن الأعرابي - وليس المقصود به شيخه وإنما هو الإمام اللغوي أبو عبد الله محمد بن زياد ابن الأعرابي. المتوفى سنة إحدى وثلاثين ومائتين، بسُرَ من رأى - رحمه الله. بدلالة تصريح الخطابي باسمه أحياناً للتفريق بينه وبين شيخه كقوله: قال ابن الأعرابي: محمد بن زياد.. معالم السنن ٤ : ١٠٤، وللوقوف على ترجمته انظر بغية الوعاة ١ : ١٠٥ رقم ١٧٤.

٢ ـ أبـو بكـر بن داسة:

هو الإمام أبو بكر محمد بن بكر بن محمد بن عبد الرزاق بن دَاسَة البصرى التَمّار. وهو آخر من حدث بالسنن كاملاً عن أبي داود، وقال عنه الذهبي: الشيخ، الثِّقة، العالم.. راوي السنن.

وتوفى ـ رحمه الله ـ سنة ست وأربعين وثلاثمائة[١].

قد روى عنه الخطابي سنن أبي داود، وأكثرَ الروايةَ عنه في مؤلفاته الحديثيّة.

٣ ـ أبـو بكـر الإسماعيلي:

هو الإمام الحافظ، الحجة، الفقيه، شيخ الإسلام، أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الجُرجاني الإسماعيلي الشافعي. ولد سنة سبع وسبعين ومائتين.

وصنَّفَ تصانيف تشهدُ له بالإمامة في الفقه والحديث، عمل «مسند عمر»، والمستخرج على الصحيح، ومعجمه وغيرها.

قال الإمام الحاكم: كان الإسماعيليُ واحدَ عصره، وشيخ المحدثين والفقهاء في الرئاسة والمروءة، والسخاء، ولا خلاف بين العلماء من الفريقين، وعقلائهم في أبي بكر[٢].

وقال الإمام الذهبي: وابتهرت بحفظ هذا الإمام، وجزمت بأنَّ

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٥ : ٥٣٨ رقم ٣١٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٦ : ٢٩٢ رقم ٢٠٨.

المتأخرِّين على إياس من أن يلحقوا المتقدمين في الحفظ والمعرفة[١].

وقال حمزة السَّهْمِي[٢]: توفي يوم السبت غرة رجب، سنة إحدى سبعين وثلاثمائة، وكان له أربع وتسعون سنة.

قلت: كثيراً ما يهمل الخطَّابي تقييد اسمه فيقول: حدثنا أحمد بن إبراهيم، أو أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل، ولكنه قيَّده في بعض المواضع من «غريب الحديث»[٣]. بقوله: حدثنا أبو بكر الإسماعيلي.

٤ ـ أبو العباس الأصم:

هو الإمام المحِّدث، مُسْنِدُ العصر، رُحْلَةُ الوقت، أبو العباس محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سِنَان الأمُوي مولاهم السناني المعقلي النيسابوري[٤].

عُرِفَ بالأصم: وكان يكره أن يقال له ذلك، قال الحاكم: إنما ظهر به الصَمَم بعد مجيئه من الرِحلة[٥].

---

(١) تذكرة الحفاظ ٣ : ٩٤٨.
(٢) تاريخ جُرجان ـ ص ١٠٩ رقم ٩٨.
(٣) غريب الحديث ١ : ٦٧١ و٢ : ٦.
(٤) سير أعلام النبلاء ١٥ : ٤٥٢ رقم ٤٥٨.
(٥) المرجع السابق ١٥ : ٤٥٥.

ولد سنة سبع وأربعين ومائتين[(١)].

وكان رحمه الله حسنَ الخلق، سخيَّ النفس، رَحِلَ إليه خلق كثير، قال الإمام الحاكم: وما رأينا الرِحلة في بلاد من بلاد الإسلام أكثر منها إليه، فقد رأيت جماعة من الأندلس، وجماعة من أهل طِرَاز وأسبيجاب على بابه، وكذا جماعة من أهل فارس، وجماعة من أهل المشرق[(٢)].

ووثقه عدد من العلماء؛ منهم: الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة، وأبو نُعيم، وابن أبي حاتم[(٣)].

قال الحاكم: حدَّث في الإسلام ستاً وسبعين سنة فكان مُحدِّثَ العصر، ولم يختلف في صدقه وصحة سماعه[(٤)].

وتوفى ـ رحمه الله ـ في الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة ست وأربعين وثلاثمائة[(٥)].

٥ ـ أبو عمرو السَمّاك:

هو الإمام المحدِّث المُكثِر الصادق مسند العراق: أبو عمرو

---

(١) تذكرة الحفاظ ٣ : ٨٦٠ رقم ٨٣٥.
(٢) شذرات الذهب ٢ : ٣٧٣، وسير أعلام النبلاء ١٥ : ٤٥٦.
(٣) و(٤) و(٥) سير أعلام النبلاء ١٥ : ٤٥٧ و٤٥٨ و٤٦٠.

عثمان بن أحمد بن عبد الله بن يزيد البغدادي الدقَّاق المعروف بابن السَمَّاك.[1]

اعتنى به والده فطلب العلم صغيراً.

قال الخطيب البغدادي[2]: وتوفى ـ رحمه الله ـ يوم الجمعة لأربع بقين من ربيع الأول سنة أربع وأربعين وثلاثمائة. وحزر من حضر جنازته بخمسين ألف إنسان ودفن في مقابر باب الدَيْر.

٦ ـ مُكْرَم البغدادي البزَّار:

هو الإمام القاضي المحدِّث أبو بكر مُكْرَم بن أحمد بن محمد بن مُكْرَم البغدادي البزار[3].

وتوفى في يوم الخميس لخمس خلون من جمادى الأولى سنة خمس وأربعين وثلاثمائة[4] ـ رحمه الله ـ.

٧ ـ أبو بكر النجّار:

هو الإمام المحدِّث الحافظ الفقيه المفتى شيخ العراق: أبو بكر أحمد بن سليمان بن الحسن بن إسرائيل البغدادي الحنبلي النجّاد.

ولد سنة ثلاث وخمسين ومائتين.

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٥ : ٤٤٤ رقم ٢٥٥.

(٢) المرجع السابق ١١: ٣٠٣.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٥: ٥١٨ رقم ٢٩٤، والعبر ٢: ٧١.

(٤) تاريخ بغدد ١٣/ ٢٢١.

سمع من أبي داود السجستاني ـ حيث ارتحل إليه وهو خاتمة أصحابه.

قال الخطيب: وكان صدوقاً عارفاً، جمع المسند، وصنَّف في السنن كتاباً كبيراً.[1]

وتوفى النجَّاد في يوم الثلاثاء لعشر بقين من ذي الحجة سنة ثمان أربعين وثلاثمائة، ودفن في مقبرة باب حرب[2].

٨ ـ حمزة العُقْبي:

هو الشيخ العالم الصدوق، أبو أحمد حمزة بن محمد العباس البغدادي العُقْبي الدُهْقَان، سكن بالعَقَبة[3] فَنُسِبَ إليها.

وتوفي في ذي القعدة سنة سبع وأربعين وثلاثمائة[4].

٩ ـ الآبُرِّي:

هو الشيخ، الإمام، الحافظ، أبو الحسن محمد بن الحسين بن إبراهيم بن عاصم السجستاني الآبُرِّي[5] ـ بالمد ثم بالضم ـ

---

(١) تاريخ بغداد ٤ : ١٩٠ رقم ١٨٧٩.

(٢) المرجع السابق ٤ : ١٩٢.

(٣) العقبة: محلة ببغداد تقع وراء نهر عيسى بن [على] قريبة من دجلة. انظر معجم البلدان ٤ : ١٣٤، وتاريخ بغداد ٨ : ١٨٣.

(٤) تاريخ بغداد ٨ : ١٨٣ رقم ٤٣٠٦.

(٥) الأبرى: نسبة إلى قرية آبر: بفتح الهمزة، وسكون الألف، وضم الباء الموحدة وهي من قرى سجستان. معجم البلدان ١ : ٤٩ ـ آبر.

ارتحل في طلب العلم وسمع من الإمام ابن خزيمة، وأبي العباس الثقفي، وغيرهم.

مات في شهر رجب سنة ثلاث وستين وثلاثمائة. له من المؤلفات: «مناقب الإمام الشافعي».

قال عنه ياقوت[1]: شيخ من أئمة الحديث، له كتاب نفيس في أخبار الإمام الشافعي، أجاد فيه كل الإجادة، رحل إلى مصر والشام، والحجاز، والعراق، وخراسان، وكان يُعدُّ من الحفاظ.

١٠ ـ جعفر البغدادي:

الشيخ الإمام القدوة المحدث شيخ الصوفية أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير بن قاسم البغدادي.

ولد سنة اثنتين أو ثلاث وخمسين ومائتين.

قال الخطيب[2]: وكان سافر الكثير ولقى المشايخ الكبراء من المحدِّثين والصوفية، ثم عاد إلى بغداد فاستوطنها، وروى بها علماً كثيراً.

وتوفى يوم الأحد لسبع خلون من شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة[3].

---

(١) معجم البلدان ١ : ٤٩.

(٢) و(٣) تاريخ بغداد ٧: ٢٦٦ رقم ٣٧١٥.

١١ ـ عبد الله بن شاذان الكراني:

قال ياقوت:[١] هو أبو محمد عبد الله بن **شاذان الكُراني**.

روى عنه الخطابي أبو سليمان أحمد بن محمد في كتاب «صفة أسماء الله تعالى» أهـ.

وقال الذهبي[٢]: ونقله عنه ابن حجر[٣]: الكُراني: بالضم والتخفيف: عبد الله بن شاذان الكراني شيخٌ للخطَّابي.

١٢ ـ أبو عمرو الحيري:

هو محمد بن أحمد بن حمدان أبو عمرو الحِيري[٤] ـ مسند خراسان. سمع جماعة من العلماء، وصحب جماعة من الزهاد، وكان عالماً بالقراءات، والنحو، وكان متعبداً، وكان المسجد منزله نيفاً وثلاثين سنة، روى عن الحسن بن سفيان، وزكريا الساجي ـ وغيرهم.

توفى في ذي القعدة سنة ست وسبعين وثلاثمائة. وله ثلاث وسبعون سنة ـ رحمه الله[٥].

---

(١) معجم البلدان ٤ : ٤٤٤.

(٢) المشتبه في الرجال للذهبي ٢ : ٥٤٦.

(٣) تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ٣ : ١٢٠٨.

(٤) قال الحافظ ابن حجر: منسوب إلى حيرة نيسابور. تبصير المنتبه ١/٣٦٦.

(٥) للاستزادة عن ترجمته، انظر المنتظم ٧/ ١٣٤ رقم ٢٠١ والعبر.=

١٣ ـ سعيد بن سَلاّم:

هو أبو بكر سعد بن سلام وقيل: أبو سالم ابن عثمان المغربي الصوفي[١]. كان قد سكن بغداد ثم انتقل إلى خراسان، وله كرامات مذكورة وكان من كبار المشايخ، وقد جاور بمكة.

توفي في نيسابور سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة[٢]. ولما بلغ خبر وفاته أبو سليمان الخطابي قال: إن كان في هذا العصر من المحدثين أحد فأبو عثمان[٣] المغربي.

وقال الصفدي عنه[٤]: نزيل نيسابور، مولده القيروان، لقى الأشياخ بمصر والشام وجاور بمكة، وكان لا يظهر في الموسم. قال الحاكم: أنا ممن خرج من مكة متحسراً على رؤيته..؟؟

١٤ ـ أبو الطيب التمار:

هو الحسين بن علي بن محمد، أبو الطيب النحوي، المعروف بالتمّار، حدث عن محمد بن أيوب الرازي.

= ١٤٨/٢ وشذرات الذهب ٣/ ٨٧.

(١) تاريخ بغداد ٩ : ١١٢ و١١٣ وذكر بعض كراماته.

(٢) تاريخ بغداد ٩ : ١١٢ و١١٣ وذكر بعض كراماته.

(٣) المنتظم ٧ : ١٢٢ و١٢٣.

(٤) الوافي بالوفيات ١٥ : ٢٢٥ رقم ٣١٤.

١٥ ـ خلف الخيام:

قال عنه الإمام الذهبي[(١)]:

الخيام: خلف بن محمد بن إسماعيل، أبو صالح البخاري، محدث ما وراء النهر، روى عن صالح جزرة وطبقته ولم يرحل.

لَيَّنَهُ الإدريسي، وعاش ستاً وثمانين سنة.

وذكره فيمن توفى سنة إحدى وستين وثلاثمائة.

ونقل هذا بنصه ابن العماد الحنبلي[(٢)].

والخيام هذا هو الذي روى عنه الخطابي صحيح البخاري برواية النسفي[(٣)].

وممن روى عنهم من الفقهـاء:

١٦ ـ الإمام القفال:[(٤)]

هو الإمام الفقيه محمد بن علي بن إسماعيل القَفّال الكبير الشَاشي الشافعي، ولد بالشاش سنة إحدى وتسعين ومائتين.

كان إماماً في التفسير والحديث والكلام والأصول والفروع

---

(١) العبر٢: ١١١. وليّنه: أي ضعفّه من قولهم: فلان لين الحديث.

(٢) شذرات الذهب ٣: ٣٩.

(٣) أعلام الحديث ١: ١٠٦.

(٤) اختصرت ترجمته من طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣:٢٠٠ رقم ١٥٩، وطبقات الشافعية للاسنوي ٢: ٧٩ رقم ٦٦٨.

واللغة والشعر، قال فيه الإمام الحاكم: هو الفقيه، الأديب، إمام عصره بما وراء النهر للشافعين وأعلمهم بالأصول وأكثرهم رحلة في طلب الحديث.

عنه انتشر فقه الشافعي بما وراء النهر وتوفى ـ رحمه الله ـ في ذي الحجة آخر سنة خمس وستين وثلاثمائة بالشاش.

١٧ ـ ابن أبي هرُيرة:

هو الإمام الجليل الفقيه القاضي أبو علي الحسن بن الحسين المعروف بابن أبي هُرَيَرة البغدادي.

وقال ابن خِلِّكان[١]: درس ببغداد، وتخرج عليه خلق كثير، وانتهت إليه إمامة العراقين، وكان معظماً عند السلاطين والرعايا إلى أن توفى في بغداد في شهر رجب سنة خمس أربعين وثلاثمائة[٢].

ومن شيوخه في اللغة الأدب:

١٨ ـ غلام ثعلب:

هو الإمام الأوحد العلامة اللغوي المحدث: أبو عمر محمد ابن عبد الواحد بن أبي هاشم البغدادي الزاهد المعروف بغلام ثعلب[٣]. ولد سنة إحدى وستين ومائتين ولازم «ثعلباً» في

---

(١) وفيات الإعيان ٧: ٢٩٨ رقم ٣٨٠٨.

(٢) تاريخ بغداد ٧: ٢٩٩.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٥: ٥٠٨ رقم ٢٨٨.

العربية فأكثر عنه إلى الغاية، حتى عرف بغلام ثعلب[1].

قال الخطيب البغدادي[2]: فاما الحديث فرأينا جميع شيوخنا يوثقونه فيه ويُصدقونه. وتوفى ـ رحمه الله ـ في يوم الأحد، ودفن في يوم الأثنين لثلاث عشر ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وأربعين وثلاثمائة[3].

قلت: وهو التالي لابن الأعرابي في كثرة روايات الخطابي عنه، إذ لم يخلو كتاب حديثي مطبوع للخطابي من روايات لغوية كثيرة عنه.

١٩ ـ الأزهري:

هو العلامة اللغوي: أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري، الهروي الشافعي[4]. مولده سنة اثنتين وثمانين ومائتين[5].

وقد روى عنه الخطابي كثيراً في كتابه «غريب الحديث»[6]

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٥: ٥٠٨ رقم ٢٨٨.
(٢) تاريخ بغداد ٢: ٣٥٧ رقم ٨٦٥.
(٣) تاريخ بغداد ٢:٣٥٩.
(٤) سير أعلام النبلاء ١٦: ٣١٦ رقم ٢٢٢.
(٥) بغية الوعاة ١: ٢٩.
(٦) للوقوف على رواياته عنه، انظر فهرس الإعلام لغريب الحديث ٣: ٦٤٨.

وكاتبه مرة لسؤاله عن معنى «البرهرهة»[١]، أثنى عليه الذهبي فقال:[٢] كان رأساً في اللغة والفقه، ثقة ثبتاً ديناً.

وقال ابن خِلِّكان[٣]: وكان أبو منصور جامعاً لشتات اللغة، مُطّلِعاً على أسرارها ودقائقها.

وقال فيه السيوطي[٤]: كان عارفاً بالحديث، عالي الإسناد، كثير الورع، وكانت وفاته[٥] في ربيع الآخر سنة سبعين وثلاثمائة بهراة.

٢٠ ـ إسماعيل الصَفّار:

هو الإمام النحوي الأديب مُسند العراق أبو علي بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن صالح البغدادي الصَفّار المُلَحي[٦]. ولد سنة سبع وأربعين ومائتين[٧] وقال عنه الذهبي:

---

(١) غريب الحديث ١/ ٦٧٥.
(٢) سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣١٦ رقم ٢٢٢.
(٣) وفيات الأعيان ٤: ٣٣٤ و٣٣٥ رقم ٦٣٩.
(٤) بغية الوعاة ١ : ٢٩.
(٥) وفيات الأعيان ٤: ٣٣٤ و٣٣٥ رقم ٦٣٩.
(٦) المُلحى: نسبة إلى الملح والنوادر، كما قال الذهبي في سير أعلام أعلام النبلاء ١٥ : ٤٤٠ رقم ٢٥٠.
انظر لسان العرب مادة ملح ٣ : ٥٢١ والمعجم الوسيط مادة ملح ٢ : ٨٨٣.
(٧) تاريخ بغداد ٦/ ٣٠٢ رقم ٣٣٤٤.

الإمام النحوي الأديب مسند العراق وقال: انتهى إليه علو الإسناد، وله شعر وفضائل وكان مُقَدّماً في العربية[1]، وقال ياقوت الحموي: صحب المبرد صحبة اشتهر بها[2]، وقال السيوطي: علامة بالنحو واللغة، ثقة أمين[3] وتوفي ـ رحمه الله ـ ببغداد سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة[4].

٣ ـ تلاميذه والرواة عنـه:

بعد أن تأهَّل الإمام الخطابي للتعليم، وصار مستحقاً للرواية عنه، جلس للتعليم، فتتلمذ عليه عدد كبير من طلاب العلم في زمانه.

وقد عُرف الإمام الخطابي بمحبته لطلابه، وتواضعه لهم، حين تعامله معهم. ويدل على ذلك أنه في كل مؤلفاته ذكر في مقدماتها أنه ألفها استجابة لرغبة طلابه، وإخوانه.

كما أنه في عدد من مؤلفاته استعمل عبارات لطيفة في مخاطبته طلابه. منها قوله[5]: أكرمكم الله، وقوله[6]: نفعنا الله وإياكم

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٥ / ٤٤١ رقم ٢٥٠.
(٢) معجم الأدباء ٧: ٣٣.
(٣) بغية الوعاة ١: ٤٥٤ رقم ٩٢٨.
(٤) تاريخ بغداد ٦: ٣٠٤.
(٥) معالم السنن ١/ ص٢ و٥ وشأن الدعاء ـ ص٢ و٣.
(٦) معالم السنن ١ : ٨.

برحمته. وقوله:[1] ألهمك الله الصواب، وأراك المحاب، وقوله[2]: أخي: وليك الله بالحسنى، وأدام الله سعادتك .. وغيرها من العبارات المشرقة التي تمثل القدوة الحسنة لطلاب العلم اليوم ليتعاملوا بها مع شيوخهم وتلاميذهم.. لتتحقق الاستفادة منهم علماً وخُلقاً.

هذا وسأقتصر على بعض من تلاميذ الإمام الخطابي ـ ممن انتفعوا به كثيراً ممن وقفت على تراجمهم وهم:

١ ـ الإمام الحاكم:

قال عنه الذهبي[3]: الحافظ الكبير إمام المحدثين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حَمْدَوية بن نعيم الضَبِّي الطهماني النيسابوري المعروف «بابن البيِّع» صاحب التصانيف. ولد سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة في ربيع الأول.

وطلب الحديث من الصغر باعتناء خاله فسمع سنة ثلاثين، ورحل إلى العراق وهو ابن عشرين، ثم جال في خراسان وما وراء النهر وسمع بالبلاد من ألفى شيخ أو نحو ذلك.

---

(١) العزلة ـ ص٥١.
(٢) الغنيمة عن الكلام وأهله، المطبوع ضمن «صون المنطق والكلام للسيوطي» ص٩٢.
(٣) تذكرة الحفاظ ٣: ١٠٣٩ رقم ٩٦٢. سير أعلام النبلاء ١٧ : ٢٤

وقال الذهبي[1]: وحدث أبو عبد الله الحاكم عنه ـ أي الخطابي ـ فكان من أقرانه في السن والسند.

قال فيه الخطيب[2] البغدادي: كان من أهل الفضل والعلم والمعرفة والحفظ، وله في علوم الحديث مصنفات عدة.. وكان ثقة.

وقال الذهبي[3]: وَصَنَّف، وَخَرَّج، وَعَدَّل، وَصَحَّح، وعَلَّل، وكان من بحور العلم.

وتوفى الحاكم في صفر سنة خمس أربعمائة[4] ـ رحمه الله ـ

٢ ـ أبو حامد الاسفراييني:[5]

هو الإمام أبو حامد: أحمد بن محمد بن أحمد الإسفراييني.

ولد سنة أربع وأربعين وثلاثمائة.

وقدم بغداد شاباً فتفقه على الشيخين: أبي الحسن بن المرزبان وأبي القاسم الدَّاركي.. حتى صار أحد أئمة وقته.

قال فيه الخطيب البغدادي: وكان ثقة، وسمعت من يذكر أنه

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٧: ٢٤.
(٢) تاريخ بغداد ٥/٧٣ رقم ٣٠٢١.
(٣) سير أعلام النبلاء ١٧/١٦٥ رقم١٠٠.
(٤) تذكرة الحفاظ ٣/١٠٤٥.
(٥) تاريخ بغداد ٤:٣٦٨ رقم ٢٢٣٩.
طبقات الشافعية للسبكي ٤/٦١ رقم ٢٧٠..

كان يحضر درسه سبعمائة متفقِّه، وكان الناس يقولون: لو رآه الشافعي لفرح به.

وقال فيه الشيخ أبو إسحاق: انتهت إليه رئاسة الدين والدنيا ببغداد، وعلق عنه تعاليق في شرح المزنى، وطبق الأرض بالأصحاب، وجمع مجلسه ثلاثمائة متفقه، اتَّفَق الموافق والمخالف على تفضيله وتقديمه في وجوه الفقه، وحسن النظر ونظافة العلم.

وتوفى في ليلة السبت إحدى عشرة ليلة بقين من شوال سنة وأربعمائة، وكان يوماً مشهوداً بكثرة الناس، وعظم الحزن، وشدة البكاء ودُفن في داره، إلى أن نُقل منها ودفن بباب حَرب سنة عشر وأربعمائة.

٣ ـ أبو عبيد الهروي:

هو العلامة أبو عبيد أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الهروي الشافعي اللغوي المؤدِّب، وصاحب «الغريبين» غريب القرآن والحديث[١].

وقال السِّلفَى: وحدَّث [الهروى] عنه [أي الخطابي] في كتاب الغريبين[٢]، وقال ياقوت: قرأ على جماعة منهم أبو سليمان الخطابي، وكان اعتماده وشيخه الذي يفتخر به أبا منصور محمد

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٤٦ و ١٤٧ رقم ٨٨.

(٢) معالم السنن ٤/ ٣٧٩.

بن أحمد الأزهري صاحب كتاب التهذيب في اللغة[١].

قال الذهبي: توفى في سادس رجب سنة إحدى وأربعمائة[٢].
وقال ابن خلكان[٣]: وكتابه المذكور (يعي كتاب الغريبين) جمع فيه بين تفسير غريب القرآن الكريم والحديث النبوي، وسار في الآفاق وهو من الكتب النافعة[٤].

٤ ـ أبو ذر الهروي:

هو الإمام العلاَّمة الحافظ أبو ذر عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن غفير الأَنْصاري المالكي بن السّماك شيخ الحرم.

قال الخطيب: وكان يذكر أنَّ مولده في سنة خمس أو ست خمسين وثلاثمائة، يشك في ذلك وقال الذهبي: صاحب التصانيف وراوي الصحيح عن الثلاثة: المستملي، والحمَوي، والكُشْمِيَهني[٥].

ونقل أيضاً عن عبد الغافر بن إسماعيل في «تاريخ نيسابور» أنه قال: كان أبو ذر زاهداً، ورعاً، عالماً، سخياً لا يدخر شيئاً،

---

(١) معجم الأدباء ٤/ ٢٦٠ رقم ٥٩، وبغية الوعاة ١/ ٣٧١ رقم ٧٢١.
(٢) سير أعلام النبلاء ١٧ : ١٤٧..
(٣) وفيات الأعيان ١: ٩٦ رقم ٣٦.
(٤) كتاب الغريبين لأبي عبيد الهروي طبع الجزء الأول منه بتحقيق / د/ محمود محمد الطناحي في القاهرة سنة ١٣٩٠هـ. ثم طبع كاملاً في الهند.
(٥) سير أعلام النبلاء ١٧: ٢٤.

الصحيحين تخرجاً حسناً، وكان حافظاً كثير الشيوخ.

ومات بمكة لخمس خلون من ذي القعدة سنة أربع وثلاثين وأربعمائة ـ رحمه الله.

٥ ـ عبد الغافر بن محمد الفارسي:

هو عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر بن أحمد بن محمد بن سعيد أبو الحسن الفارسي ثم النيسابوري[١].

ولد سنة نيف وخمسين وثلاثمائة.

ومن مؤلفاته «السياق لتاريخ نيسابور»[٢].

وكانت وفاته في خامس شوال سنة ثمان وأربعمائة بنيسابور.

وقال الذهبي: كمل خمسا وتسعين سنة وكان عدلا جليل القدر[٣].

قلت: وقد روى عن الخطابي عدداً من مؤلفاته[٤] منها: «غريب الحديث» كما تقدم، «وأعلام الحديث» و«معالم السنن»، و«تفسير الأدعية المأثورة» المطبوع باسم «شأن الدعاء».

---

(١) سير أعلام النبلاء جـ ١٨ ص ١٩ ـ ٢٠.
(٢) معجم الأدباء ٤/٢٦٨.
(٣) العبر ٢/٢٩٢ وشذرات الذهب ٣: ٢٧٨
(٤) فهرسة ابن خير ـ ص٢٠١.

٤ ـ مذهبـــه الفقهي:

الإمام الخطَّابي شافعي المذهب.

وإن كنت لم أقف على تصريح منه بذلك في مؤلفاته المطبوعة، ولكن يدل على ذلك مايلي:

١ ـ ذكره في تراجم الفقهاء الشافعية[١].

ولم أقف على من ترجم له في كتب طبقات الفقهاء غيرهم.

٢ ـ نصَّ على ذلك بعض الأئمة ومنهم:

☆ الإمام النووي وصف الخطابي بقوله[٢]: الفقيه الشافعي، وكذا شيخ الإسلام ابن تيمية[٣]

☆ الحافظ ابن حجر قال[٤]: والخطَّابي من الشافعية.

٣ ـ عنايته كثيراً بفقه الإمام الشافعي وأصحابه، وذكره لأقوالهم غالباً عند عرضه للخلاف في المسائل الفقهية أثناء شروحه للأحاديث، وكذلك شرحه للألفاظ الغريبة في «مختصر

---

(١) انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/٢٨٢ رقم ١٨١، وطبقات الشافعية للإسنوي ١/٤٦٧ رقم ٤٢٠، وطبقات الشافعية لابن قاضي شُهبة الدمشقي ١/١٥٦ رقم ١١٦، وطبقات الشافعية للعَبَّادي ص٩٤.

(٢) شرح صحيح مسلم ١/٢٧ و١٤٤.

(٣) مجموع الفتاوى ٣٣/١٧٧.

(٤) فتح الباري ١٠/٥٨٥.

المزني»[1] وتأليفه كتاباً مستقلاً في «مناقب الإمام الشافعي»[2].

٤ ـ قال الإمام الذهبي[2]: وأخذ الفقه على مذهب الشافعي، عن أبي بكر القفّال الشاشي، وأبي علي بن أبي هريرة، ونظرائهما. ومما تجدر الإشارة إليه أن الخطابي لم يكن مُقلِداً صِرْفاً، بل كان له إجتهاده في كثير من المسائل، وله ترجيحاته التي يخالف فيها أحياناً الإمام الشافعي رحمه الله.

وذلك لتمكنه من الأخذ بوسائل الاجتهاد، وأهليته لذلك.

٥ ـ الخطابي شاعراً وأديباً:

الإمام الخطابي أحد أئمة اللغة العربية، وأحد البارعين في علم غريب الحديث، لذا كان له اهتمامه بالأدب والشعر ولهذين أهميتها لدى العلماء قديماً وحديثاً، لما لهما من أثر في سلاسة الألفاظ العلمية، وما يترتب عليهما من حُسن سبك التراكيب والجمل اللفظية. إضافة لما يحدثه الأدب والشعر في النفس من تحريك للوجدان وإشعال للعواطف وإرهاف للحس فتنشط معه النفس لتلقى العلوم.

وعُرِف الإمام الخطابي بشعره الجميل ونثره الرائع، ويتمثل

---

(١) و (٢) انظر الكلام عن هذين الكتابين في المبحث المتعلق بمؤلفاته.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٧ : ٢٤.

ذلك جلياً في مختلف مؤلفاته، حيث تتميز بسهولة الأسلوب، وحُسن الكتابة، وإيجاز العبارة.

واشتهر الإمام الخطابي كثيراً بالشعر، وأثنى عددٌ من العلماء على شعره، من ذلك ما نقله الإمام الذهبي عن أحد الأدباء أنه قال: وله ـ رحمه الله ـ شعرٌ هو سحر[1] أهـ.

قال الإمام الثعالبي عنه.. إنه كان يقول شعراً حَسَناً[2].

وقال ياقوت: .. كان ... أديباً شاعراً لغوياً[3].

وقال الصَّفَدي: وشعره كثيرٌ جيد، وللحافظ السِّلَفي فيه أمداح كثيرة ولغيره[4].

وكانت أغراض الشعر لديه محصورة في الزهد، والحكم والورع، ووصف الدنيا ونحو ذلك.

وطريقته في ذلك طريقة العلماء حيث يسخرون شعرهم لما فيه خير للناس، وترقيق لقلوبهم بأبيات تصل إلى أفئدتهم.. وتؤثِّر فيهم.

وكان له ذوق شعري في انتقاء الأبيات التي يستشهد بها في الأبيات التي ذكرها في ثنايا كتاب «العزلة» حيث ينتخب الأبيات

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٦/١٧.
(٢) يتيمة الدهر ٣: ٣٣٤.
(٣) معجم الأدباء ١٠: ٢٦٨.
(٤) الوافي بالوفيات ٣١٨:٧.

الرائعة لعدد من الشعراء الفحول، وأكثر شعر الخطابي منصبٌّ على أهمية العزلة، والبعد عن الدنيا والتركيز على الآخرة مع ما يصحب ذلك من تأملات مختلفة لآيات الله في كونه العظيم.

فمن شعره في مدح العزلة قوله[1]:

أَنِستُ بِوِحْدَتي ولزمت بيتي فدام الأنُس لي ونما السرور
وأدَّبني الزمانُ فلا أُبالي هجرتُ فلا أُزارُ ولا أزَور
ولست بسائلٍ ما دمت حياً أسارَ الخيلُ، أم ركب الأمير

وقال أيضاً واصفاً عزلته ومادحاً لها:

إذا خلوتُ صفاً ذهني وعارضتني خواطر كطراز البرق في الظُلَم
وإن توالى صياح الناعقين على أذُني عرتني منه لُكْنَة العجمِ[2]

---

(١) هذه الأبيات ذكرها الإمام شمس الدين القرطبي في كتاب «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة» - ص ٦١٣، وعزاها للخطّابي، وكذلك ذكرها محمد بن الحسن السمان الحموي في كتاب «جمال الخواطر في الأدب والنوادر» ونسبت للخطابي ١ : ٥٣ و٥٤، وذكرها الخطابي في كتاب العزلة - ص ١٠٨، وقال أنشدنا بعضهم فلا أدري لم أبهمَ اسم قائلها؟ أم أنها له ولم يذكر اسمه تواضعاً ورغبة في عدم الشهرة، لأنه في الغالب في هذا الكتاب ذكر أسماء الشعراء الذين يستشهد بهم ويروى شعرهم.
انظر كتاب العزلة - ص١٠٧ و١٠٨ و١٠٩ و١١٢ و١١٣ وغيرها.

(٢) معجم الأدباء ١٠ / ٢٧٠.

وقال واصفاً حال أبناء زمانه، وتغيّرهم أنه لا يجد من يشاكله منهم:

وما غُمة الإنسان في شقة النوى ... ولكنها والله في عدم الشكل
وإني غريب بين بُستٍ وأهلِهَا ... وإن كان فيها أُسرتي وبها أهلي[1]

وقال في وصفه للحياة، حاثاً الناس على عدم الانغماس في ملذاتها الاهتمام بأمور الآخرة:

لعمرُكَ ما الحياةُ وإن حرصنَا ... عليها غير ريحٍ مُستعاره
وما للريح دائمة هبوب ... ولكن تارةً تجري وتاره[2]

وقال متفكراً في خلق الله واصفاً طائراً على شجرة:

ياليتني كنتُ ذاك الطائر الغردا ... من البرية منحازاً ومنفرداً
خلو الهموم سوى حب تلمسه ... في التُرُب، أو نفية[3] يروي بها كبدا
ما إن يؤرقُه فكرٌ لرزق غدٍ ... ولا عليه حسابٌ في المعاد غدا
طوباك من طائرٍ طوباك ويحك طبْ ... من كان مثلكُ في الدنيا فقد سعدا[4]

---

(١) يتيمة الدهر ٣ : ٣٣٥، وفي خزانة الأدب ٢ : ١٢٤ وجعل غربة بدل غمة، وكذا في وفيات الأعيان ٢ : ٢١٤.
وفي طبقات الشافعية للاسنوي ١٠ : ٤٦٨، وسير أعلام النبلاء ١٧ : ٢٨ وشذرات الذهب ٣ : ١٢٨، والوافى بالوفيات ٧ : ٣١٨.

(٢) معجم الإدباء ١٠: ٢٧٠، ويتيمة الدهر ٣/ ٣٣٥.

(٣) النفية: الماء القليل ـ بتصرف من لسان العرب ـ نفى ـ ٣/ ٦٩٧.

(٤) معجم الأدباء ٤/ ٢٥٥.

وقال واصفاً الأسلوب الذي ينبغي اتباعه في التعامل مع الناس، وأهمية الاحسان إليهم:

اِرضَ للنـــاس جميعـــاً	مثـلَ مـا تـرضـى لنفســك
إنمـــا النـــاس جميعـــاً	كلهـــم أبنـــاءُ جنســـك
غيـــر عـــدلٍ إن تـــوخـــى	وحشـــة النـــاس بـــأنســـك
فلهـــم نفـــسٌ كنفســـك	ولهـــم حـــسٌ كحســـك

قال أيضاً:

مـا دمـت حيـاً فـدارِ النـاس كلَّهـم
فـــإنمـــا أنـــت فـــي دار المـــداراة
من يدر داري ومن لم يدر سوف يرى
عمـا قليـل نـديمـاً للنـدامـات[1]

وقال أيضاً:

تســـامـــح لا تســـوّف حقــك كلــه
ابــقَ فلــم يَستقـصِ قــطُّ كــريــم
لا تغْل في شيء من الأمر واقتصد
كـلا طرفـى قصـد الأمـور ذميـم[2]

---

(١) خزانة الأدب ٢ : ١٢٤.
معجم الأدباء ٤ : ٢٥٨.
يتيمة الدهر ٣ : ٣٣٥.
والوافى بالوفيات ٧ : ٣١٨.

(٢) العزلة للخطابي ـ ص ٢٣٧.

وقال أيضاً:

وإنـي لأعَـرِفُ كيفَ الحقُـوق		وكيف يَبُر الصديقُ الصديق
ورحـب فـؤاد الفتـى محنـة		عليه إذا كان في الحال ضيق[1]

فبهذه الأشعار استحق أن يوصف كما قال الذهبي[2]: بأنه الفقيه الأديب.

هذا ولقد ذكر الأستاذ العلامة/ عبد الله كنون ـ رحمه الله ـ الإمام الخطابي مع الفقهاء الأدباء في مقال له بعنوان «أدب الفقهاء» بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق[3].

وذكر نماذج من شعره، مما ذكرته قريباً.. ثم قال: وليس أدل على شاعرية المرء من أن يسير كلامه بين الناس مسير المثل، ويتقبلونه، ويستشهدوا به في مثل المناسبة التي قيل فيها.. ثم قال: هذا ينبىء عن عارضة قوية، ولا يستطيع ناقد أن يلمزه بعيب فني لأن قائلها فقيه أهـ

ومما تجدر الإشارة إليه أن أكثر من أورد نماذج من شعر

= ومعجم الأدباء ٤ : ٢٥٩.
وفيات الأعيان ٣ : ٢١٥، وخزانة الأدب ٢ : ١٢٣.

(١) كتاب الآداب لجعفر بن شمس الخلافة ـ ص ١٢٠.

(٢) العبر ٢ : ١٧٤.

(٣) انظر مجلة المجمع العلمي بدمشق عدد رقم ٤٠ ـ ص٣٨٠. بتصرف يسير.

الخطابي هو الإمام الثعالبي في «يتيمة الدهر»[(١)] ونقلها عنه ياقوت في «معجم الأدباء»[(٢)]

شخصيته العلميـــة:

تميزت شخصية الإمام الخطابي العلمية بتعدد جانبها وإلمامه بالعديد من فنون العلم، مع استقلاله باجتهادات وآراء كثيرة. فهو في مجال الحديث وعلومه: محدِّث بارع له منهجه الحديثي، وفي مجال الفقه: فهو فقيه، جهبذ، له اجتهاداته العديدة في كثير من المسائل الفقهية، واعتنى بالعقيدة في كثير من شروحه، وله فيها عدة مؤلفات كما سيأتي، أما في مجال اللغة العربية فله اليد الطولى في ذلك حيث اعتنى باللغة العربية كثيراً.. وسخرها لخدمة حديث رسول الله ﷺ بشروح غريبه.

وفيما يتعلق بالشعر والأدب، فهو صاحب عبارة مُشرِقة، وأسلوب جميل في أشعاره، وفي كتاباته في مؤلفاته.

وله عناية أيضاً بالطب، والتداوى بالأعشاب والنباتات، يتضح ذلك جلياً في كتابه: «أعلام الحديث» وفي تأليفه كتاباً مستقلاً في الطب وسيأتي تفصيل لهذا عند الكلام على مؤلفاته بتوفيق العَلي الكريم.

---

(١) يتيمة الدهر ٣ : ٣٣٤ و٣٣٥.

(٢) معجم الأدباء ٤ : ص٢٥٤ حتى ص ٢٦٠.
معجم الأدباء ١٠ : ص ٢٧٠ إلى ٢٧٢.

مكانتــه العلميــة، وثناء العلماء عليــه:

حظـى الإمـام الخطَّـابـي ـ رحمـه الله ـ بثنـاء العلمـاء عليـه، وتقديرهم له، سواء من أهل عصره أو من بعدهم، ممن استفادوا من آثاره العلمية، وإليك بعض المقولات الدالة على ذلك:

١ ـ قال الإمام الحاكم ـ ت ٤٠٥هـ[١]: الفقيه الأديب، أقام عندنا بِنَيْسابور سنين وحدَّث بها، وكثرت الفوائد من علومه.

٢ ـ قال الإمام الثعالبي ـ ت ٤٢٩هـ:[٢] كان يشبه في عصرنا بأبي عبيد القاسم بن سَلاّم في عصره، علماً وأدباً، وزهداً، وورعاً وتدريساً، وتأليفاً، إلا أنه كان يقول شعراً حسَنَاً وكان أبو عبيد مُفْحمَاً[٣].

٣ ـ وقال السمعاني ـ ت ٥٦٢هـ[٤]: إمام فاضل، كبير الشأن، جليل القدر، صاحب التصانيف الحسنة.

٤ ـ وقال أبو طاهر السِّلفي ـ ت ٥٧٦هـ[٥]: وأما أبو سليمان

---

(١) الأنساب ٥: ١٥٩.
(٢) يتيمة الدهر ٤ : ٣٣٤.
(٣) مفحماً أي لا يقدر على قول الشعر.
انظر مادة (فحم) في القاموس المحيط ـ ص ١٤٧٧ ولسان العرب ٢ : ١٠٥٨ والصحاح ٥ : ٢٠٠٠ ومعجم مقاييس اللغة ٤ : ٤٧٩.
(٤) الأنساب ٥: ١٩٥.
(٥) مقدمة إملاء معالم السنن المطبوعة في آخر السنن ٤ : ٣٧٥ و٣٧٦.

الشارح لكتاب [أبو داود] إذ وقف مُنصفٌ على مُصنفاته، واطَّلع على بديع تصرفاته في مؤلفاته تحقَّق إمامته وديانته فيما يورده، وأمانته، وكان قد رحل في طلب الحديث وقرأ العلوم وَطَّوفَ ثم ألف في فنون العلم وصَّنف.

٥ ـ وقال الإمام ابن الجوزي ـ ت ٥٩٧هـ[١]: له فهم مليح، وعلمٌ غزير، ومعرفة باللغة والمعاني، والفقه، وله أشعار جيده وقال الإمام فخر الدين الرازي ـ ت ٦٠٦هـ:[٢] كان بحراً في علم الحديث. وقيل في صفته: جُعل الحديث لأبي سليمان كما جعل الحديد لأبي سليمان يعني داود عليه السلام.

٦ ـ وقال ياقوت الحموي ـ ت ٦٢٦هـ: كان محدِّثاً[٣]، فقيهاً، أديباً، شاعراً، لغوياً، كان من الأئمة الأعيان[٤].

٧ ـ ونقل عن أبي المظفر السَّمعاني أنه قال:[٥] كان حجة صدوقاً.

٨ ـ أما الإمام النووي ـ ت ٦٧٦ هـ: فلقد أثنى على الخطابي كثيراً، وأُعجب به في عدد من مؤلفاته ومن ذلك:

---

(١) المنتظم ٦ : ٣٩٧.
(٢) مناقب الإمام الشافعي للرازي ص ٢٢٥.
(٣) معجم الأدباء ١٠ : ٢٦٨.
(٤) معجم البلدان «بست» ١ : ٤١٥.
(٥) معجم الأدباء ١٠ : ٢٦٨ و٤ : ٢٥٠.

قوله:[1] الفقيه، الأديب، صاحب التصانيف المتداولة..

وقوله[2]: الفقيه الشافعي، المتفنِّن.

وقوله:[3] الفقيه، الأديب، الشافعي، المحقق.

وقوله:[4] الإمام المجمع على إمامته وتَفَنُّنه في العلوم، وإتقانه وإطلاعه، وتحريه وإنصافه.

وقوله:[5] هذا آخر كلام الخطابي، ومحله من العلم مُطلقاً، ومن اللغة خصوصاً بالغاية العليا.

٩ ـ وقال ابن خَلِّكان ـ ت ٦٨١هـ:[6] كان فقيهاً، أديباً، محدِّثاً، له التصانيف البديعة.

١٠ ـ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ ت ٧٢٨هـ :[7] هو إمام من أصحاب الشافعي متفق على علمه بالنقل وبالمعاني.

١١ ـ أما الإمام الذهبي ـ ت ٧٤٨هـ: فلقد ذكره ضمن حفاظ

---

(١) طبقات الشافعية للنووي ـ مخطوط ـ نقلاً عن ترجمة الخطابي في مجلة الرسالة عدد ٩٨ ـ ص ٨٢٢.
(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ١ : ٢٧.
(٣) المرجع السابق ١ : ١٤٤.
(٤) الترخيص بالقيام لذوي الفضل والمزية من أهل الإسلام ـ ص ٥٢.
(٥) تهذيب الأسماء واللغات ٤ : ١٩٩.
(٦) وفيات الأعيان ٢ : ٢١٤.
(٧) مجموع الفتاوى ٣٣ : ١٧٧.

الحديث الذين يعتمد عليهم في الجرح التعديل، حيث ذكره في كتابه: «تذكرة الحفاظ»[1] في الطبقة الثالثة عشرة. وقال:[2] كان ثقة، مُثبتاً، من أوعية العلم.

وقال:[3] الإمام العلامة الحافظ اللغوي ـ صاحب التصانيف.

وقال:[4] كان علامة محققاً.

١٢ ـ وقال الإسنوي ـ ت ٧٧٢ هـ: كان فقيهاً رأساً في علوم العربية والأدب، وغير ذلك[5].

١٣ ـ قال السُبكي ـ ت ٧٧١ هـ: كان إماماً في الفقه والحديث اللغة. وذكره الإمام أبو المظفر السمعاني في كتاب «القواطع في أصول الفقه» عند الكلام على العلة، السبب، والشرط، وقال: قد كان من العلم بمكان عظيم، هو إمام من أئمة السنة، صالح للاقتداء به، والإصدار عنه[6].

١٤ ـ وقال ابن كثير ـ ت ٧٧٤هـ: أحد المشاهير الأعيان، والفقهاء المجتهدين من المكثرين، سمع الكثير، وصنف

---

(١) تذكرة الحفاظ ٣ : ١٠١٩.
(٢) تذكرة الحفاظ ٣ : ١٠١٩.
(٣) العبر في خبر من غبر ٢ : ١٧٤.
(٤) سير أعلام النبلاء ١٧ : ٢٤ و٢٥.
(٥) طبقات الشافعية للاسنوي ١ : ٤٦٧ رقم ٤٢٠.
(٦) طبقات الشافعية للسبكي ٣ : ٢٨٢ و٢٨٣.

التصانيف الحسان، وله فهم مَليح، وعلم غزير، ومعرفة باللغة والمعاني والفقه[1].

١٥ ـ وقال الشيخ شرف الدين البَهْنَسِي ـ ت نحو ٨٢٠ هـ: أبو سليمان الخطابي من الأئمة الأعلام المجتهدين في قواعد الأحكام: وكان ـ رحمه الله ـ فقيهاً محدثاً أصولياً، جمع بين الحديث والفقه، ومد في تحقيق العلم باعاً مديداً، وأحكم من مبانيه رُكْنَاً شديداً، حتى قلد أعناق أهل العلم المنن[2].

١٦ ـ قال الإمام الفيروزآبادي ـ ت ٨١٧هـ: المحدث اللغوي الأديب المحقق المتقن من الأئمة الأعيان[3].

١٧ ـ وقال الإمام العراقي (٨٠٦هـ) لكن الخطابي نقل التقسيم [أي تقسيم الحديث إلى ثلاثة أقسام، حديث صحيح وحسن وسقيم] عن أهل الحديث، وهو إمام ثقة[4] ، قال أيضاً: كان رأسا في العربية والأدب الغريب.

١٨ ـ قال ابن قاضي شهبة ـ ت ٨٥١هـ: كان رأساً في علم

---

(١) البداية والنهاية ١١ : ٢٣٦ و٣٢٤.
(٢) الكافي في معرفة علماء مذهب الشافعي قال الزركلي في الأعلام ٢ : ١٩٣ ـ إنه مخطوط. ونقلت كلام البهنسي من مقدمة كتاب اصلاح غلط المحدثين ضمن كتاب الرسائل الكمالية ـ ص ٤٠.
(٣) البُلغة ١ : ٩٤ رقم ١١٦.
(٤) التقييد والإيضاح ـ ص١٩ وطرح التثريب ١/ ٤٤.

العربية والفقه والأدب وغير ذلك[1].

١٩ ـ وقال الإمام السيوطي ـ ت ٩١١هـ الإمام العلاَّمة المفيدُ المحدِّث الرَّحال أبو سليمان. . وكان ثقة مُثبتا من أوعية العلم[2].

٢٠ ـ وقال العلامة أحمد مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده ـ ت ٩٦٨[3] هـ الإمام المشار إليه في عصره، والعلامة فريد دهره في الفقه والحديث والأدب، ومعرفة العرب له التصانيف المشهورة، والتأليفات العجيبة.

٢١ ـ وقال الإمام عبد الحي بن العماد الحنبلي[4] ـ ت ١٠٨٩هـ: كان أحد أوعية العلم في زمانه، حافظاً فقيهاً مبرزاً على أقرانه.

● ● ●

(١) طبقات الشافعية ـ ص ١٠٦.
(٢) طبقات الحفاظ ـ ص ٤٠٤.
(٣) مفتاح السعادة ٢/١٢٨.
(٤) شذرات الذهب ٣/١٢٨.



الفصل الثالث

مؤلفات الإمام الخطابي

☆ تمهيـد

☆ مؤلفاتـه في الفنون المختلفـة عدا الحديثيـة

☆ ما عُدَّ من مؤلفاته ولم تثْبت نسبته إليـه

☆ مؤلفاته الحديثيّة ـ غير المطبوعة



مؤلفات الإمام الخطَّابي

«تمهيد»

حرص الإمام الخطابي ـ رحمه الله ـ على أن يعم النفع بعلمه، وأن لا يحرم من جاء بعده من الاستفادة من علومه وآرائه واجتهاداته فألّف عدداً من المؤلفات العلمية استجابةً لرغبات طلابه؛ فبقيت بعده مشاعل يستضيء بها العلماء، ويستنير بها طلاب العلم وروّاد المعرفة. كما أشار إلى ذلك في مقدمات بعض كتبه أو مؤلفاته الآتي ذكرها.

ولقد عرف عنه ـ رحمه الله ـ جودة التصنيف وحرصه على تسيير انتفاع الناس بمؤلفاته.

قال الإمام ابن قاضي شهُبة «صنَّف التصانيف النافعة المشهورة»[١] وكذا قال الإسنوي[٢]، والعراقي[٣].

---

(١) طبقات الشافعية لابن قاضي شُهبة ١ : ١٥٦.
(٢) طبقات الشافعية للأسنوي ١ : ٤٦٧.
(٣) طرح التثريب ١ : ٤٤.

قال ابن العماد الحنبلي: صاحب التصانيف النافعة الجامعة[1].

وهكذا وصف ـ رحمه الله ـ بأنه صاحب التصانيف من قبل عدد من الأئمة كالذهبي[2]، وابن الجوزي[3] والسيوطي[4].

وكانت مؤلفاته ـ رحمه الله ـ في فنون مختلفة من العلم فلم يقصرها على فن دون غيره، فهو إمام فقيه، محدث لغوي، أديب.

كما قال أبو طاهر السِّلَفى: وأما أبو سليمان فإذا وقف منصف على مصنفاته، واطَّلع على بديع تصرفاته، في مؤلفاته تحقق إمامته وديانته. وكان قد رحل في طلب الحديث، وقرأ العلوم وطَوّف، ثم أَلفّ في فنون العلم وصنَّف[5]. وحظيت مؤلفاته ـ رحمه الله ـ بالقبول والانتشار كما قال عنه الإمام النووي: أبو سليمان الخطابي صاحب التصانيف[6] المتداولة.

---

(١) شذرات الذهب ٣ : ١٢٨.
(٢) سير أعلام النبلاء ١٧ : ٢٣.
(٣) المنتظم ٦ : ٣٩٧.
(٤) طبقات الحفاظ للسيوطي ـ ص ٤٠٤.
(٥) معالم السنن ٤/ ٣٧٥، ٣٧٦.
(٦) طبقات الشافعية للنووي وهو مخطوط، ونقلت النص السابق من ترجمة برهان الدين الداغستاني للإمام الخطابي في مجلة الرسالة عدد ٩٨ ـ ص ٨٢٣، المجلد الثالث.

وقال ابن طاهر القيسراني ـ عن تصانيف الخطابي ـ: كثُرت المنفعة بها[1].

والظاهر ـ والله أعلم ـ أن أكثر مؤلفاته كتبها في نيسابور حيث أقام بها مدة من الزمن. . ويدل على ذلك قول الإمام الذهبي: أقام مدة بنيسابور يصنِّف، فعمل غريب الحديث، وكتاب معالم السنن، وكتاب شرح الأسماء الحسنى، وكتاب العزلة، وكتاب الغُنية عن الكلام وأهله[2].

فمؤلفاته متنوعة في عدة علوم منها العقيدة، وعلوم القرآن، والحديث وعلومه، والفقه، واللغة، والكلام، والطب، والزهد، والسلوك والمناقب، والمواعظ وغيرها كما سيأتي تفصيله قريباً بتوفيق الله تعالى.

هذا وقد تبيَّن لي بعد البحث والمراجعة أن تلك المؤلفات منها المطوَّل، ومنها المختصر، ومنها المخطوط، ومنها المطبوع، ومنها المُفتقد. وسأسْرد أولاً قائمة بأسماء مؤلفاته، ثم أعرج على الكلام المفصَّل على كل منها بحسب ما توصَّلت إليه في بحثي عنه. . هي:

١ ـ إصلاحُ غَلَط المحدّثين.

---

(١) مسألة العلو والنزول ـ ص ٨٦.

(٢) تذكرة الحفاظ ٣ : ١٠١٩

٢ ـ أعلامُ الحديث في شرح صحيح البخاري، وسمَّاه بعضهم: «أعلام السنن».

٣ ـ ابن الصياد.

٤ ـ الأمالي.

٥ ـ بيان إعجاز القرآن.

٦ ـ تفسير اللغة التي في مختصر المزني.

٧ ـ التوحيد.

٨ ـ جمع القرآن.

٩ ـ الجهاد.

١٠ ـ دلائل النبوة.

١١ ـ الرسالة الناصحة.

١٢ ـ السراج.

١٣ ـ شأن الدعاء.

١٤ ـ الشِّجَاج.

١٥ ـ شرح أسماء الله الحسنى.

١٦ ـ شرح (كتاب الدعوات لابن خزيمة)

١٧ ـ شعار الدين، وبراهين المسلمين.

١٨ ـ الطب.

١٩ ـ العروس.

٢٠ ـ العزلة ـ الكبير ـ ولم يتمه.

٢١ ـ العزلة الصغير وهو المطبوع.

٢٢ ـ علم الحديث.

٢٣ ـ غريب الحديث.

٢٤ ـ الغُنية عن الكلام وأهله.

٢٥ ـ الفِطرة.

٢٦ ـ الكَلَالَة.

٢٧ ـ معالم السنن في شرح سنن أبي داود.

٢٨ ـ معرفة السُنن والآثار.

٢٩ ـ مناقب الإمام الشافعي.

٣٠ ـ منتخب الموطأ.

ومما عُدَ من مؤلفاته، ولكن لم تثبت نسبته إليه مايلي:

١ ـ عُجَالة العالم.

٢ ـ معالم التنزيل.

٣ ـ من روى عن النبي ﷺ هو وأبوه.

٤ ـ عقيدة الخطابي.

وأقول بعد عرض أسماء مؤلفاته:

إن الناظر في تلك المؤلفات ليظهر له جليّاً إخلاص الخطابي ـ النية لله عز وجل ـ في تأليفها ويتَّضح ذلك في:

١ ـ أنَّ أكثر تلك المؤلفات ألَّفها بناء على رغبة طلابه، ولم يعرف أنه ألف كتاباً ليهديه لأحد الولاة في زمانه، أو ليرد أو يجارى أحد العلماء من أقرانه.

٢ ـ حرصه على ملء مؤلفاته بالفوائد العلمية، ودقته وتحرير عبارته، دليل على رغبته في إفادة الناس بما هم في حاجة له، وترك الزبد عنهم جانباً، كما سيأتي في مميزات مؤلفاته الحديثية.

٣ ـ ما حظيت به مؤلفات الخطابي من ذيوع وانتشار وقبول لدى العلماء وطلاب العلم منذ زمن تأليفها إلى عصرنا الحاضر.

ويتمثل ذلك في توافر الناس عليها، ونهلهم منها، وكثرة نقولهم عنها، وروايتهم لها، فكتابه «غريب الحديث» يعتبر من الأمهات في هذا الفن. واستفاد منه خلق كثير في كتبهم كما يأتي في أثره في غيره. وكتابه «معالم السنن» يعتبر المرجع الأول لكل من أراد شرح سنن أبي داود، وكذلك «أعلام الحديث» لمن رام شرحاً لحديث في «صحيح البخاري» فهو عالة عليه غالباً. فكل من ألف في شرح هذين الكتابين فغالباً ما يعتمد على شرح الخطابي لهما ويعتبر كتاب «إصلاح غلط المحدثين» من أفضل ما أُلِّف في التصحيف والتحريف. أما كتابه «العزلة» فهو من الكتب الحافلة لمن رغب المراجعة في الزهد والأخلاق والآداب، وكذلك كتابه «شأن الدعاء» فهو من الكتب الهامة لدى الباحثين فيما يتعلق بالدعوات والأذكار، وشرح أسماء الله الحسنى وما يتعلَّق بذلك.

كذلك يقال عن كتابه «بيان إعجاز القرآن» من جودة تأليفه، وحسن آرائه فيه رغم صغر حجمه.

وما كثرة نقول العلماء عن الخطابي في مؤلفاتهم في العقيدة إلا دليل على جودة تصنيفه فيها.

• • •



مؤلفاته في الفنون المختلفة

١ ـ مسألة في ابن الصيَّاد:

ذكره في كتاب أعلام الحديث[١]، عند كلامه عن ابن الصياد فقال: «قد اختلف الناس في امره (أي ابن الصيَّاد) اختلافاً شديداً هل هو الدجال أم لا؟، واضطربت فيه الروايات، والآراء من العلماء، وقد جمعتها في مسألة مفردة، وذكرت فيها تلك الأخبار بأسانيدها.. الخ.

٢ ـ بيان اعجاز القرآن:

اسمه وتوثيق نسبته للمؤلف:

أشار الإمام الخطابي إلى هذه الرسالة (أو الكتاب) في مقدمته لكتابه «شعار الدين»[٢] فقال: «أما بعد: فإن أخاً من إخواني سألني بيان ما يجب على المسلمين علمه، ولا يسعهم جهله؛ من أمر الدين وشرح أصوله: في التوحيد، وصفات البارى تعالى،

(١) أعلام الحديث ١/ ٧١١.

(٢) انظر ما نقله عنه ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية ١/ ٢٤١.

والكلام في القضاء والقدر، والدلالة على نبوة محمد ﷺ، **وبيان إعجاز القرآن**، والقول في ترتيب الصحابة.

ولم يذكر هذا الكتاب أحد من المتقدمين الذين ترجموا للمؤلف حسب ما رجعت إليه، إنما ذكره بعض من ألف في علوم القرآن فيما يتعلق بإعجاز القرآن.

وممن ذكره من المؤلفين في علوم القرآن الكريم:

ـ الإمام الزَرْكَشي[١] في حديثه عن معرفة إعجاز القرآن فذكر أن ممن أفرده بالتصنيف: الإمام الخطابي، ونقل من كلامه في هذا الكتاب ما يتعلق ببلاغة القرآن وشدة تأثيره في النفوس.

ـ وذكره الإمام السيوطي[٢] في «الإتقان» في النوع «الرابع والستون» في باب إعجاز القرآن، فقال: أفرده بالتصنيف خلائق منهم الخطابي و. . و. . ونقل من كلامه ما يتعلق ببلاغة القرآن.

وبالرغم من قلة من ذكروا الكتاب إلا أن الكتاب قد روى مسنداً في كل طبعاته حيث إن نسخته مروية بالإجازة سنة ٥٦٦هـ برواية الشيخ أبي عبد الله محمد بن حيَّان الفهري بسنده حتى روايته عن أبي الحسن السجزي عن المؤلف الخطابي ـ ص ١١.

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٢ : ٩٠ و١٠١ ـ ١٠٦.
(٢) الإتقان ٤ : ٣ و١٢ و١٣.

موضوع الكتـــاب:

الحديث عن إعجاز القرآن، ووجوهه، والراجح منها.

عرض موجز لمضمون الكتاب:

يعتبر الإمام الخطابي أحد الأئمة المعروفين باهتمامهم بإعجاز القرآن الكريم، ولا غرابة في ذلك فهو إمام جليل، جمع الله له بين عدة علوم أهمها الحديث، والفقه، واللغة العربية، فسخرها للاستفادة من كتاب الله وخدمته فاستفاد من آيات القرآن كثيراً في الاستدلال على أحكامه في شروحه الحديثية، واستفاد من معرفته اللغوية في فهم آي القرآن، ومعرفة بلاغتها، وجزالة ألفاظها.

ومن اهتمامه بإعجاز القرآن أنه لم يكتف بتأليف هذا الكتاب الموجز فيه. بل إنه يشير لإعجاز القرآن في مؤلفاته الأخرى.

ففي كتاب «شأن الدعاء» قال: يريد بقوله (هن من القرآن) أن هذه الكلمات موجودة في القرآن، وليست بقرآن من جهة النظم فيكون آية متلوة، وهذا يدل على أن إعجاز القرآن إنما هو في لفظه ونظمه معاً، لا في لفظه فحسب. أهـ

وهو في كتابه «بيان إعجاز القرآن» على ما فيه من إيجاز، إلا أنه استوفى جوانب الموضوع، فبدأ الكتاب دون ذكر مقدمة مستقلة، على خلاف عادته في مؤلفاته.. وقد يكون له مقدمة ساقطة من كل الطبعات أو أن الكتاب جزء من كتاب كبير فلا داعي للمقدمة، بل عنون بقوله: القول في بيان إعجاز القرآن فقال: قد أكثر الناس الكلام في هذا الباب قديماً وحديثاً، وذهبوا فيه كل

مذهب من القول، وما وجدناهم بَعْدُ صَدَرُوا عن رِيٍّ من القول، وذلك لتعذر معرفة الإعجاز في القرآن، وصعوبة الأمر في الوقوف على كيفيته.

ثم ذكر آراء بعض أهل العلم في وجوه إعجاز القرآن. واختار أنَّ إعجاز القرآن من جهة البلاغة، فلا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ثم استطرد قائلاً: فتفهم الآن وأعلم أنَّ القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نُظُوم التأليف، مضمنَّاً أصحَّ المعاني.

وأطال الكلام في الحديث عن بلاغة القرآن وعن ألفاظه وأساليبه، وضرب على ذلك عدة أمثلة من آيات القرآن، استشهد (للدلالة على معناها) بعدد من الأبيات الشعرية، وأورد ذلك في تحليل أدبي، وأسلوب بلاغي يدل على جزالة ألفاظ كتاب الله عز وجل ويكشف بحق عما تميز به قلم الإمام الخطابي من تذوق فني، وحس أدبي تجاه آيات كتاب الله الكريم.

عنايـة الباحثين بـه:

وحظى كتاب «بيان إعجاز القرآن للخطابي» باهتمام عدد من الباحثين المعاصرين، حيث قاموا بدراسته، وتناول منهجه وآرائه في إعجاز القرآن الكريم. وتقدم بيان أسماء عدد من العلماء الذين ذكروه في مؤلفاتهم المتعلقة بعلوم القرآن الكريم.

وممن اهتم به من الباحثين المعاصرين وأفرد له كتاباً مستقلاً الأستاذ صباح عُبيد دراز في كتابه «البلاغة القرآنية عند الإمام

الخطابي» المطبوع في مطبعة الأمانة بالقاهرة سنة ١٤٠٦هـ[1].

وكثر النقل منه لدى المؤلفين في إعجاز القرآن سواء من المتخصصين في علوم القرآن[2] أو في علم البلاغة قديماً وحديثاً[3].

وقام المستشرق كلود أود بير الفرنسي بترجمته إلى الفرنسية، ونشره المعهد الفرنسي بدمشق[4] عام ١٩٨٢م.

طبعـــات الكتاب:

طبع الكتاب عدة مرات بتحقيقات مختلفة وقفت على ثلاث طبعات منها وهي:

١ ـ طبع الكتاب في الجامعة الإسلامية بعليكره في الهند سنة ١٣٧٢ هـ ١٩٥٣م بعنوان بيان إعجاز القرآن. وقد عنى بهذه الطبعة ضبطاً وتصحيحاً الدكتور/ عبد العليم ـ عميد القسم العربي في الجامعة الإسلامية بعليكره وبذل جهداً مشكوراً في إخراج

---

(١) انظر نشرة أخبار التراث العربي ـ العدد رقم ٣٣ ـ ص ٢١.

(٢) انظر مباحث في علوم القرآن ـ ص ٢٦٣.

(٣) وانظر ما كتبه الأستاذ نعيم الحمصي في مقال: تاريخ فكرة إعجاز القرآن بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٢٧ : ٤٣٠.
انظر البلاغة تطور وتاريخ ـ ص ١٠٢ و١٠٣.
وإعجاز القرآن والبلاغة القرآنية للرافعي ـ رحمه الله ـ ص ١٥٠.
والإعجاز والقراءات ـ د/ فتحي فريد ـ ص ١١.

(٤) انظر نشرة أخبار التراث الإسلامي عدد ١٨ص ١٩.

الكتاب وتصحيحه، وتفسير الألفاظ الغريبة، وتخريج بعض الأبيات الشعرية.

وكانت هذه الطبعة على نسخة وحيدة موجودة في مكتبة ليدن بهولندا[(١)].

٢ ـ وطبع أيضاً في مطبعة التأليف بالقاهرة سنة ١٣٧٢هـ، ١٩٥٣م بعنوان «بيان إعجاز القرآن» وذلك بشرح وتعليق الشيخ/ عبد الله الصديق الغُماري رحمه الله تعالى. وأطال النفس في التعليق والشرح لبعض المواضع في الكتاب.

وكان طبع الكتاب على نسخة وحيدة من المكتبة الصديقية بطنجة وخطها مغربي[(٢)].

هذا وقد ألحق بهذه الطبعة فصل في إعجاز القرآن نقل من كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض ـ رحمه الله ـ ت ٥٤٤هـ.

٣ ـ وطبع بعد ذلك في دار المعارف في القاهرة سنة ١٣٧٤هـ، ١٩٥٥م بتحقيق وتعليق كل من: محمد خلف الله

---

(١) و (٢) من الطريف في الأمر أن كلا المحققين كان يبحث بحرص شديد عن النسخة الثانية التي في يد الآخر، ولم يستطع كل منهما الظفر بها. فالحمد لله أن الكتاب طبع مرتين على نسختين مختلفتين لتعم فائدته.

أحمد، والدكتور/ محمد زغلول سلام مع رسالتين في إعجاز القرآن لابن الرُمّاني ـ ت ٣٨٦هـ ولعبد القاهر الجرجاني ـ ت ٤٧١هـ وسمى الكتاب: «ثلاث رسائل في إعجاز القرآن».

وتعتبر هذه الطبعة هي أفضل طبعات الكتاب، حيث تلافى المحققان ما في الطبعات السابقة من الأخطاء، وأجادا في التعليق على بعض النصوص، وتفسير بعض المفردات الغربية، وتخريج الأبيات الشعرية.. وتذييل الكتاب بفهارس متعددة لمحتويات الكتاب، والأعلام، والبلدان، والقوافي، والأسماء الكتب الواردة في الكتاب(١).

٣ ـ تفسير اللغة التي في مختصر المزني:

ذكره الإمام السبكي(٢) ونسبه إليه بقوله: «قال الخطابي في كتابه «تفسير اللغة التي في مختصر المزني».

وذكره الإمام النووي(٣)، وسماه: «الزيادات في شرح الفاظ مختصر المزني»، للإمام أبي سليمان الخطابي. ونقل منه شرح بعض المفردات الغربية.

قلت: لعل تسميته بالزيادات للدلالة على ما زاده الخطابي من

---

(١) للاستزادة: انظر ما كتب عن هذه الطبعة في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ـ عدد ٤٦ ـ ص ١٦٠ و١٦١.
(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٣ : ٢٩٠.
(٣) تهذيب الأسماء واللغات ١ : ٣٠ مادة: بغى.

ألفاظ في شرح مختصر المزني، على غيره ممن شرحوا ألفاظ «مختصر المزني» كالإمام الأزهري ـ ت ٣٧٠هـ.

ويتضح من قول السبكي: «في باب الشفعة» بأن الخطابي قد رتب كتابه على الأبواب الفقهية، ويذكر في كل باب ما يقع فيه من ألفاظ وعبارات غريبة لها تعلق به.

٤ ـ التوحيد:

ذكر هذا الكتاب الإمام ابن رجب الحنبلي ـ ت ٧٩٥هـ ـ رحمه الله ـ في كتابه القيم: «جامع العلوم والحكم». في آخر شرحه للحديث الثاني والعشرين حيث قال:[١]

«ويشهد لهذا المعنى حديث معاذ عن النبي ﷺ قال: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»[٢]، فإنَّ المحتضر لا يكاد يقولها إلا بإخلاص وتوبة، وندم على ما مضى، وعزم على أن لا يعود لمثله، ورجح هذا القول: الخطابي في مصنف له في التوحيد[٣]، وهو حسن. أهـ.

---

(١) جامع العلوم والحكم ـ ص١٨٥.

(٢) أخرجه أحمد ٥ : ٢٤٧، وأبو داود في الجنائز رقم ٣١١٦.
والحاكم في الجنائز، باب من كان كلامه.. ـ ١ : ٣٥١.
وقال: هذا حديث صحيح الاسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي عليه.

(٣) قلت: لا أدري هل للخطابي كتاب مستقل في التوحيد، أم أنه ذكر ذلك القول في كتابه «شعار الدين وبراهين المسلمين» حيث أنه مصنف في التوحيد كما سيأتي.

٥ ـ مسألة في جمع القرآن الكريم:

ذكرها الخطابي في كتابه «أعلام الحديث»[١] فقال: متحدثاً عن جمع القرآن: «وقد كتب إليَّ بعض إخواني من بلخ في هذا الباب، فأخرجت لهم مسألة مستوفاة تشتمل على ذكر أكثر ما يلزم معرفته منه . . ثم تكلم عن جمع القرآن في زمن الرسول الله ﷺ ثم في زمن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ ثم في زمن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه[٢].

٦ ـ الجهـــاد:

ذكره حاجي خليفة[٣]، وإسماعيل باشا[٤]، وسمياه كتاب الجهاد. وقال محقق كتاب «غريب الحديث» للخطابي: إنه مخطوط ولم يبيِّن مكانَ وجوده.

وكذا قال الدكتور/ حاتم صالح الضامن[٥] في مقدمة تحقيقه لكتاب «إصلاح غلط المحدثين».

---

(١) أعلام الحديث ٣ : ١٨٥١ و١٨٥٢.
(٢) المرجع السابق من ٣ : ١٨٥٢ إلى ١٨٥٩.
(٣) كشف الظنون ٢ : ص ١٤١٠.
(٤) هدية العارفين ٥ : ٦٨.
(٥) إصلاح غلط المحدثين ـ ص ٨.

٧ ـ دلائـــل النبوة:

ذكره الإمام الخطابي[١]، ونسبه لنفسه في كتابه «أعلام الحديث» فقال: «والخبر مشهور قد أمليناه في «دلائل النبوة»»، وأشار إليه أيضاً في كتابه «شعار الدين» فقال:[٢]

فإنَّ أخاً من إخواني سألني بيان ما يجب على المسلمين علمه ولا يسعهم جهله، من أمر الدين، وشرح أصوله في التوحيد، وصفات البارى تعالى، والكلام في القضاء والقدر، والمشيئة **(والدلالة على نبوة محمد ﷺ)**.

فلا أدرى هل كلامه في «دلائل النبوة» جعله في كتاب مستقل أم ضمن كتاب «شعار الدين»؟؟

٨ ـ الرسالـة الناصحـة:

ذكرها محقق كتاب «أعلام الحديث»[٣] للخطابي، وسماها «الرسالة الواضحة فيما يعتقد في الصفات».

وذكرها محقق[٤] «إصلاح غلط المحدثين» في مقدمة التحقيق سماها: «الرسالة الناصحة».

---

(١) أعلام الحديث للخطابي ٢ : ١٣٨٤.
(٢) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ـ ص ٢٤٩.
(٣) أعلام الحديث ١ : ٤٢.
(٤) اصلاح غلط المحدثين ـ تحقيق عبد الكريم الرديني ـ ص ٢٢.

وذكرت في ترجمة[1] الخطابي في الرسائل الكمالية، وسيمت الرسالة الناصحة فيما يعتقد في الصفات.

وذكرها برهان الدين الداغستاني[2] في ترجمته للخطابي وسماها الرسالة الناصحة فيما يعتقد في الصفات.

٩ ـ السراج:

ذكره الإمام الخطابي في كتابه «أعلام الحديث»[3]، فقال: وقد أشبعنا الكلام في بيان زيادة الإيمان ونقصانه وسائر أحكامه، فمن أحب أن يستوفي ما ذكرناه من علمه فليأخذه من كتاب «السراج» فالقدر الذي ذكرناه هاهنا كافٍ على شرط ما أنشىء له هذا الكتاب ـ إن شاء الله ـ أهـ.

وقال في الموضع الآخر: وسنذكر فيما بعد فرق ما بين الإيمان بالله، والإيمان لله فيزول معه الشبه في هذا الباب، وليس هذا موضع استقصائه وقد أشبعت بيان هذا الباب في كتاب «السراج» أهـ.

١٠ ـ الشجـاج:

اختلف في اسم الكتاب، فسماه الإمام القِفْطي[4]، وياقوت

(١) الرسائل الكمالية ـ قسم الحديث ـ ص ٤١.

(٢) انظر مجلة الرسالة ـ العدد ٩٩ـ ص ٨٦٥ ـ المجلد الثالث.

(٣) أعلام الحديث ١: ١٤٥ و ١٥٩.

(٤) أنباه الرواه ١: ١٢٥.

الحموي[1]، «كتاب الشجاج» ـ «بالشين والجيم» ـ وسماه ابن خلِّكان[2] كتاب الشحاح ـ بالحاء ـ، وسماه إسماعيل باشا[3] «كتاب النجاح» بالنون.

والذي يترجح ـ والله أعلم ـ أن اسمه كتاب الشجاج بالجيم لأنه اختيار عدد ممن ترجموا للمؤلف، وذكروا مؤلفاته، ولعل ما في الكتب الأخرى من تحريف لاسمه إنما هو تحريف نسخ أو طباعة ثم إنَّ هذا الاسم هو الأقرب لكتب العلم حيث إنَّ الشجاج يقصد بها: جمع شجة وهي الجراحة وتسمى بذلك إذا كانت في الوجه أو الرأس، فمن اعتُديَ عليه فيجب له القصاص، أو التعويض المالي المسمى «أرش الجناية»[4]

ويتناول هذا الفقهاء في أبواب القصاص والديات. لا سيما أنَّ الإمام الخطابي فقيه شافعي فحريٌّ به أن يتناول هذا الباب من الفقه.

---

(١) معجم الأدباء ١٠: ٢٦٩.
(٢) وفيات الأعيان ٢: ٢١٤.
(٣) هدية العارفين ٥: ٦٨.
(٤) المصباح المنير للفيومي مادة شج ١ : ص ٣٠٥.

١١ ـ شرح كتاب الدعوات لابن خزيمة.

أو شرح الأدعية المأثورة.

أو الدعوات وتفسيرها.

سيأتي الكلام عليها بالتفصيل عند كلام عن كتاب «شأن الدعاء».

١٢ ـ شرح الأسماء الحسنى:

سيأتي الكلام عليه مفصلاً، عند الكلام عن كتاب «شأن الدعاء».

١٣ ـ شعار الدين وبراهين المسلمين:

ذكره ونقل منه شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في كتابه «درء تعارض العقل والنقل».

فقال ـ رحمه الله ـ وهكذا ذكر الخطَّابي في كتاب «شعار الدين»[(١)] وقال في موضع آخر من الكتاب.. وقال الخطابي فيما ألحقه بكتاب «شعار الدين وبراهين المسلمين»[(٢)].

ونقل منه أيضاً في كتاب «بيان تلبيس الجهمية»[(٣)] فقال قال الشيخ أبو سليمان الخطابي في كتاب «شعار الدين» أما بعد: فإنَّ

(١) درء تعارض العقل والنقل ٧ : ٢٩٤.
(٢) المرجع السابق ٧:٣١٦.
(٣) بيان تلبيس الجهمية ١: ٢٤٩.

أخاً من إخواني سألني بيان ما يجب على المسلمين علمه، ولا يسعهم جهله من أمر الدين وشرح أصوله: في التوحيد، وصفات الباري تعالى، والكلام في القضاء والقدر والمشيئة، والدلالة على نبوة محمد ﷺ وبيان إعجاز القرآن، والقول في ترتيب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وما يتَّصل به من الكلام وطلب إليَّ أن أُورد في كل شيء منها أوضح ما أعرفه من الدلالة، وأقربها إلى الفهم ينتفع به من لا يرضى بالتقليد فيما يعتقده من أصول الدين، وكان مع ذلك ممن لا يحب النظر في الكلام، ولا يجرد القول على مذهب المتكلمين ـ قال ابن تيمية ـ وذكر تمام الكلام، وذكر عدة أصول من الاستدلال بخلق الإنسان، والاستدلال بتركيب المتضادات وتأليفها. . الخ.

وذكره الشيخ برهان الدين الداغستاني[1] في ترجمته للخطابي، وسماه: «شعار الدين في أصول الدين» وقال عنه: إنه التزم فيه إيراد أوضح ما يعرفه من الأدلة من غير أن يلتزم طريقة المتكلمين. قلت: ما نقله ابن تيمية من الكتاب يفيد بأنَّه في الرد على المتكلمين، وتفنيد طرق استدلالاتهم الكلامية البعيدة عن طريق السلف. ولا أدري هل كل ما فيَ الكتاب حول الرد على المتكلمين أم أنه حوى موضوعات قد يدل عليها ما في مقدمته المذكورة قريباً.

---

(١) مجلة الرسالة العدد ٩٩ : ٨٦٥ المجلد الثالث.

١٤ ـ مسألـة في الطب:

ذكرها في كتابه «أعلام الحديث»[١] فقال: وقد ذكرنا في مسألة أفردناها في الطب، وبيان ما جاء في أحاديث النبي ﷺ من وصف التداوى والعلاج أن الطب على نوعين:

ـ الطب القياسي وهو طب اليونانيين الذي يستعمله أكثر الناس في واسطة بلدان أقاليم الأرض.

ـ وطب العرب والهند وهو الطب التجاربي. وذكرنا من شرح هذه الجملة هناك ما فيه غُنية وبلاغ.

وإذا تأمَّلت أكثر ما يصفه النبي ﷺ من الداء فإنما هو على مذهب العرب، إلا ما خُصَّ به من العلم النبوي الذي طريقه الوحي، فإنَّ ذلك فوق كل ما يدركه الأطباء، أو يحيط بحكمه الحُكماء، والأَلِبّاء.. الخ.

١٥ ـ العروس:

ذكره الإمام الصَّفَدي[٢]، وياقوت الحموي[٣]، ولم يذكرا شيئاً عن الكتاب.

---

(١) أعلام الحديث ٣/٢١٠٧ و٢١٠٨.

(٢) الوافي بالوفيات ٧/٣١٨.

(٣) معجم الأدباء ٤/٢٥٣.

١٦ ـ الغُنية عن الكلام وأهله:

سماه الإمام الذهبي[١]، والسُبْكي[٢] وابن قاضي شُهبه[٣]، وشيخ الإسلام ابن تيمية[٤] كتاب «الغنية عن الكلام وأهله».

موضوع الكتـاب:

ذمُّ علم الكلام، وبيان الاستغناء عنه بالمأثور من كلام الله ورسوله، وأئمة السلف الصالح رضوان الله عليهم.

السبب الباعث على تأليف الكتـاب:

هو استجابة الإمام الخطَّابي لطلب أحد طلاب العلم، وفي هذا يقول الإمام الخطَّابي[٥]: «وقفت على مقالك أخى ـ وَلِيَك الله بالحسنى، ولا وصفت من أمر نَاحِيتك، وما ظهر بها من مقالات

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٧/٢٦. وتذكرة الحفاظ ٣/١٠١٩.
(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٢:٢١٨.
(٣) طبقات الشافعية ١:١٥٧.
(٤) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في عدد من مؤلفاته ومنها: منهاج السنة ١ : ٣٠٣ ودرء تعارض العقل والنقل ٧ : ٢٧٨ وفي بيان «تلبيس الجهمية» ـ ص ٢٥١ وفي الفتوى الحموية الكبرى ـ ص ٣٤.
(٥) الغنية عن الكلام وأهله، المطبوعة ضمن «صون المنطق والكلام» للسيوطي ـ ص ٩٢.

أهل الكلام، وخوض الخائضين فيها، ومَيْل بعض منتحلي السُنَّة إليها، واغترارهم بها.

إلى أن قال: وسألتني أن أُمدك بما يحضرني في نُصره الحق من علم وبيان وفي رد مقالة هؤلاء من حجّةٍ وبرهان، وأن أسلك في ذلك طريقة لا يمكنهم دفعها، ولا يسوغ لهم من جهة العقل جحدها، وإنكارها، فرأيت إسعافك به لازماً في حق الدين، وواجب النصيحة لجماعة المسلمين فإنَّ الدين النصحية.

مشتملات الكتـاب

الكتـاب عبـارة عـن رسـالـة فـي ذم علـم الكـلام، وأهلـه، وطريقتهم، وبيان الاستغناء عنه بالمأثور من كلام الله ورسوله وأئمة السلف الصالح رضوان الله عليهم.

فجعل المؤلف الكلام فيه متَّصلاً دون تجزئته إلى أبواب أو فصول، ولكن يفهم من النصوص المطبوعة من الكتاب أنه مقسَّم إلى موضوعات متتابعة بحيث يذكر موضوعاً معيناً ويتناول جوانبه ثم ينتقل إلى غيره، وإن لم يضع لكل موضوع عنواناً مستقلاً في بدايته، وقد بدأ الرسالة بمدخل قال فيه: عَصَمَنا الله وإياك أخي من الأهواء المضلة والآراء المُغْوِيَة، والفتن المُحيِّرة، ورزَقَنا وإيَّاك الثبات على السنَّة والتمسك بها، ولزوم الطريقة المستقيمة التي دَرَجَ عليها السلف.

ثم بيَّن بعد ذلك سببَ تأليفه للرسالة.. وقد تقدَّم ذكره في السبب الباعث على تأليف الرسالة، ثم قال: واعلم يا أخي أدامَ

اللهُ سعادتَكَ أنَّ هذه الفتنة قد عمَّت اليوم وشملت وشاعت في البلاد واستفاضت، فلا يكاد يسلم من وهج غُبارها إلا من عَصمَهُ الله تعالى[1].

وقال: ثم إني تدبَّرت هذا الشأن فوجدت عظم السبب فيه أنَّ الشيطان صار اليوم بلطيف حيلته يُسوِّل لكل من أحس من نفسه بزيادة فهم، وفضل ذكاء، وذهن، ويوهمه أنه إنْ رضي في عمله ومذهبه بظاهر من السنة واقتصر على واضح بيان منها كان أسوة للعامة، وعدَّ واحداً من الجمهور والكافة، فإنَّه قد ضل فهمه، واضمحل لفظه وذهنه، فحركهم بذلك على التنطع في النظر، والتبدع لمخالفة السنة والأثر، ليَبِيْنُوا بذلك من طبقة الدهماء[2].

ثم وضَّح سبب ترك أئمة السلف لعلم الكلام مع أنهم ذوو عقول وافرة وأفهام ثاقبة.. فقال: وإنما تركوا هذه الطريقة وأضربوا عنها لما تحققوا من فتنتها، وحذروا من سوء مغبتها[3].

وشرع بعد ذلك في تناول عدد من المسائل الكلامية؛ كدلالة العقل على صحة أصول الدين، ووجود الخالق عز وجل وثبوت نبوَّة الرسول محمد ﷺ وبيان حجية خبر الآحاد، وإفادة العلم الصحيح.

---

(١) المرجع السابق ـ ص ٩٢.
(٢) المرجع السابق ـ ص ٩٣.
(٣) المرجع السابق ـ ص٩٤.

وخَتَم الرسالة بالكلام على أنَّ الحجة لا تكون إلا ببعث الرسل واستدل بقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[1]

ثم قال: فلو كانت الحُجَةُ لازمةً بنفس العقل لم تكن بعثة الرسل شرطاً لوجوب العقوبة، وقال الرسول ﷺ. «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»[2] فدلَّ على أنه الداعي إلى الإيمان وصحَّ أن الدعوة له والحجة إنما تقوم به، وقال السيوطي بعد ذلك: هذا آخر كلام الخطابي[3].

ولقد سلك الخطابي في تناول تلك المسائل أسلوباً واضحاً يعتمد على مُسَلّمات العقل السليم، وأَدِلة النقل المعتبرة من الكتاب والسنة.

طبعات الرسالـة:

طبعت نصوص متعددة من هذه الرسالة ضمن كتاب «صَوْن المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام» للسيوطي، بتعليق

---

(١) سورة الاسراء: الأية (١٥).

(٢) الحديث متفق عليه بلفظ حتى يشهدوا وهو طرف من حديث أخرجه البخاري في الإيمان، باب: ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ التوبة الآية (٥)، حديث رقم ٢٥. ومسلم في الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله رقم ٢٢.

(٣) الغنية ـ ص١٠١.

الدكتور/ علي سامي النشار، وذلك ضمن مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة سنة ١٣٨٩ هـ، ١٩٧٠م. وشغلت من الكتاب عشر صفحات من ٩١ ـ ١٠١.

ويرى الدكتور محمد رشاد سالم[١] ـ رحمه الله ـ أنَّ المطبوع منها في كتاب «صَوْن المنطق» إنما هو مختصر للرسالة وليست الرسالة كاملة. واستدلَّ على ذلك ان الإمام ابن تيمية قد لخصها[٢] في «درء تعارض العقل والنقل»، وذكر فيها نصوصاً وعبارات لم ترد عند السيوطي في «صون المنطق والكلام».

هذا ولقد شرح وعلَّق ابن تيمية على كثير من كلام الخطابي في رسالة «الغُنْية عن الكلام وأهله» عند تلخيصها في درء تعارض العقل والنقل[٣]. وقد لخَّصها أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب «بيان تلبيس الجهمية» من ص ٢٥١ ـ ٢٥٥. ونقل أيضاً منها ما يتعلق بالصفات في الفتوى الحَمَوية الكبرى ص ٣٤ و٣٥. وهذا مما لم يذكر في المطبوع من الرسالة ضمن كتاب «صون المنطق والكلام» للسيوطي.

---

(١) منهاج السنة النبوية ـ تحقيق الدكتور/ محمد رشاد سالم ١ : ٣٠٣ و٣٠٤.

(٢) و(٣) انظر درء تعارض العقل والنقل تحقيق الدكتور/ محمد رشاد سالم ج ٧ من ص ٢٧٨ ـ ٣١٦.

وكذا نقل الإمام اسماعيل بن محمد الأصبهاني ت٥٢٥هـ بضع صفحات في كتابه الحجة في بيان المحجة[١] هذا ما تيسَّر لي عن طبع الرسالة، واستفادة العلماء منها والله أعلم.

وعليه: يمكن القول بأنَّ كتب الإمام ابن تيمية ومن بعده الإمام الأصبهاني والسيوطي قد حفظت لنا في مجموعها نصوصاً متعددة من تلك الرسالة تكفى في إعطاء صورة واضحة عن مضمونها، وقيمتها العلمية، وإن لَم تشتمل على أصل الكتاب كاملاً.

١٧ ـ مسألة في الفطرة:

ذكرها الخطابي في كتابه «معالم السنن»[٢] وذلك عند ذكره لأقوال العلماء في حكم ذراري المشركين في الآخرة، فقال: وفيه أقاويل أُخر قد ذكرتها في مسألة أفردتها في تفسير الفطرة، وفيما أوردته ههنا كفاية على ما شرطناه من الاختصار في هذا الكتاب أهـ.

وذكرها أيضاً في كتاب «أعلام الحديث»[٣] عند شرحه لحديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ مولودٍ إلا يولد على الفِطْرة فأبواه يُهَوِّدَانِهِ أو يُنَصِّرَانِهِ أو يُمَجِّسَانِه[٤]» الحديث.

---

(١) الحجة ١/ ٣٧١ ـ ٣٧٦.

(٢) معالم السنن ٤/ ٣٢٧.

(٣) أعلام الحديث ١/ ٧١٧.

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري في عدة مواضع منها الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه رقم ١٣٥٨ و١٣٥٩.

وتطرق في أثناء شرحه لمعنى الفطرة وحكم ذراري المشركين وختم ذلك بقوله: «وقد ذكرت في تأويل هذا الحديث خمسة أوجهٍ أُخَر في مسألة أفردتها، أشبعت الكلام فيها وذكرت أطرافاً منها في كتاب «معالم السنن»[1] والقدر الذي أتينا به في هذا الكتاب وجيز كاف ـ إن شاء الله ـ أهـ.

١٨ ـ رسالة في الكلالة:

ذكرها الخطابي[2] في كتابه «معالم السنن» فقال: وقد أفردت مسألة في الكلالة وتفسيرها، وأودعتها من الشرح والبيان أكثر من هذا، وهو من غريب العلم، ونادره، وفيما أوردناه ههنا كفاية ـ إن شاء الله عز وجل ـ أهـ

١٩ ـ مناقب الإمام الشافعي رحمه الله:

ذكره الإمام الرازي في كتابه «مناقب الإمام الشافعي»[3] ووصفه أنه تصنيف مفرد في مناقب الشافعي ومآثره وفضائله.

• • •

= في التفسير، تفسير سورة الروم حديث رقم ٤٧٧٥.
وفي القدر. باب الله أعلم بما كانوا عاملين رقم ٦٥٩٩.
ومسلم في القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة رقم ٢٦٥٨.

(١) معالم السنن ٤ : ٣٢٧.

(٢) معالم السنن ٤ : ٩٤.

(٣) مناقب الشافعي ص٢٢٥.

ما عُدَّ من مؤلفات الإمام الخطابي
ولكن لم تثبت نسبته إليه:

١ ـ عجالة العالم:

هذا الكتاب نسبه إسماعيل باشا[١] للخطابي، فقال: «عُجالة العالم من كتاب المعالم في اختصار معالم السنن ـ له (أي الخطابي) وعده الدكتور/ محمد علي الرديني[٢] ضمن مؤلفات الإمام الخطاب سماه «عجالة العالم بين كتاب المعالم في إختصار معالم السنن». ولكن العلامة حاجي خليفة[٣] نسبه لغير الخطابي، فقال بعد حديثه عن «معالم السنن» للخطابي: لَخّصَهُ الحافظ شهاب الدين أبو محمود أحمد بن محمد بن إبراهيم المقدسي المتوفى سنة ٧٦٥هـ. خمس وستين وسبعمائة وسماه «عُجَالة العالم من كتاب المعالم» أهـ.

(١) هدية العارفين ٥: ٦٨.
(٢) مقدمة تحقيق «إصلاح غلط المحدثين» للخطابي بتحقيق الدكتور/ محمد علي الرديني ـ ص ٢٣.
(٣) كشف الظنون ٢: ١٠٠٥.

ووصفه الذهبي[1] بأنه الإمام العالم المحدث طالب مفيد، سريع القراءة، سمع الكثير وقرأ كُتباً بالقدس، ومصر.

قلت: لعل سبب الوهم في عزوه للخطابي هو اتفاق نسب الرجلين، حيث أن كلاً منهما اسمه: أحمد بن محمد بن إبراهيم..، ولأن الخطابي هو مؤلف «معالم السنن» التي هي أصل هذا المختصر. سبب هذا الوهم.

٢ ـ معالم التنزل:

هذا الكتاب ذكره الإمام الفيومي[2]، ونسبه للإمام الخطابي وجعله من موارده في كتابه «المصباح المنير».

قلت: الظاهر أنه قصد «معالم السنن» لتطابق النقول منه[3]، ولتقارب العنوانين.. وقد عده محققا ثلاث رسائل في إعجاز القرآن[4] من مؤلفات الإمام الخطابي، ولم يذكرا شيئاً عنه، ولا عمن نقلا اسم هذا الكتاب..؟؟

قلت: لم أجد من ذكره ضمن مؤلفات الخطابي سوى من تقدم وما أعرفه هو أن «معالم التنزيل» كتاب في تفسير القرآن الكريم»

---

(١) المعجم المختص بالمحدثين ـ ص ٣٣ ترجمة رقم ٣٤.
(٢) المصباح المنير ٢: ٧١٢.
(٣) المرجع السابق ـ ص ٩٠ و١٠٢ و١٩٨ و٢٠٩ و٣٠٦ و٣٥١ وج ٢: ٦٥٨.
(٤) مقدمة: ثلاث رسائل في إعجاز القران ـ ص ٨.

للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ـ ت ٥١٦هـ رحمه الله تعالى وهو مطبوع عدة طبعات.

٣ ـ كتاب من روى عن النبي ﷺ وأبوه:

ذكر هذا الكتاب الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه «الإصابة»[١] عند ترجمته لـ «كُثير بن العباس بن عبد المطلب» قال: قد ذكره الخطابي في كتاب من روى عن النبي ﷺ هو وأبوه، وقال: قالوا رأى النبي ﷺ.. الخ.

قلت: ذكر الدكتور/ شاكر محمود عبد المنعم[٢] أن هذا الكتاب ليس للإمام الخطابي، إنما للجعابي.. وأنه قد تحرف الاسم في «الإصابة لابن حجر» استدل على ذلك بأن ابن حجر قد نقل عن هذا الكتاب في أربعة مواضع من الإصابة[٣].

٤ ـ عقيدة الإمام الخطابي:

هذا الكتاب عبارة عن منظومة في العقيدة. وقد جاء منسوباً للإمام الخطابي في كل من:

---

(١) الإصابة ـ القسم الثاني من حرف الكاف ـ ٥ : ٣١٧ رقم ٧٤٧٤.
(٢) ابن حجر العسقلاني مصنفاته ودراسة في منهجه وموارده في الإصابة الفصل الثاني الموارد ـ جـ ٢ : ٦٣٢.
(٣) الإصابة ١ : ٣٦ و١ : ٢٤٨ و٤ : ٨٠ و٥ : ٣١٧.

١ ـ فهرس مخطوطات مكتبة الرياض السعودية برقم ٨٦/٤٥٩.

٢ ـ فهرس مخطوطات جامعة الملك سعود بالرياض برقم ٢١٤/ع.خ،، أصول الدين + علم الكلام.

وجاء في وصفها بأنها منظومة كتبت بخط حسن في القرن الثالث عشر الهجري، وتقع ضمن مجموع مشتمل على عدة رسائل وقصائد في التوحيد وهي من ص٥٣٤ إلى ٥٣٧.

قلت: وبعد وقوفي على هذه المنظومة تبين لي أنه قد وهم من نسبها للإمام الخطابي، وإنما هي للإمام أبي الخطاب محفوظ بن أحمد الكلّوذاني المتوفى سنة ٥١٠هـ، ويدل على هذا التصريح باسمه في أولها حيث بُدئت، بقال أبو الخطاب ـ رحمه الله.

وهي قصيدة دالية مشهورة في معتقد أهل السنة والجماعة.

وذكرها عدد ممن ترجموا للكلوذاني كابن الجوزي[١]، والذهبي[٢]، وابن رجب[٣]، وغيرهم وقد طبعت مراراً[٤].

---

(١) المنتظم ٩ : ١٩٠.
(٢) سير أعلام النبلاء ١٩ : ٣٤٨.
(٣) ذيل طبقات الحنابلة ١ : ١١٦.
(٤) طبعت هذه المنظومة ضمن عدة مجاميع منها طبعتها ضمن الرسائل الكمالية قسم التوحيد ٣ : ١٣٠، وضمن كتاب كفاية الإنسان من القصائد الغرر الحسان ـ ص ٩١، وفي بهجة الناظرين ـ ص ٥١.

ولعل حصول الوهم في نسبتها بسبب ما جاء مكتوبا في آخرها «تمت عقيدة الخطابي ـ رحمه الله ـ أو لتقارب اسمى الإمامين، فظن بعض المفهرسين أنهما سواء.

مؤلفاته الحديثية غير المطبوعة

١ ـ الأمالي:

نقل منه ياقوت في «معجم البلدان»[١] عند كلامه عن الحُدَيبِيَة فقال: وقال الخطَّابي في أماليه سميت الحُدَيْبِيَة بشجرة حَدْباء كانت في ذلك الموضع أهـ.

٢ ـ علم الحديث:

ذكره بروكلمان[٢] وسزكين[٣]، وأفاد بأنه يوجد في الموصل برقم ٨٤ و٣٥، وذكر د/حاتم الضامن[٤] أنه مخطوط ولم يبيِّن مكان وجوده.

وذكره داود جَلَبي[٥] برقم ٣٥ وسماه: «أعلام الحديث»، وأفاد بأنه موجود في الموصل ضمن مخطوطات مدرسة الحاج

---

(١) معجم البلدان ٢: ٢٢٩ الحديبية.
(٢) تاريخ الأدب العربي ٣: ٢١٢.
(٣) تاريخ التراث العربي ١: ٤٢٨.
(٤) إصلاح غلط المحدثين ـ ص٨.
(٥) مخطوطات الموصل ـ ص٩٤.

حسين بك في جامع السلطان أويس[١] .

٣ ـ معرفة السُّنَن والآثار:

ذكره الإمام الكَتّاني[٢] وسماه بهذا الأسم. . وقال: إنه مرتَّب على الأبواب الفقهية، وذكره حاجي خليفة[٣]، وإسماعيل باشا[٤]، وسمياه باسمه السابق.

وهذا الكتاب ـ حسب علمي ـ لازال مخطوطاً. وهو موجود في مكتبة جُوتا في ألمانيا الشرقية برقم ٦٠٢، كما ذكر ذلك في فهرس مكتبة جوتا[٥] ونص الترجمة، هو أنه كتاب في الحديث (والتراجم) عدد أوراقه (١٨٤) ورقة وفي كل صفحة (١٧) سطرا.

وقد أورد أحاديث الصحابة والتابعين وأحاديث مقطوعة بلا طرق[٦]. أهـ.

---

(١) قمت بمراسلة مكتبة الأوقاف بالموصل للحصول على صورة من المخطوط المذكور، فأفاد المسؤلون في المكتبة بأن الموجود لديهم مخطوط أعلام الحديث بشرح صحيح البخاري للخطابي فقط.

(٢) الرسالة المستطرفة ـ ص ٤٤ و٣٩.

(٣) كشف الظنون ٢ : ١٧٣٩.

(٤) هدية العارفين ٥ : ٦٨.

(٥) فهرس مكتبة جوتا ج ١ ص٤٦٩.

(٦) قمت بمراسلة المكتبة المذكورة للحصول على صورة من المخطوط فأفاد المسؤولون في المكتبة بعدم وجوده؟

المُنْتَخَب:

ذكر حَاجي خليفة[1] أن للإمام محمد بن الحسن الشيباني موطأً كتب فيه على مذهبه رواية عن الإمام مالك بن أنس. وأجاب على ما خالف فيه مذهبه.

ثم قال: وانتخبه الإمام الخطَّابي: أبو سليمان حمد بن محمد البُستى المتوفى سنة ٣٨٨هـ أهـ.



(١) كشف الظنون ٢ ص١٩٠٨.



الفصل الرابع

التعريف بمؤلفاته الحديثيَّة المطبوعة ومنهجه فيها

١ ـ شَأْنُ الدعاء

٢ ـ العُزْلـة

٣ ـ غريب الحديث

٤ ـ إصلاح غلط المحدثين

٥ ـ معـالم السُّنَن

٦ ـ أعـلام الحديث



١ ـ شأن الدعاء

تسمية الكتاب وتوثيق نسبته للمؤلف:

تعددت أسماء هذا الكتاب، وتعددها راجع إلى أنَّ من ترجموا للخطَّابي، وذكروا الكتاب؛ منهم من ذكره باسم شامل لمضمونه كله على وجه الإجمال، ومنهم من أخذ جزءاً من أجزاء الكتاب وسماه به.

وذلك لأنَّ الكتاب مشتمل على أربعة أبواب هي:

١ ـ معنى الدعاء، وأحكامه وشروطه.

٢ ـ تفسير الأسماء الحسنى المذكورة في بداية كتاب «الدعاء لابن خزيمة أو الدعوات له»[١].

٣ ـ شرح باقي أبواب كتاب «الدعاء» لابن خزيمة[٢].

---

(١) انظر شأن الدعاء ـ ص ٩٨ وص ٢٠ و٢١.

(٢) كتاب الدعاء أو الدعوات لابن خزيمة يعتبر في الكتب المفقودة، كما ذكر ذلك الأستاذ/ أحمد يوسف الدقاق في مقدمة تحقيقه كتاب شأن الدعاء ـ ص ٩، وقال: وَهِمَ من ظن: أن منه نسخة في المكتبة =

٣ ـ باب اللواحق من الأدعية التي لم يذكرها ابن خزيمة[١].

والذي يؤيِّد هذا التقسيم هو واقع الكتاب، مقدِّمة الخطَّابي له، حيث ذكر أنه قد سأله إخوانه عن بيان معنى الدعاء، وما يتعلَّق به من أحكام وعقائد، وسأله أن يشرح كتاب «الدعاء لابن خزيمة»، فأجاب طلبهم بهذا الكتاب، وزاد على طلبهم باباً أخيراً اعتبره من اللواحق المتمّمة للموضوع. حيث ذكر فيه أدعية مأثورة لم يذكرها ابن خزيمة في كتابه، وأتبع كل حديث منها بشرحه.

= الظاهرية، فالذي فيها بشرح الخطابي لا الأصل مجرداً. أهـ.
وقد ذكر المحقق أيضاً أن كتاب «الدعاء لابن خزيمة» غير كتاب الدعوات له، واستدل بأن ابن خزيمة قد روى حديثاً في كتاب التوحيد، وقال: خرجته في كتاب الدعاء ولم يوجد هذا الحديث في شأن الدعاء ولم يشرحه الإمام الخطابي.
قلت: والظاهر أنهما كتاب واحد، وأما ما استدل به المحقق فلا يكفي في إثبات اختلاف الكتابين، بل يمكن أن يكون سببه اختلاف النسخ الخطية حيث يُذْكَر في واحدة ماليس في الأخرى، ثم إن الخطابي لم يكن يشرح كل حديث أورده ابن خزيمة بل يشرح ما احتاج لشرح وَيدل على ذلك قوله في ـ ص ١١٥ مِن باب ما يقول إذا أصبح. ثم إن الإمام الخطابي جرى في شروحه الأخرى على أنه يتناول الأحاديث التي يرى أنها بحاجة إلى شرح من كل باب ويترك ما عداها.

(١) وذكر المحقق في المقدمة أنَّ الخطابي ألحق فصلاً سماه «لواحق الدعاء» بين شرح الأسماء الحسنى وبين باقي الكتاب، وواقع الكتاب أنه ليس فيه هذا العنوان في ذلك الموضع بل هي لواحق للأسماء الحسنى التي لم يروها ابن خزيمة في كتابه.

فهذا بإيجاز هو سبب اختلاف أسماء الكتاب، وإليك بيان ما ذكره العلماء عن تسميات الكتاب:

ـ ذكر ابن خِلِّكان[1] وياقوت[2]، أن اسم الكتاب «شأن الدعاء» بهذا الاسم طُبع الكتاب محققاً كما سيأتي.

ـ وذكر بركلمان[3] أن اسمه «شأن الأدعية المأثورة».

ـ وذكر سزكين[4] أن اسمه «شأن الدعاء المأثور».

وأما من سماه بجزء منه فلقد سمى بشرح الدعوات

ـ حيث سماه الصَّفَدي[5]: «شرح دعوات لابن خزيمة».

ـ وسماه ياقوت[6]: «شرح الأدعية المأثورة».

ـ وسماه ابن خَيْر الأشبيلي[7]: «تفسير الأدعية المأثورة».

وهذه التسميات كلها أخص من التسمية الأولى من حيث الدلالة، لكن يمكن إطلاقها على الكتاب كله باعتبار موضوعه الأصلي ـ وهو شرح كتاب الدعاء لابن خزيمة ـ وما عداه فهو من

---

(١) وفيات الأعيان ٢ : ٢١٤.

(٢) معجم الأدباء ٤ : ٢٥٣.

(٣) تاريخ الأدب العربي ٣ : ٢١٣.

(٤) تاريخ التراث العربي ١ : ٤٢٨.

(٥) الوافي بالوفيات ٧ : ٣١٨.

(٦) معجم الأدباء ٤ : ٢٥٣.

(٧) فهرس ما رواه ابن خير الاشبيلي عن شيوخه ١ : ٢٠١.

اللواحق المتممة. وسمى أيضاً بشرح أو تفسير الأسماء الحسنى.

- فسماه ابن قاضي شُهبة[١]، وإسماعيل باشا البغدادي[٢]: شرح أسماء الله الحسنى.

- وسماه الإمام الذهبي[٣]، والسبكي[٤]، والعراقي[٥]، وحاجي خليفة[٦] «شرح الأسماء الحسنى».

- وسماه الصَّفَدي: [٧] «تفسير أسماء الرب عز وجل».

- وسماه ياقوت[٨]: «تفسير أسامى الرب عز وجل» وسماه أيضاً[٩] «صفة أسماء الله تعالى».

هذا ما تيسَّر لي الوقوف عليه عن تسميات الكتاب، ويظهر لي أن أوضح تسمية له، وأشمل لمضونه «تفسير الأسماء والدعوات»

---

(١) طبقات الشافعية ١ : ١٥٧.
(٢) هدية العارفين ٥ : ٦٨.
(٣) سير أعلام النبلاء ١٧ : ٢٩، تذكرة الحفاظ ٣: ١٠١٩، العبر ٢ : ١٧٤.
(٤) طبقات الشافعية ٢ : ٢١٨.
(٥) طرح التثريب ١ : ٤٤.
(٦) كشف الظنون ٢ : ١٠٣٢.
(٧) الوافى بالوفيات ٧ : ٣١٧.
(٨) معجم الأدباء ٤ : ٢٥٢.
(٩) معجم البلدان ٤ : ٤٤٤.

كما جاء في آخر النسخة المغربية[1] للكتاب من قول الناسخ «تمَّ كتاب تفسير الأسماء والدعوات بحمد الله وحسن عونه».

منهج المؤلف في الكتاب:

١ ـ المراد بعنوان الكتاب:

سمى المؤلف كتابه «شأن الدعاء». ولعله قَصَد من ذلك أنَّ هذا الكتاب لبيان حال وأمر الدعاء، حيث أن كلمة شأن في اللغة تعنى الخطب والأمر والحال، فيتضح من هذا أنَّ المؤلف أراد أن يبيِّن الدعاء في مختلف أموره وأحواله، ببيانه لمعناه، وشروطه، وأهميته، ومكروهاته، وما يستحب أن يدعى به من أسماء الله الحسنى ومعانيها، وما يشرع الدعاء به في مختلف أحوال اليوم والليلة.

الصنعة الحديثية:

طريقتــه في إيراد الأسانيـد:

١ ـ أكثر الأحاديث والآثار التي ذكرها الإمام الخطابي في الكتاب رواها بسنده عن شيوخه، خاصة في البابين الأولين.

---

(١) شأن الدعاء ـ ص ١١ و٣٠ و٢٠٨.

أما فيما يتعلق بالأحاديث التي شرحها في كتاب ابن خزيمة فإنه لا يذكر سندها إلا في حديث الأسماء الحسنى.

فلقد ذكره بسنده مرة إلى راويه من الصحابة[1] ومرة بسنده إلى ابن خزيمة ثم إلى راويه من الصحابة[2].

٢ ـ من عناية المؤلف بالإسناد أنه قد يروى ما ليس حديثاً، ولا أثراً، بل هو قول لأحد أئمة اللغة، أو بيت شعر لأحد الشعراء، فيروه بسنده عن شيوخه حتى قائله.

ومثال ذلك ما رواه مُسنداً عن ابي عثمان المازني[3]، وعن الأصمعي[4] وعن ثعلب[5]، وعن سِمَاك[6] بن حرب.

٣ ـ جرى المؤلف على أن يسوق الإسناد أولاً ثم يذكر متنه بعده وأحياناً يبدأ بالمتن ثم يسوق سنده.

انظر الأحاديث رقم١ و٦١ و٩٤.

---

(١) ص ـ ٢٣.
(٢) ص ٩٨.
(٣) ص ١٩ و٤٣.
(٤) ص ٢٠.
(٥) ص ١٢٥ و١٤٤.
(٦) ص ٦٩ و٧٠.

وهذان كلاهما جائز كما نص على ذلك الإمام ابن الصلاح[١] والسيوطي[٢].

رجال أسانيده:

١ ـ رجال أسانيد المؤلف يتراوحون ما بين ٦ إلى ٩ رجال.

٢ ـ عند روايته لأسانيد أو نقله للمتون فإنه يصرح بأسمائهم ويستعمل الكنية أحياناً أو يستعمل ما اشتهروا به من ألقاب[٣] وأحايناً يذكرهم على الإبهام وهو قليل[٤].

بيانــه لأحوال الرواة:

لم أجد الخطابي تكلم في أحد من الرواة في هذا الكتاب إلا في راوٍ واحدٍ فقط. وذلك عند روايته لحديث: «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة»[٥]، فقال بعده[٦]، قد رويت هذه الأسماء من طريق ابن سيرين عن أبي هريرة بزيادات

---

(١) مقدمة ابن صلاح. النوع السادس والعشرون: رواية الحديث وأداؤه ص ١١٤ و١١٥.

(٢) تدريب الراوي ٢ : ١١٨.

(٣) ص٢٠.

(٤) ص١٨ و٥٤ و٨٤.

(٥) متفق عليه، رواه البخاري في التوحيد، باب إن لله مائة اسم من رقم ٧٣٩٢ ومسلم. باب في أسماء الله تعالى رقم ٢٦٧٧.

(٦) ص٩٩.

ليست في خبر الأعرج عن أبي هريرة ثم ساق سنده. . ثم قال: إلا أن راويه عبد العزيز ابن الحصين، ليس بالقوى في الحديث، قال محمد بن إسماعيل (البخاري): عبد العزيز بن الحُصين بن التَرْجُمَان: ليس بالقوى عندهم أهـ.

بيانه لدرجة الحديث:

وهذه أيضاً قليلةُ الذكر في الكتاب، ولكني وجدت أنه تكلم في ثلاثة مواضع فقط على درجة الحديث. وله في كل موضع طريقة وهي كما يلي:

١ ـ يقدح في الحديث من جهة سنده بجرح أحد رواته كما تقدم كلامه في عبد العزيز بن الحصين[١].

٢ ـ حينما قدح في الحديث السابق من جهة سنده، قال بعد ذلك «غير أن أكثر هذه السماء مذكورة في القرآن»[٢]. وفي هذا دلالة على أن الإمام الخطابي يرى أن الحديث الضعيف يتقوى إذا ورد في القرآن ما يشهد له لما هو مقرر عند عدد من علماء مصطلح الحديث حينما تكلموا عن شروط العمل بالحديث الضعيف.

٣ ـ يحكم على الحديث بأنه لم يثبت، دون بيان سبب ذلك. وذلك في قوله[٣]: مما يدعو به الناس خاصهم وعامهم، وإن لم

---

(١) ص٩٩.
(٢) ص٩٩.
(٣) ص١٠٥.

تثبت به الرواية عن رسول الله ﷺ قولهم: الحَنّان المَنّان[1].

(١) قلت: رواه الإمام أحمد في المسند ٣ : ٢٣٠، وقال: حدثنا حسن بن موسى ثنا سَلاّم يعني ابن مِسْكين عن أبي ظِلاَل، عن أنس رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال: إن عبداً في جهنم لينادي ألفَ سنة، يا حنان يا منان، قال: فيقول الله عز وجل لجبريل ـ عليه السلام ـ اذهب فائتني بعبدي هذا فينطلق جبريل فيجد أهلَ النار مُكبين يبكون، فيرجع إلى ربه فيخبره فيقول: ائتني به فإنه في مكان كذا وكذا فيجيء به فيوقفه على ربه عز وجل، فيقول له: يا عبدي كيف وجدت مكانك وَمقيلَك؟ فيقول: أي رَبِّ شَرُ مكانٍ، وشَرُ مقيل، فيقول: ردوا عبدي، فيقول: يا رب ما كنت أرجو إذ أخرجتني منها أن تردني فيها، فيقول دعوا عبدي. أهـ.
وبلفظه رواه أبو يعلى ـ بإسناد أحمد ـ وبلفظه في مسنده رقم ٤٢١٠. وعزاه ابن حجر في القول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد. ص ٤٢ و٤٣ الحديث السادس.
إلى ابن خزيمة في كتاب «التوحيد» وللبيهقي في «الأسماء والصفات»، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» وقال: رواه أحمد وأبو يعلى، ورجالهما رجال الصحيح، غير أبي ظلال، وضعفه الجمهور، ووثقه ابن حبان. أهـ. ١٠ : ٣٨٤ قلت: في قول الهيثم نظر! فلم يوثقه ابن حبان، بل ذكره في المجروحين ٣ : ٨٥، وقال: كان شيخاً مُغَفَّلاً يروي عن أنس ماليسَ من حديثه. لا يجوز الاحتجاج به بحال. أهـ. وأبو ظلال هو هلال بن أبي هلال أو ابن أبي مالك ميمون القَسْمَلي بفتح القاف وسكون المهملة. قال فيه ابن معين: ضعيف ليس بشيء، وقال البخاري، مقارب الحديث، وضعفه النسائي والأزدي، وقال ابن عابدين: عامة ما يرويه لا يتابعه =

طريقة شرحه للألفاظ والعبارات الغريبة:

اهتم الخطابي كثيراً بشرح وتفسير الألفاظ والعبارات سواء ما كان منها غريباً، وما لم يكن. وليس هذا بمستغرب عليه فهو إمام لغوي بارع اهتم كثيراً بغريب الحديث فألف فيه كتابه المشهور «غريب الحديث». واستفاد الخطابي في كتابه شأن الدعاء من كتابه «غريب الحديث» كثيراً ومن غيره من كتب غريب الحديث.

موارد الكتـاب:

استقى الإمام الخطابي مادة الكتاب العلمية من مصادر عديدة أهمها:

= عليه الثقات، وقال يعقوب ابن سفيان: لَيّن الحديث ـ تهذيب التهذيب ـ ١١ : ٨٥.
فخلاصة حالة إنه ضعيف. انظر: تقريب التهذيب ٢: ٣٢٥ رقم ١٤٨. أما باقي رجال إسناده فثقات:
درجة الحديث:
الحديث بهذا الاسناد ضعيف، لضعف أبي ظلال.
ولا وجه لذكر ابن الجوزي له في الموضوعات. كتاب صفة جهنم. باب في صفة رجل يخرج من النار ٣ : ٢٦٧.
وقوله: هذا حديث ليس بصحيح.
فقد تعقبه الحافظ ابن حجر بقوله: وفي الجملة ليس هو موضوعاً.
فكأنه يميل إلى القول بضعفه فقط.
القول المسدد ـ ص ٤٣ ح ٦.

١ ـ مروياتُه المسندة التي رواها عن شيوخه؛ خاصة في الحديث واللغة العربية ويورد أيضاً ما سمعه شفاهة من شيخه من آراء علمية تتعلق بمسائل الحديث أو الفقه أو اللغة، أو أقوال لهم، أو ما رووه من أبيات شعرية.

٢ ـ نقل الخطابي كثيراً من كتابه «غريب الحديث» وصرح بالعزو إليه بقوله: وقد فسرناه في «غريب الحديث»[١]. وينقل أحياناً من كتابه «غريب الحديث» دون عزو له.[٢]

٣ ـ وصرح الخطابي بالنقل من أبي عبيد القاسم بن سلاّم الهروي ت ٢٢٤هـ ـ في كتابه «غريب الحديث». وتتبع محقق الكتاب المواضع التي نقل منها الخطابي من أبي عبيد فعزاها إليه[٣].

٤ ـ نقل الخطابي كثيراً مما يتعلق بشرح أسماء الله الحسنى من كتاب «تفسير أسماء الله الحسنى» للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن السَري الزَّجاج ـ المتوفى سنة ٣١١هـ.

٥ ـ ونقل الخطابي من الإمام أبي عبيدة مَعْمرَ بن المثنى التيمي

---

(١) المرجع السابق ـ ص ١٧٨ وغريب الحديث للخطابي ١ : ٧٢٧.

(٢) شأن الدعاء ـ ص ٨ و٢٣ و٢٩ و٤٦ و٥٩ و٦٠ و٧٥ و١٣١ و١٣٣ و١٣٤ و١٤٨ و١٥٤ و١٥٩ و١٦٦ و١٦٧ و١٧٨ و١٨٧ و١٨٨ و١٨٩ و١٩٠ و١٩٢ و١٩٩ و٢٠٠ و٢٠١ و٢٠٢ و٢٠٧.

(٣) انظر مثلاً ـ ص ٦١ و١٤١ و١٥٨ و١٦٥ و١٦٧ و١٧٠ و١٧١ و١٨١ و١٨٣ و١٨٧ و١٩٠ و١٩٥ و١٩٦ و١٩٧.

ت ٢١٠هـ، في كتابه «مجاز القرآن»[١].

٦ ـ ونقل عن الإمام أبي العباس محمد بن يزيد المبرد ـ ت ٢٨٦هـ في كتابه «الكامل».

٧ ـ نقل عن إمام النحاة أبي بشر عَمرة بن عثمان بن قُنبر المعروف «بسيبَويْه» ت ١٨٠هـ في «الكتاب» قوله في المراد بلفظ الجلالة من أنه: اسم مشتق، كان في الأصل إله مِثَال: فِعَال[٢].

٨ ـ ونقل عن الإمام ابي زكريا يحيى بن زياد الفرآء ت ٢٠٧هـ في كتابه «معاني القرآن»[٣].

هذا ما تيسر، ولقد نقل الإمام الخطابي عن أئمة آخرين كالخليل بن أحمد الفراهيدي والإمام الأصمعي، والإمام أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، وأبي الهيثم الرازي، والإمام ثعلب نقل عنه كثيراً بواسطة تلميذه محمد بن عبد الواحد أبو عمر الزاهد المعروف بغلام ثعلب.. وغيرهم. ولكني لم أقف على مكان أقوالهم في مؤلفاتهم.

٩ ـ ومن مصادره الحديثية ـ إضافة لمروياته عن شيوخه ـ الرواية عن طريق بعض الأئمة أصحاب المصنفات الحديثية فلقد

---

(١) شأن الدعاء ـ ص٣٨ و٣٩ و٩٧ و١٩٨ و١٩٩.
(٢) شان الدعاء ص٣١ والكتاب لسيبوية ١: ٣٠٩.
(٣) شأن الدعاء ص ٤٣ و٧٧ و١١٦ و١٥٩، ومعاني القرآن ٢: ٢١ تفسير سورة البقرة ١: ١٧٣.

روى عن طريق الإمام مالك بن أنس[1].

وروى من طريق عبد الرزاق بن همام الصنعاني[2]، ومن طريق الحميدي[3] برواية بشر بن موسى - وهي الرواية المطبوعة من الكتاب - ومن طريق أبي داود السجستاني[4] من رواية ابن الأعرابي وهي إحدى الروايات المشهورة لسنن ابي داود.

أثره في غيره من المؤلفات:

كتاب «شأن الدعاء» يُعتر من الكتب الهامة فيما يتعلق بأهمية الأدعية، وبيان معانيها، وشرح أسماء الله الحسنى. لذا فقد اهتم به العلماء، واستفادوا منه في مؤلفاتهم ومن أبرز هؤلاء:

١ - الإمام ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي - ت ٥٩٧هـ نقل عن الخطابي كثيراً مما يتعلق بشرح أسماء الله الحسنى وذلك في كتابه «زاد المسير في علم التفسير» مع تصريحه باسم الخطابي عند النقل عنه.

---

(١) انظر شأن الدعاء - ص٢٣ - ح١٦.

(٢) انظر شأن الدعاء - ص ٤٤ - ح ٢٣، ومصنف عبد الرزاق باب الإيمان الإسلام - جـ ١١ : ١٣١ رقم ٢٠١١٧.

(٣) انظر شأن الدعاء - ص ٢٦ وص ١٠٨ ومسند الحُميدي - جـ ٢، ص ١١٣ و١٠٩٦.

(٤) انظر شأن الدعاء - ص ٤ - حـ ١، وسنن أبي داود كتاب الصلاة باب الدعاء - جـ ٢ : ١٦١ رقم ١٤٧٩.

٢ ـ ونقل منه الإمام النووي في «تهذيب الأسماء واللغات»[١].

٣ ـ وكذلك نقل منه الإمام القرطبي في تفسيره المسمى «الجامع لأحكام القرآن»[٢]

٤ ـ وكذلك استفاد منه الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك ابن محمد بن الأثير الجزري ت ـ ٦٠٦هـ في كتابه «جامع الأصول»[٣].

مميزات الكتـاب:

١ ـ يعد كتاب «شأن الدعاء» مرجعاً هاماً فيما يتعلق بالدعاء وأحواله وأنواع الأدعية الأذكار.

٢ ـ حوى الكتاب مادةً علمية قيمة؛ تتعلق بشرح أسماء الله الحُسنى بتوسع مفيد يُجلي معانيها، ويوضح المراد بها.
المؤلف بإسناده.

٣ ـ يعتبر الكتاب مصدراً أصلياً من مصادر التخريج فيما رواه.

٤ ـ أبدى المؤلف رأيه في عدد من مسائل الكتاب ترجيحاً وتصويباً.

---

(١) شأن الدعاء ـ ص١٤١ وتهذيب الأسماء ٤: ٦١ و٦٢.

(٢) شأن الدعاء ـ ص ٣١ و٣٣ و٣٥ و٣٦ و٦٠ والجامع لأحكام القرآن جـ١ : ١٠٢ و١٠٣ و١٠٤ وج ٢ : ٣١.

(٣) جامع الأصول ١: ٦٥ و٦٦. و١: / ١٨٣ و١٧٣.

٥ ـ اشتمل الكتاب على ثروة لغوية ذات فنون متعددة. منها ما يتعلق بشرح المفردات والعبارات الغريبة الواردة في أحاديث الكتاب ـ وتقدم الكلام على ذلك.

ومنها ما يتعلق بعناية المؤلف بالتأصيل الصرفي، وبيان الاشتقاق اللغوي للأسماء المذكورة.

٦ ـ تضمن الكتاب عدداً كبيراً من المسائل المتعلقة بالعقيدة حيث تناول موقف الدعاء من القدر[١]، وحكم الحلف بالدَّيَّان[٢] والنهى عن سب الدهر[٣]، وعدم جواز القياس على أسماء الله عز وجل[٤]، وتنزيه الباري عن صفات النقص[٥]، والكلام عن علم الله عز وجل[٦] وعن علوه سبحانه[٧]، وعن عرشه[٨]، وعدم جواز إضافة المساوىء إليه[٩]، وأنه لا يجوز أن يتوهم أن الله تعالى نور من الأنوار. فإن النور تضاده الظلمة وتعاقبه فتزيله

(١) ص ٦ ـ ٨.
(٢) ص ١٠٦.
(٣) ص ١٠٨.
(٤) ص ١١٣ و١١١.
(٥) ص ٦٢.
(٦) ص ٦٣.
(٧) ص ٦٦.
(٨) ص ١٦٠.
(٩) ص ١٥٣.

وتعالى الله أن يكون له ضدٌ أو ندٌ، وإنما هو خالق النور ومُوجدُه سبحا نه[1].

وأنه قريب بعلمه من خلقه[2]، وأن النَّفع والضُرَّ والخير والشَّرَ مصدرها جميعاً من قبل الله عز وجل[3].

٧ ـ وتضمن الكتاب تفسيراً لعدد كبير من الآيات القرآنية لا سيما المتعلقة بالأسماء الحسنى[4].

٨ ـ حلّىٰ الخطابي كتابه بعدد من أخبار السلف ومواعظهم[5].

طباعـة الكتـاب:

طبع الكتاب بدار المأمون للتراث بدمشق وبيروت عام ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م بتحقيق/ الأستاذ أحمد يوسف الدّقاق، وسماه «شأن الدعاء»[6].

---

(١) ص ٩٥.

(٢) ص ١٠٢.

(٣) ص ١٥٩.

(٤) انظر مثلاً ص ١٢ و٢١ و٦٤ و٦٦ و٦٨ و٧٠ و٧١ و٧٣ و٧٥ و٧٦ و٨٥ و١٠٠ و١٢٥.

(٥) ص ١٤٢.

(٦) بذلَ المحقق جهداً في إخراج الكتاب، والعناية بنصوصه من حيث عزو الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية، والأبيات الشعرية، وأقوال بعض الأئمة، وضبط النص وبيان المقارنات والفروقات بين=

= النصوص في النسخ المختلفة. وحرص على عزو عدد من نقول المؤلف لمصادرها، كما بين بعض من نقل عن المؤلف. إضافة لبعض التعليقات والتصويبات القيمة.
وختم الكتاب بفهارس فنية متعددة للآيات، والأحاديث، والأسماء الحُسنى، والقوافي، والأمثال، والأماكن، والأعلام، والموضوعات، والمراجع. وهذا مما يسر الانتفاع بالكتاب والاستفادة منه.
هذا وبرغم ما ذكرته من جهد للمحقق، فإن لي بعض الملاحظات على ما قام به في تحقيق الكتاب، ولا أظنها تنقص من جهده، بل تزيده صواباً بإذن الله تعالى:
١ ـ عدم الدقة في استعمال مصطلح «أخرجه أو رواه» عند التخريج حيث أنهما يختصَّان ـ غالباً ـ فيما رواه صاحب الكتاب بإسناده. أما الكتب المحذوفة الأسانيد فيُعزى إليها بذكره أو أورده، أو نحو ذلك. فتجد المُحقق يخلط في استعمال هذا الاصطلاح، فيجعل رواه أو أخرجه شاملة للكتب الأصلية والفرعية معاً، ففي ص ١٤ قال في الحاشية: وأخرجه الشيخ ناصر في صحيح الجامع الصغير.
وفي ص ٢٧ قال: رواه ابن الأثير في «جامع الأصول»..
وفي ص ١٤٢ قال: رواه الإمام النووي في «الأذكار»..
وفي ص ٢٠٤ قال: رواه الهيثمي في «الزوائد».. وروراه السيوطي في «الفتح الكبير».. «والجامع الصغير»..
٢ ـ عدم الترتيب في عزو الحديث لمصادره فتجده يعزوه لمصدر أصلي ثم فرعي ثم يعود لأصلي آخر وهكذا.
انظر الحديث رقم ١٨ و٣٥ و٤٧ و٥٠ و٧١ و٨٩ و١٠٢. =

٢ ـ كتاب العُزلة ـ الكبير

لم أجد من أشار إلى هذا الكتاب، أو ذكر شيئاً عنه، ممن

= ٣ ـ ذيَّل المحقق الكتاب بفهارس متعددة يشكر عليها، ولكن فات عليه في الفهارس مايلي:

أ ـ حبذا لو فهرس الكلمات الغريبة التي شرحها الخطَّابي ليستعين به القارىء في شرح الغريب، ويستفيد عند المقارنة بين هذا الكتاب وغريب الحديث للخطابي أو غيره، ومدى استفادته منها.

ب ـ سقطت بعض التراجم في فهرس الأعلام، ومنها ترجمة عبد الرحمن بن الأسد ـ ص ١٨١.

ج ـ لم يفهرس المحقق الأعلام الذين ورد ذكرهم في حاشية التحقيق.

د ـ سقطت أرقام بعض الصفحات في فهرس الأعلام ومنها:

عند اسم أبي عبيدة سقط رقم ٣٩، وعند اسم أحمد بن إبراهيم بن مالك سقط رقم ٤٢، وأحمد بن عبد الحكيم الكَريزي سقط رقم ٣٦، وأحمد بن محمد الكُرّاني «أبو محمد» سقط رقم ١٤٢، فمحمد بن الحسين ابن عاصم سقط رقم ٩٨، ومحمد بن عبد الواحد غُلام ثعلب ـ سقط رقم ٦١ و١٢٦ واسم الإمام مالك ذكر أنه في ص ٢٤ والصحيح أنه في ص ٢٣. وعند ذكر اسم مكرم بن أحمد تركه بياضاً وقد ورد اسمه في ص ٢٣.

هـ ـ في فهرس المصادر لم يذكر كتاب الأذكار للنووي وقد نقل منه في ص ١٤٢، والتَّقصي لابن عبد الله في ص ٢٧.

و ـ ولم يذكر أي معلومة عن ديوان جِران العَوْد، وسَرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، وغريب القرآن لابن قتيبة.

ترجموا للإمام الخطابي، أو تكلموا عن مؤلفاته إلا الإمام الخطابي نفسه، حيث ذكره في مقدمة كتاب «العزلة» المطبوع بين يدي طلاب العلم ـ حيث قال[1]:

«فَهِمْتُ قولكَ أخي، ألهمكَ الله الصوابَ وأَراكَ المحابَّ وما قد أذكرتَ به من كتاب «العُزلة» وبعثتني عليه من إتمامه بعد ابتدائه، والفراغ منه بعد إنشائه، وما شكوته مع ذلك من طول مأخذه، وما خِفته من المَلاَل على الناظر فيه.. الخ المقدمة..

فيستخلص مما سبق مايلي:

١ ـ أنَّ الإمام الخطَّابي قد بدأ في تأليف كتاب موسَّع في العزلة، أطال فيه كثيراً؛ بذكر زيادات على أصل الموضوع حتى شكى إليه بعض أصحابه من طول مآخذه، وخوف الملل منه.

٢ ـ أنه لم يتممه بعد أن استغرق في تأليفه زمناً طويلاً.

٣ ـ أنه قد حثه بعض إخوانه على أن يعيد تأليف الكتاب بطريقة مختصرة بحيث يكتفى فيه بأهم جوانب الموضوع، لكي يسهل عليه إتمامه ومراجعته ويجنِّب القارىء له ما يخشى عليه من الل بسبب التطويل، والتوسُّع الزائد عن الغرض الأصلي.

ويبدو أن الرجل الذي أشار على الخطَّابي بذلك كان من أهل العلم المعتبَرين، حيث حدَّد له جوانب التوسُّع الذي ينبغي عليه استبعادها، وهي حذف الزوائد في نظره على الغرض الأصلي

---

(١) كتاب العزلة ـ ص ٥١ و٥٢.

كما اقترح عليه المنهج العام الذي يسلكه في التأليف للكتاب مختصراً.

ومع أنَّ الخطابي لم يوافق صاحبه هذا على وجود زوائد خارجة عن الموضوع في القدر الذي ألفه من الكتاب بتوسيع حيث قال: «ثم إني لم أر شيئاً منه في المقدر الذي اتهى إليه كان زائداً على قدره، أو خارجاً عن حده فيجب حذفه أو يلزم نَبْذُه ورفضُه[1].. الخ.

إلا أنـه استجـاب لطلبـه حيـث قـال وتـوخيـت لـك فيـه الاقتصار[2]..

٤ ـ أنه استجاب لطلبه وألف كتاب «العزلة» المطبوع بين يدي طلاب العلم اليوم.

٥ ـ أنه قد نَهَج في تأليفه للعزلة ـ المطبوع ـ منهج الإيجاز، والاختصـار ويـدل علـى ذلـك قـولـه: وسـألـت أن ألتقـط لـك جوامعه، وأحذف أطرافه وزوائده، وأُسدِّد بالقول فيه نحو الغرض لا أَعْدُوه ولا أَتجاوزُه ليكون أوجز في القول، وأسهل على الذكر.. الخ.

٦ ـ أنَّ للخطابي في موضوع العزلة مؤلفين لا مُؤلفاً واحداً،

---

(١) ص ٥٢.
(٢) ص ٥٢.

وأن أحدهما كبير ولم يتمه، وثانيهما صغير وقد أتمه. وهو المطبوع ـ وسيأتي الكلام عليه.

أما الكتاب الكبير فلم أقف على نسخة له، ولا على نقول منه. ولكن الذي وجد وطبع ونقل العلماء عنه هو كتاب العزلة المختصر أو ما يمكن أن يسمى بالصغير بالنسبة للكتاب الكبير. والله أعلم.

● ● ●



٢ ـ العزلــة ـ الصغير ـ

تسميته الكتاب، ونسبته للمؤلف، وتعدد رواياته عنه:

اتفقت جميع المصادر[1] التي رجعت إليها لبيان مؤلفات الإمام الخطَّابي على تسميته بكتاب «العزلة». ولم أجد من سماه بغير هذا سوى بروكلمان وسزكين:

حيث سماه بروكلمان[2]: كتاب العزلة «كتاب الاعتصام» وسماه سزكين[3]: . . . . ، . . . . . . ، أو «الاعتصام بالعزلة».

وبهـذه التسميـة كتـب علـى الصفحـة الأولـى مـن نسختـه

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ١٧ : ٢٥، وتذكرة الحفاظ ٣ : ١٠١٩، ومعجم الأدباء ٤ : ٢٥٣ و١٠ : ٢٦٩، والوافي بالوفيات ٧ : ٣١٧، وطبقات الشافعية للسبكي ٢ : ٢٨٣، وطبقات الشافعية لابن قاضي شُهبة ١ : ١٥٧، وفهرس ما رواه ابن خير الأشبيلي - ص ٢٨٧، وبغية الوعاة ١ : ٥٤٧، وكشف الظنون ٢ : ١٤٣٩، وهدية العارفين ٥ : ٦٨، ومعجم المؤلفين ٤ : ٧٤.

(٢) تاريخ الأدب العربي ٣ : ٢١٣.

(٣) تاريخ التراث العربي ١ : ٤٢٨.

الخطية[1]. والصحيح ـ والله أعلم ـ أن اسمه كتاب «العزلة» لأن مؤلفه سماه بهذا فقال في مقدمة[2] الكتاب: «.. وما قد أذكرتني به من أمر «كتاب العزلة» وبعثتني عليه من إتمامه..».

وأما ما كتب على النسخة الخطية فيحتمل أنه من تصرف الناسخ[3] عند توريقه للكتاب.

ومما يدل على صحة نسبة الكتاب لمؤلفه روايته عنه مسنداً وذلك من ثلاثة طرق: طريقان ذُكرا في أول الكتاب المطبوع[4]، وهناك طريق ثالث رواه ابن خير الاشبيلي في فهرسه[5].

موضوع الكتاب: والسبب الباعث على تأليفه: بيان المراد بالعزلة، وفضلها، وأحكامها.

---

(١) نسخته الخطية هي نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق برقم ١٠٩٩ وعليها تم تحقيق الكتاب بعناية الأستاذ ياسين السواس. وصور للصفحة الأولى من المخطوط وعليها قد كتب كتاب الاعتصام بالعزلة. انظر العزلة بتحقيق ياسين السواس ـ ص ٤٨.

(٢) كتاب العزلة ـ ص ٥١.

(٣) ناسخ الكتاب هو علي بن محمد المؤذن بن عثمان المؤذن النيسابوري نسخه سنة ٥٨٧هـ. كما ورد في الورقة ٤٤/ب من النسخة الظاهرية وفي المطبوع ـ ص ٤٥ وص ٢٤٢ ولم أعثر على ترجمته.

(٤) كتاب العزلة ـ ص ٥١.

(٥) فهرسه ما رواه ابن خير عن شيوخه ص٢٨٧ و٢٨٨.

أما السبب الباعث على تأليفه، فهو ما رآه من انتشار الفساد بين أهل زمانه، وفشو المنكرات، فرغّب في اعتزالهم، ولكن بضوابط سيرد ذكرها قريباً عند مراد الخطابي بالعزلة، ويدل على ذلك قوله[1] ثم اعلم يا أخي أنَّ عامة أهل هذا الزمان قد ساءت رغبتهم، وقلّت آدابُهم، وغَلُظَت مِحنتُهم على من يُعاشرهم، لأنَّ موقفه فيهم بينن أن يَخُونهم فيسالمهم، وبين أن لا يصون نفسه فيناصحهم.

وقد كانوا والناس ناس، والزمان زمان ـ يستبشعون الحق، ويستمرون طعم النُّصح، ويتنكرون لمن يُهدي إليهم عُيوبَهم، ويَصدُقهم عن أنفسهم. فما ظنك بهم الآن مع فساد هذا الزمان الكَلِبْ اللولَبي المُتقلِّب؟..

ثم قال: فانظر ـ رحمك الله ـ وتأمَّل هل تجد اليوم أعواناً على المعروف، ودعاةً إلى الخير، ونهاةً عن المنكر؟ فإن كنت لا تظفر بهم، ولا تقدر عليهم، فأنجُ برأسك، ولا تُغرِّر بنفسك، إن رضا الناس غايةٌ لا تدرك، هيهات!! قد أعيا الأولين دواؤهم، وانقطعت فيه حِيلهم[2].. الخ.

إذاً فكتاب العزلة هو التعبير القولي عن اتجاه المؤلف

---

(١) انظر كتاب العزلة ـ ص١١٠.

(٢) للنظر في تتمة كلام المؤلف ـ انظر كتاب العزلة ـ ص ١١١.

السلوكي فكأنه تعليل لسلوكه الشخصي، حيث كانت العزلة محببة لنفسه آنذاك.

منهـج المؤلف في الكتــاب:

مراد المؤلف بالعزلـة:

وضح المؤلف المفهوم الذي يقصده بالعزلة بأنها لا تعني مُفارقة الناس والجمع والجماعات، بل يُريد ترك فضول الصُّحبة، ونبذ الزيادة منها، وحط العلاوة التي لا حاجة له بها[1].

وحدد الإمام الخطابي في ثنايا الكتاب ضوابط للعزلة أهمها:

١ ـ أن تكون عند فساد أهل الزمان.

٢ ـ أن تكون للعلماء فقط. قال أبو سليمان الخطابي: فالعزلة إنما تنفع العلماء العقلاء، وهي من أضر شيء على الجُهال[2].

٣ ـ مراعاة المصلحة والحاجة وفي هذا يقول: «وأما عزلة الأبدان ومفارقة الجماعة ـ التي هي العوام ـ فإن من حكمها أن تكون تابعة للحاجة، وجارية مع المصلحة.

---

(١) كتاب العزلة ـ ص ٥٨.

(٢) كتاب العزلة ـ ص ٢٣٥.

بيانه لدرجة الحديث:

إن القارىء لكتاب العزلة يلحظ أن المؤلف كان مُقلاً في بيانه لدرجة الحديث، والحكم عليه، أو يتناول الرجال والكلام عليهم. ولعل عذره في ذلك أنه اكتفى بايراده للأسانيد ـ فبرئت عهدته من الحديث. أو لعله اعتبر أن هذا الكتاب مؤلف للزهد والموعظة، فلم يحرص على خوض المسائل الحديثية فيه، فيغلب على أحاديث تعلقها بالمواعظ والفضائل. ولكن مع ذلك نجده قد تناول بعض الأحاديث بالحكم عليها ومن ذلك:

١ ـ أنه لما روى حديث أبي سعيد الخُدري ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع الرسول الله ﷺ يقول: «إن الله تبارك وتعالى ليسأل العبد حتى يقول: ما منعك إذ رأيت المنكر في الدنيا أن تنكره؟ فإذا لقّن الله عبداً حُجَتَهُ قال: يا رب رَجوتُك وخفتُ الناس[1].

فأتبعه الخطابي بقوله: «هذا طريق في الرواية يرتضيه أهل النقل من أهل الحديث. أهـ.

قُلت: وهذه إن لم تكن صيغةً إصطلاحية متداولة عند المحدثين مثل تداول حكمهم بالصحة والحسن إلا أنها تفيد

---

(١) . أخرجه بلفظه أحمد ٣ : ٢٧، وابن ماجة في الفتن، باب قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾ رقم ٤٠١٧، والحميدي ٢ : ١٣٣٢ رقم ٧٣٩، وذكره العراقي في تخريج الإحياء وعزاه لابن ماجة وقال: إسناده جيد ٢ : ٢٢٩.

قبول الحديث وصلاحيته للحجة عنده.

٢ ـ وبيَّن أن الحديث الضعيف يمكن الاحتجاج به إذا كان له ما يعضده من أدلة الشرع العامة كورود ما يشهد له في القرآن الكريم، أو تدل عليه السنة المشرفة.. ونحوها. وذلك حينما روى **حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت قال: رسول الله ﷺ «لا يصلح لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام، إلا أن يكون ممن لا يؤمن بوائقه»**[1].

---

(١) أخرجه الخطابي في العزلة ـ ص ٩٣ من طريق شيخه ابن الأعرابي قال: حدثنا محمد بن إسماعيل الصائغ، قال: حدثنا محمد بن الحجاج المصفر. قال: حدثنا عبد العزيز بن محمد الدوردي، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة ـ وذكره، وقد رواه أبو داود بنحوه ودون الاستثناء في الأدب، باب فيمن يهجر أخاه المسلم رقم ٤٩١٣، وبهذا الإسناد أخرجه ابن عدي في الكامل ٦ : ٢١٥٧، وعزاه في كنز العمال ٩ : ٤٧ رقم ٢٤٨٧١ للحاكم في الكنى والحديث أصله في الصحيحين دون الاستثناء في آخره من عدة طرق منها طريق أبي أيوب الأنصاري ـ أخرجه البخاري في الأدب باب الهجرة رقم ٦٠٧٧.
وأخرجه مسلم في البر. باب تحريم الهجر فوق ثلاث رقم ٢٥٦٠.
وطريق عائشة أخرجه البخاري في الموضع السابق رقم ٦٠٧٣ وفيه قصة. وطريق أنس رواه البخاري في الأدب. باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر رقم ٦٠٦٥، والموضع السابق رقم ٦٠٧٦.
ورواه مسلم في البر والصلة والآداب. باب تحريم التحاسد رقم ٢٥٥٩. وطريق ابن عمر رواه مسلم في البر. باب تحريم الهجرفوق ثلاث رقم ٢٥٦١.

وهذا الحديث في إسناده «محمد بن الحجاج المُصَفِّر»[١] قال فيه الخطابي: وهو إن لم يكن القوى عند أهل الحديث، فإن دلائل الكتاب والسنة والقياس متظاهرة، على جواز هجران من لا تؤمن بوائقه والتباعد منه بل هو الواجب على كل أحد من الناس[٢].

قلت: وقد استفاد الحافظ ابن حجر[٣] من هذا ومن غيره حينما جعل شروط العمل بالضعيف ثلاثة وذكر منها أن يندرج تحت أصل عام معمول به. ويدخل في هذا القرآن أولا ثم السنة والاجماع والقياس الصحيح.

بيانـه لأحوال الرواه:

سبق القول بأنه مُقلٌ جداً في الكلام على أحوال الرواة، ودرجة الحديث. ولم أجده في هذا الكتاب قد تكلم على أحد الرواة سوى قوله السابق ذكره وهو أن محمد بن الحجاج المصفر لم يكن بالقوي عند أهل الحديث. أهـ[٤]

---

(١) سيأتي ذكره في بيانه لأحوال الرواة في هذا الكتاب.

(٢) و(٤) ص٩٣.

(٣) انظر ما نقله عنه السخاوي في القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، «الخاتمة ـ ص ٢٤٥.».
وحاشية ـ نزهة النظر في شرح نخبة الفكر ـ للشيخ إسحاق عزوز. ص ٥٢.

مصـادر المؤلف في الكتـاب:

١ ـ مروياته المسنده بالمشافهة عن شيوخه ونحوها من أقوالهم وآرائهم، كما تقدم في طريقته في إيراد الأسانيد.

٢ ـ المُصنفات الحديثية السابقة عليه، فإن الأحاديث التي يستدل بها من تلك المصنفات يوردها بسنده إلى أصحاب تلك المصنفات.

٣ ـ النقل من كتابه «غريب الحديث»[١] في شرحه للمفردات والعبارات دون إشارته لذلك، وقد قام محقق كتاب «العزلة» مشكوراً بتتبع تلك المواضع.

٤ ـ النقل من كتاب «غريب الحديث» لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروى[٢] ت ـ ٢٢٤هـ

٥ ـ وروايته عن أئمة اللغة وعلماء العربية بواسطة شيوخه أحياناً فلقد روى بواسطة شيخه أبي عمر محمد بن عبد الواحد

---

(١) مما نقله الخطابي بنصه من غريب الحديث في شرح المفردات والعبـارات انظـر ـ ١ : ٢٨٧ و٥٦٠ و٥٦١ و٢ : ٤٨٦ و٣ : ١٤ و١٢٥، ومما نقله منه من الأحاديث أو الأشعار أو بعض الأقوال انظر ١ : ٥٩٦ وجـ ٢ : ٧٥ و٢ : ١١٠ و٢ : ٢٩٢ و٣ : ٩٤ و١٢٤ و٢٢٥. وانظر العزلة ـ ص ٢٠٧ و١٠٩ و١٢٧ و١٥٨ و١٩٩ و٢١٣ و٢٢٠ و٢٢١.

(٢) انظر العزلة ـ ص ٧٩ و٢٠٩ وغريب الحديث لأبي عبيد ٣ : ٣٦٩.

المعروف، بغلام ثعلب روايات كثيرة عن الإمام المبرد[1]، والإمام ثعلب[2]، وعن الإمام ابن الأعرابي اللغوي[3]. وروى أيضاً عن الأصمعي[4] والخليل بن أحمد الفراهيدي[5] وأبي بكر بن الأنباري[6] والجاحظ[7] أيضاً.

٦ ـ وقد نقل من بعض المؤلفات بالوجادة وقد تقدم نقله عن منصور بن عمار[8] في «صفة الزمان» وعن علي بن عبيدة[9] في «فصل له».

أثر كتاب العزلـة في غيره:

استفاد عدد من العلماء وطلاب العلم، من كتاب «العزلة» ونقلوا منه في مختلف كُتبهم ومن هؤلاء:

١ ـ الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ـ ت ٤٥٨هـ

---

(١) انظر كتاب العزلة ـ ص ٩٩ و١٣٢ و١٦٦ و٢٠٧ و٢١٠.

(٢) انظر كتاب العزلة ـ ص ١٠٧ و١٢٣ و١٥٠ و١٩٨ و٢١٠ و٢٣٣.

(٣) انظر كتاب العزلة ـ ص ١٩٨ و٢٠٢ و٢٢٢ وغيرهما.

(٤) انظر كتاب العزلة ـ ص ٧٦ و٨٠ و٩٠ و١٠٥ و١٠٩ و١٢٣ و١٣٦ و١٣٧ و١٤٥ و١٤٦ و١٤٨ و١٦٥ و١٧٢ و٢٠٣ و٢٠٤ وغيرهما.

(٥) انظر كتاب العزلة ـ ص ١٩٨.

(٦) انظر كتاب العزلة ـ ص ١٦٥ و١٧١ و١٧٢ و١٩٨ و٢١٧.

(٧) انظر كتاب العزلة ـ ص ٢٠٢.

(٨) انظر كتاب العزلة ـ ص ١٨٨.

(٩) انظر كتاب العزلة ـ ص١٣٨.

استفاد منه في كتابه «الزهد الكبير»[1].

٢ ـ الإمام أبو حامد الغزالي ـ ت ٥٠٥هـ في كتابه إحياء علوم الدين[2].

٣ ـ الإمام زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي ت ٨٠٦ هـ استفاد منه في تخريجه في الاسفار «وعزا إليه مراراً»[3].

٤ ـ نقل منه أحمد مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده في كتابه «مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم» بضع صفحات[4].

---

(١) انظر الزهد الكبير، فصل في العزلة والخمول من ص ٩٢ إلى ١٣١ وانظر العزلة ـ ص ٧٠ و٧١، وصرح البيهقي بالنقل عن الخطابي في ص ـ ١١٩، وانظر العزلة ـ ص ١٥٨ و١٥٩، وانظر الزهد الكبير ـ ص ٢١٥ و٢١٦، حيث روى خبراً بنفس إسناد الخطابي، العزلة ـ ص ٨٣.

(٢) نقل من كتاب الخطابي كثيراً خاصة ما يتعلق بالعزلة واختلاف العلماء في حكمها وفوائدها وآفاتها وذلك في كتاب السادس في آداب العزلة ـ جـ ٢ ـ ص ٢٢١ ـ ٢٤٤.

(٣) انظر الصفحات السابقة من كتابه إحياء علوم الدين وصرح بالعزو إليه في جـ ٢ ص ٢٢٣ و٢٥٦ و٣٣٣.

(٤) نقل عنه في آداب العزلة وفضلها وكراهيتها وفوائدها وآفاتها جـ ٣ : ٢٧٠ ـ ٢٧٧. وتبع في الترتيب ما نقله عن الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين ولكنه صرح بالنقل عن الخطابي في ـ ص ٢٧٣.

٥ ـ كذلك يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن الراغب الأصبهاني أبو القاسم حسين بن محمد استفاد منه في كتابه «محاضرات الأدباء»[(١)].

٦ ـ كذلك يظهر لي ـ والله أعلم ـ استفادة العلامة محمد مرتضى الزبيدي ـ ت ١٢٠٥هـ في شرحه للإحياء المسمى «إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين»[(٢)].

٧ ـ الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي[(٣)] ـ ت ٤١٤هـ.

٨ ـ ويغلب على الظن استفادة الإمام البيهقي ـ ت ٤٥٨هـ منه في «كتاب الآداب»[(٤)].

٩ ـ كذلك نقل منه الإمام السيوطي في كتابه «الشهاب الثاقب في ذم الخليل والصاحب»[(٥)].

١٠ ـ ونقل منه العلامة أحمد بن عبد الكريم العامري الغزي في كتابه «الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث»[(٦)].

---

(١) محاضرات الأدباء، العزلة وفوائدها ٢ : ١١.

(٢) اتحاف السادة المتقين جـ ٦ : ٣٢٨ إلى ٣٨١.

(٣) الصداقة والصديق ـ ص ٩ و٩٤ و١٠٦ و١٠٨ و١٢٢ و١٣٢ و٢٣٨ و٢٦٢ و٣٠٠ و٣٦٨.

(٤) انظر الآداب ـ باب من يجالس ومن يصاحب ـ ص ١٨٥، وباب من اختار عزلة الناس عند تغيير أكثرهم ـ ص ١٨٨.

(٥) الشهاب الثاقب ـ ص ٨ و٩ و١٣ و١٧ و١٨.

(٦) الجد الحثيث فيما ليس بحديث ـ مخطوط لوحة رقم ١٢/ظ ولوحة رقم ٢٥/ظ.

١١ ـ واستفاد منه أيضاً الإمام الدين السخاوي ـ ت ٩٠٢هـ في كتابه «المقاصد الحسنة»[1] وعزا إليه تخريج عدد من الأحاديث.

١٢ ـ وكذلك نقل منه الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني ـ ت١١٦٢هـ في كتابه «كشف الخفاء ومُزيل الإلباس، عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس»[2] وصرح بعزو عدد من الأحاديث إليه.

١٣ ـ ويغلب على الظن استفادة الإمام أبي على الحسن بن أحمد البغدادي المعروف بـ «ابن البنّاء» المتوفى سنة ٤٧١هـ.

في كتابه «الرسالة المُغنية في السكوت ولزوم البيوت»[3] وذلك لتطابق عدد من النقول بينهما. لكني لم أجده صرح باسم الخطابي في الكتاب كله.. مع أن محقق الكتاب قام مشكوراً بعزو عدد من أحاديث الكتاب للعزلة للخطابي ـ رحمه الله ـ.

● ● ●

---

(١) المقاصد الحسنة ـ ص ٤٠ و٦٨ و٢٢٣ و٢٢٨ و٢٤٢ و٣٩١ و٣٩٥.

(٢) كشف الخفاء ١ : ٩٦ و٩٦ و١٦٨ و٥٠٨ و٥٢٠ و٥٥٢ وجـ ٢ : ٢٨٤ و٢٩٢ و٥١٨.

(٣) الرسالة المُغنية ـ ص ٣٥ و٣٩ و٤٤ و٤٩ وغيرها.

تقويـــم الكتــاب

أ ـ المميزات: [١]

١ ـ أن المؤلف تحدث عن العزلة بأسلوب علمي متزن، بعيد عن الغلو في مفارقة الناس، وحرص على التزام المنهج الحق، والتوسط في مسألة العزلة فبيّن أدلة المنكرين لها، وأدلة المُرغبين فيها وما لكل منهم من حُجج أو براهين ثم اتخذ رأياً وسطاً بالجمع بينهما وذلك بتقسيم العزلة إلى جائزة وممنوعة، وجعل أدلة المنع محمولة على الثانية وأدلة الجواز على الأولى.

٢ ـ أن الكتاب يعتبر مصدراً أصليا في أدلة العُزلة لما حواه من الأحاديث والآثار المروية بأسانيدها المتعلقة بالعزلة والفتن وتغير آخر الزمان.

٣ ـ كما يعتبر كتاب علم، وأدب، وموعظة، وحكمة، وسلوك، وزهد.

---

(١) استفدت في ذكر بعض مميزات الكتاب مما ذكره الشيخ ياسين السواس في مقدمة تحقيقه لكتاب «العزلة» ص ٤٠ إلى ٤٤. بجانب قراءتي الخاصة للكتاب بضع مرات.

٤ ـ أجاد المؤلف تنظيم المعلومات داخل كل باب فتراه يبدأ بالآيات القرآنية أولاً ـ إن وجدت ـ ثم يتبعها بالأحاديث النبوية، ثم الآثار، والأخبار عن السلف، ثم القصص، ثم الأشعار وهكذا. وهذا يدل على ما تمتع به المؤلف من عقلية مُنظمة، وإجادة دقيقة للتأليف العلمي.

٥ ـ شمل الكتاب ثروةً أدبية كبرى لما حواه من أبيات شعرية كثيرة أحسن المؤلف انتقاءها، وبعض أمثال العرب، وعددا من الأخبار، والقصص المفيدة المروية عن السلف، ـ رحمهم الله.

٦ ـ كذلك حوى الكتاب عددا من الأخبار اللطيفة التي تشرح نفس القارىء بما هو طريف ممتع مفيد[١].

٧ ـ عُني المؤلف بالأُسلوب التربوي فحرص على التوجيه والوعظ فيما يُحتاج إليه فقال مثلاً:[٢] فالواجب على العاقل ألا يغتر بكلام العوام وثنائهم، وألا يثق بعهودهم وإخائهم، فإنهم يقبلون مع الطمع، ويدبرون مع الغِنى[٣] ويطيرون مع كل ناعق وغيرها.

٢ـ المآخــذ:

بعد ذكر مميزات الكتاب، وبيان ما اتصف به من قيمة

---

(١) انظر مثلاً ـ ص ١١٧ و١١٨ و١٢٥ و١٢٦ و١٨٠ و٢٢٣ و٢٢٤.

(٢) ص ـ ٢٠٥.

(٣) هكذا في المطبوع ولعلها الفقر أو الفزع، والله أعلم.

علمية، أجدُ نفسي محرجاً في ذكر بعض المآخذ على الكتاب، ولكن ما دعاني لذلك هو أني قصدت بذكر المآخذ الحرص على الوصول بالكتاب لمنزلته اللائقة به مع توازن النظرة إلى الكتاب ببيان ماله وما عليه.

فما هذه المآخذ بذاهبة بمميزات الكتاب التي قدمت أهم ما تبين لي منها.

ومن أبرز هذه المآخذ مايلي:

١ ـ في ترتيب الأبواب نظر ـ بالنسبة لي ـ فلقد ذكر المؤلف باباً في ترك الاستكثار من الأصدقاء[١]، ثم أتبعه بكتاب جامع في ترك مالا يعني[٢]، ثم أتبعها بباب في التحذير من قرناء السوء[٣].

فلو أنه جعل بابى ترك الاستكثار من الأصدقاء، والتحذير من قرناء السوء متتاليين ثم أتبعهما بالكتاب الجامع لكان ذلك أفضل.

وكذلك عقد المؤلف بابا في التحذير من عوام الناس[٤] ثم أتبعه ببابين يتعلقان بفساد الزمان[٥]، وتمني

---

(١) ص ـ ١٢٧.
(٢) ص ـ ١٣٤.
(٣) ص ـ ١٤١.
(٤) ص ـ ١٦٨.
(٥) ص ـ ١٨١.

الموت[١]، ثم ذكر بابا في ترك الاعتداد بعوام الناس[٢]. فلو أنه جعل البابين المتعلقين بعوام الناس متتاليين لكان ذلك أولى.

٢ ـ شدة أسلوب المؤلف ـ أحياناً ـ في مهاجمة القراء، وأصحاب الحديث والمتصوفة، ومن صحب السلاطين، وغيرهم.

ولعل المؤلف شعر بهذه الشدة فختم الكتاب بباب في لزوم القصد في حالتي العزلة والخلطة[٣]. وقال في أوله: قد انتهى منا الكلام في أمر العزلة إلى حيث شرطنا أن نبلغه، وأوردنا فيه من الأخبار ما خِفنا أن نكون قد حسَّنَّا معه الجفاء من حيث أردنا الاحتراز منه وليس إلى هذا أجرينا ولا إياه أردنا.. الخ.

٣ ـ عقد بابا «في خفة الظهر، وقلة العيال والأهل»[٤].

ذكر فيه عدداً من الأحاديث والأخبار الدالة على فضل العُزوبة، والحث على عدم الإكثار من العيال، لئلا يُشغل برزقهم العبد عن طاعة الله، وطلب العلم، ونحو ذلك.

ولا شك أن هذا خلافُ السنة، فلقد حث النبي ﷺ على النكاح، ونهى عن التبتل، وأمر بكثرة النسل للمباهاة بأمته يوم

---

(١) ص ـ ١٩٥.
(٢) ص ـ ١٩٧.
(٣) ص ـ ٢٣٦.
(٤) ص ـ ١٢٠.

القيامة، ولما يُرجى من عظيم نفع الأولاد لوالديهم في الدنيا، وبرهم بهم، ودعائهم لهم بعد الوفاة، وتكثير نسل المسلمين.

طبعات الكتاب وتقويمها:

نظراً لما يتمتع به الكتاب من أهمية موضوعه، ومادته العلمية، وفوائده الحديثية، فلقد حظى باهتمام عدد من طلاب العلم فطبع عدة طبعات في فترات مختلفة، وجميع طبعات الكتاب كانت باسم «كتاب العزلة» ومما وقفت عليه منها:

١ ـ طُبع أولا بالقاهرة سنة ١٣٥٢هـ ١٩٣٣م بإدارة الطباعة المنُيرية مع بعض التعليقات اليسيرة. إلا أنه يلاحظ أنها طبعة سقيمة، وبها عدد من الأخطاء المطبعية.

٢ ـ ثم طُبع في القاهرة أيضاً بتصحيح وتعليق برهان الدين محمد الداغستاني، وتولى نشره الأستاذ/ عزت العطار سنة ١٣٥٦هـ ١٩٣٧م، وهي طبعة جيدة قليلة الأخطاء وزادتها تعليقات المفردات الغريبة، وعزا بعض الأقوال، وخرّج بعض الأبيات الشعرية، وعلق على عدد من النصوص بإيجاز.

٣ ـ ثم طُبع في القاهرة بالمطبعة السلفية سنة ١٣٨٥هـ، حيث نشره قصى محب الدين الخطيب.

٤ ـ ثم طبع الكتاب بدار الكتب العلمية في بيروت عام ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، ، وقد كتب على غلافه حققه وخرج أحاديثه

الدكتور/ عبد الغفار سليمان البنداري[1].

---

(١) وبعد النظر والتأمل الدقيق في الكتاب وجدت أن ما كتب على الغلاف يخالف ما بداخل الكتاب. حيث يلاحظ على هذه الطبعة أنَّ محقق الكتاب لم يذكر ما اعتمد عليه من نسخ مخطوطه، كما أنه أغفل كثيراً من الأحاديث والآثار دون تخريج أو تعليق، انظر مثلاً الأحاديث والأخبار رقم ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٨، ١٩ ومن ٢١ إلى ٤٥ و٤٨ و٤٩ و٥٠ إلى ٥٥ وهكذا.
ـ ويضاف إلى ذلك النزول في التخريج فيعزو المحقق الحديث لمؤلفات متأخرة، أو ليست مصادر أصلية بينما الحديث موجود في مصادر أصلية متقدمة ـ انظر مثلاً الأحاديث رقم ٣ و٤ و١١.
ـ كذلك يستعمل المحقق كلمة «أخرجه» فيما عزى لمؤلفات غير أصلية فيقول في تخريج الحديث رقم (١١): أخرجه السيوطي في جمع الجوامع، والحديث رقم (٥٢): أخرجه العراقي في تخريج الإحياء، والحديث (٨٦): أخرجه الهيثمي في «مجمع الزوائد».
ومن المعلوم أن كلمة أخرجه الأصل في استعمالها أنها لما رواه المؤلف أو المخرج بسنده في كتاب أصلي. أما المصادر الفرعية فيعبر عنها بذكره أو أورده الإمام فلان وعزاه إلى كذا وكذا.
ـ وأيضاً لم يخرج الأبيات الشعرية، ولا أقوال الحكماء أو أمثال البلغاء، ولا أخبار السلف على الإطلاق.
ـ ومما يلاحظ أيضاً خلو الكتاب من الفهارس سوى فهرس الأحاديث النبوية، وأبواب الكتاب. بينما الكتاب يحتاج لفهارس أخرى خاصة فهرس الآيات القرآنية، والأعلام، والأبيات الشعرية ونحوها. بل إنَّ المحقق قد فاته عدد من الأحاديث، أو أجزاء منها في فهرس أطراف الأحاديث عنده ويتَّضح ذلك بالمقارنة مع فهرس الأحاديث الواردة =

٥ ـ ثم طُبع الكتاب مؤخراً في سنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م في دار ابن كثير للطباعة والنشر بدمشق وبيروت بتحقيق وتعليق الشيخ/ ياسين محمد السّوآس ـ جزاه الله خيراً ـ وأجاد المحقق في خدمة الكتاب، وأحسَنَ العنايةَ به. فأخرجه للقرأء في طبعة قشيبة مليئة بالفوائد القيمة.. وبدأ الكتاب بمقدمة وضَّح فيها سبب إختياره لتحقيق الكتاب.

ثم قام بعدها فترجم للمؤلف ترجمةً وافية وتحدث عن بعض مؤلفاته بإيجاز، وأفاض في الحديث، عن كتاب العزلة وسماته ونسخه المخطوطة، والمعتمد منها.

ثم بدأ في التحقيق مراعياً تصحيح النصوص، ومخرّجاً الآيات والأحاديث، والأخبار، والأشعار، مع التعريف ببعض الأعلام بإيجاز، وشرح بعض المفردات الغريبة، والتعليق على بعض المسائل، وختم الكتاب بفهارس فنية متعددة زادت من قيمته، ويسَّرت الإنتفاع منه، وهذه الفهارس تشمل الآيات، والأحاديث والأشعار، والأعلام، والقبائل، والأماكن، والموضوعات.. وفاته عدم جعل فهرس للمراجع التي استفاد منها.

= في كتاب العزلة بتحقيق الشيخ ياسين السواس. وختام ملاحظاتي على الكتاب هو كثرة الأخطاء المطبعية فيه فيجب التنبيه لذلك وأطلت الكلام على هذه الطبعة لأني رأيتها هي المتداولة بين طلاب العلم اليوم.

فجزاه الله كل خير على خدمته الجليلة لهذا السِّفْر العلمي، وأكثر الله من خدمة العلم الشرعي عامة، والسنة النبوية خاصة[1].



(١) هناك بعض ملاحظات على عمله المشكور تتمثل فيما يلي:
١ ـ عدم تخريج الأقوال المأثورة عن السلف ولا أخبارهم إلا نادراً ـ والاكتفاء بالترجمة لصاحب القصة أو الخبر بإيجاز.
٢ ـ أنه يكتفي غالباً بتخريجات الإمام العراقي لأحاديث «الإحياء» فينقل كلامه وعزوه لمن أخرجه، ولا يذكر المحقق أسماء الكتب أو الأبواب وأرقام الصفحات التي رُوي فيها الحديث في المؤلفات التي عَزا إليها العراقي وغالبها مطبوع متداول كالأمهات الست وغيرها. انظر ـ ص ٥٥ و٦٤ و٦٧ و٧٨ و٩٢ و٩٣و. . .
٣ ـ في الفهارس لم يذكر فهرساً للمراجع التي رجع إليها، وكان بودي لو جعل للكتاب فهرساً للموضوعات بالتفصيل يبين ما اشتمل عليه الكتاب من مباحث مختلفة ولو اختلف ترتيب الصفحات. . ولكن المحقق اكتفى بوضع فهرس للموضوعات بحسب ترتيب المؤلف فقط.
٤ ـ كنت أود لو قام بترقيم أحاديث الكتاب لتسهل مراجعته عند التخريج والعزو إليه. والله من وراء القصد.

٣ ـ غريب الحديث

اسمه وتوثيق نسبته:

ذكر هذا الكتاب عدد كثير ممن ترجموا للإمام الخطابي، أو استفادووا من الكتاب فذكروه في مؤلفاتهم.

وذكره عدد من المؤلفين في مصطلح الحديث[١]، وكلهم سموه «غريب الحديث».

وبهذه التسمية سماه المؤلف أيضاً في مؤلفاته الأخرى[٢]، وعزا له بهذا الأسم.

المراد بغريب الحديث عند الخطابي:

عَرّف الخطابي الغريب في مقدمة كتابه فقال[٣]:

---

(١) انظر مثلاً مقدمة ابن الصلاح ـ ص ١٣٧ والمنهل الروي ـ ص ٦٢ واختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ـ ص ١٦٢ وشرح التبصرة والتذكرة ٢ : ٢٧٨ وفتح المغيث ٣ : ٤٨.

(٢) انظر مثلاً معالم السنن ١ : ١٩٥ و٢٥٨ و٢ : ٣٣٨ و٤ : ١٣١، وأعلام الحديث ٢ : ١٢٥٦، وشأن الدعاء ـ ص ١٧٨.

(٣) غريب الحديث ١ : ٧٠ و٧١.

«الغريب في الكلام إنما هو الغامض البعيد من الفهم، كالغريب من الناس إنما هو البعيد عن الوطن، المنقطع عن الأهل، ومنه قولك للرجل إذا نحيته وأقصيته، اغرب عنّي أي: ابعد، ومن هذا قولهم: نوىً غَرْبَةٌ، أي بعيدة.

ثم قال: إنَّ الغريب من الكلام يقال به على وجهين:

أحدهما: أن يراد به بعيد المعنى غامضه، لا يتناوله الفهم، إلا عن بعد ومعاناة فكر.

والوجه الآخر: أن يراد به كلام من بَعُدت به الدار، ونأى به المحل من شواذ قبائل العرب. أهـ

قلت: الوجه الأول الذي ذكره الخطابي هو المراد بتعريف غريب الحديث في اصطلاح المحدثين حيث عرفوه: بأنه ما وقع في متون الأحاديث من الألفاظ الغامضة البعيدة من الفهم لقلة استعمالها.(١).

أما الوجه الآخر فهو منصب على التعريف اللغوي للغريب ـ والله أعلم ـ

موضوع الكتـــاب:

١ ـ تفسير الكلمات والعبارات الغريبة الواردة في المتون

---

(١) انظر مقدمة ابن الصلاح ـ ص ١٣٦ وشرح التبصرة والتذكرة ٢ : ٢٧٨، وتدريب الراوي ٢ : ١٨٤، وتوضيح الأفكار ٢ : ٤١٣.

المروية عن الرسول الله ﷺ وعن أصحابه وعن التابعين.

وقد بيَّن بنفسه الغريب في مقدمة الكتاب ـ كما سبق قريباً.

٢ ـ إصلاح ما تحرَّف، أو تصحَّف من الألفاظ من قبل بعض رواة الحديث، ويذكر ذلك في أثناء شرحه للأحاديث، كما خَتَم الكتاب بإصلاح غَلَط المحدثين، وسيأتي الكلام على هذا مفصَّلا بعون الله تعالى.

مكـان وزمان تأليف الكتــاب:

يظهر من كلام الخطابي في مقدمة كتابه[١] أن الكتاب أُلِّف على مرحلتين:

المرحلة الأولى: يقول عنها الخطابي «وأما كتابنا هذا فقد كان خرج لي بعضه وأنا إذ ذاك ببخارى في سنة تسع وخمسين وثلثمائة. فطلب إليَّ إخواننا بها أن أمكنهم من انتساخه وأحبوا أن يتعجلوا فائدته من غير تعريج عَلَيَّ في إتمامه، والتلّوم في النظرة لأن يبلغ إناه، فأفرجت لهم عنه، ولما يأت النظر بعد على استيفاء ملاحظته، ولم يقع الاحتشاد منى لتهذيبه، فيفهم مما سبق أن ما كتبه أولا يعتبر «مسودة» للكتاب ناقصة، حيث روى عن أبي زيد قال: «لا يَبْيَضُّ الكتابُ حتى يَسْوَدَّ» ثم ذكر أنه حينذاك لم تكن معه كتبه التي يعتمد عليها، كما لم يكن لديه من

(١) ١ : ٥١.

فراغ البال مما يساعده على تهذيب ما يحتاج لذلك.

أما المرحلة الثانية فهي مرحلة إتمامه كتابته النهائية فيعبر عنها بقوله: «ولما تنفس الوقت، ورزق الله التوفيق لما أحب أن يوفق منه، وتصحفت ما في تلك النسخة تبينت في أحرف منها خللا، فغيرَّت وأصحلت، وزدت وحذفت، ورتَّبت الكتاب على الوجه الذي استقرَّ الآن عليه[1].

والظاهر ـ والله أعلم ـ أنه فَرِغَ من اصلاح الكتاب وتهذيبه وهو في مدينة نيسابور ويدل على ذلك قول الإمام الذهبي «أقام مدة بنيسابور يصنِّف؛ فعمل غريب الحديث و. . و. . »[2].

ومما ترجح لدى أن كتابه «غريب الحديث» يعتبر هو أول مؤلفاته. وأنه ألف «غريب الحديث» قبل تأليفه «معالم السنن» و«أعلام الحديث» و«شأن الدعاء» بدلالة كثرة الإحالات في هذه الكتب على «غريب الحديث» ويعبر عنها بصيغة الماضي بقوله: وقد فَسَّرته في غريب الحديث[3].

السبب الباعث على تأليف الكتاب:

بيّن الخطابي في المقدمة السبب الباعث على تأليفه كتابه

---

(١) ١ : ٥٢.

(٢) تذكرة الحفاظ ٣ : ١٠١٩.

(٣) انظر معالم السنن ١ : ١٩٥ و٢٥٨، وج ٢ : ٣٣٨ وج ٤ : ١٣١، أعلام الحديث ٢ : ١٢٥٦. وشأن الدعاء ـ ص ١٧٨.

«غريب الحديث» وهو أنه كان يظن أن الإمامين أبا عبيد القاسم ابن سلاّم ـ ت ٢٢٤هـ[١] وأبا محمد بن قتيبة ـ ت٢٧٦هـ[٢] قد جمعا كافة ما يتعلق بغريب الحديث في كتابَيْهما، وأنه لم يبق في هذا الباب لأحد متكلم.

ولكنه مع كثرة نظره في الحديث، وطول مجالسته لأهله، وجد ألفاظاً غريبة لا أصل لها في الكتابين السابقين فلم يذكراها.

فقام بجمع تلك الألفاظ وتتبع مظانها حتى اجتمع له منها عدد كبير نسَّقه ورتَّبه في هذا الكتاب الذي صار في نحو حجم كتاب أبي عبيد أو كتاب ابن قتيبة[٣].

---

(١) كتاب «غريب الحديث» لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي. طبع في حيدر آباد بالهند. بإشراف دائرة المعارف العثمانية. ما بين عام ١٣٨٤هـ إلى عام ١٣٨٧هـ في طبعة مختصرة، محذوفة المقدمة والأسانيد، مزودة بفهرس للألفاظ الغريبة بحسب الحرف الأول للمفردة، وقد صورت هذه الطبعة مراراً.

(٢) كتاب «غريب الحديث» لابن قُتيبة طبع أولاً بتحقيق د/ عبد الله الجبوري ببغداد سنة ١٣٩٧هـ ويقع في ثلاثة مجلدات كبيرة واعتنى المحقق بدراسة الكتاب ومنهج مؤلفه مع جودة تحقيقه وتذييله بفهارس عديدة قيمة يسرت الانتفاع به. ثم طبع في تونس سنة ١٣٩٩هـ ـ بتحقيق د/رضا السويسي، واعتنى بالدراسة الألسنية للكتاب. ثم طبع في بيروت عام ١٤٠٨هـ بعناية نعيم زرزور في مجلدين مذيلين ببعض الفهارس.

(٣) ١ : ٤٨.

وهناك باعث هام على التأليف في الغريب أشار إليه الخطابي في مقدمة كتابه قبل ذكر الباعث الخاص الذي أسلفته فقال «ثم إنَّ الحديث لما ذهب أعلامه بانقراض القرون الثلاثة واستأخر به الزمان، فتناقلته أيدي العجم، وكثرة الرواة، وقلَّ منهم الوُعاة، وفشا اللحن، ومرت عليه الألسن اللكن، رأى أولوا البصائر والعقول، والذابون عن حريم الرسول الله ﷺ أنَّ من الوثيقة في أمور الدين، والنصحية لجماعة المسلمين، أن يعنوا بجمع الغريب من ألفاظه وتفسير المشكل من معانيه... وأن يدِّونوه في كتب تبقى على الأبد، وتخلد على وجه المُسْنَد، لتكون لمن بعدهم قدوة وإماماً، ومن الضلال عصمة وأمانا[1] أهـ.

فلا يبعد أن يكون هذا الباعث العام للتأليف في الغريب مما حفزه على ذلك، بدليل أنه أشار بعد ذلك إلى تأسّيه بأبرز من سبقوه إلى التأليف في الغريب[2].

وهناك باعث ثالث وهو تصويب ما وقع من بعض الرواة من تصحيف بعض الفاظ الأحاديث، وقد أشار إليه بقوله[3]:

«وختمت الكتاب بإصلاح ألفاظ من مشاهير الحديث، يرويها عوام النقلة ملحنة محرفة عن جهة قصدها، رأيت داعية الحاجة

---

(١) ١ : ٤٧.

(٢) ١ : ٤٨.

(٣) ١ : ٤٩.

منهم إلى ذكرها شديدة، والفائدة في تقويمها لهم عظيمة.

شرط المؤلف في كتـابه:

أشار المؤلف إلى شرطه في الكتاب من حيث ذكر الأحاديث والآثار ما يفسِّر منها.. فقال: «ولم أعرض لشيء فسر في كتابيهما أي أبي عبيد وابن قتيبة إلا أن يتصل حرف منه بكلام، فيذكر في ضمنه، أو يقع شيء منه في استشهاد أو نحوه، وإلا أحاديث وجدت في تفسيرها لمتقدمي السلف أو لمن بعدهم من أهل الاعتبار والنظر أقاويل تخالف بعض مذاهبهما، وتعدل عن سن اختيارهما، اقتضى حق هذا الكتاب، وشرط ما هو ضامنه من استيفاء هذا الباب أن يكون مشتملاً عليها ومحيطاً بها.

ويكفي من العذر فيما أُورده أن الغرض فيه أن يظهر الحق، وأن يبين الصواب دون أن يكون القصد به الاعتراض على ماضٍ أو الاعتداد على باق، ولعل ما نأثره منهما لو بلغ أبا عبيد وصاحبه لقالا به وانتهيا إليه وذلك الظن بهما[1]. أهـ.

---

(١) ١ : ٤٩ ويستفاد منه حسن أدب الإمام الخطابي مع من تقدموه من العلماء وعدم تعقبه لهم بألفاظ جارحة، أو الحط من قدرهم - رحمهم الله. فما أجدر طلاب العلم اليوم في الاقتداء بآداب العلماء - رحمهم الله - والاستفادة من أساليبهم التربوية.

طريقته في ترتيب الكتـاب:

هناك ترتيب عام للمادة العلمية في الكتاب وقد أشار له بقوله:

«وابتـدأت أولاً بتفسيـر حـديـث رسـول الله ﷺ ثـم ثَنّيـت بأحاديث الصحابة، وأردفتها أحاديث التابعين، والحقت بها مقطعات من الحديث لم أجد لها في الرواية سندا؛ إلا أنها قد أخذت عن المقانع من أهل العلم، والأثبات من أصحاب اللغة.

وختمت الكتاب بإصلاح ألفاظ من مشاهير الحديث يرويها عوام النقلة ملحونة، ومحرفة عن جهة قصدها، رأيت داعية الحاجة منهم إلى ذكرها شديدة، والفائدة في تقويهما لهم عظيمة[1].

وقد أشار الخطابي في هذا الترتيب إلى تأسيه بطريقة أبي عبيد وابن قتيبة فقال: «ونحوت نحوهما في الوضع والترتيب».

وبعد ذكره للأحاديث المرفوعة ذكر بعدها مقطعات من الحديث بلا طرق[2] فيذكر متن الحديث دون سند ويكتفى بقوله: «جاء في الحديث» ثم يذكره ويفسر غريبه.

---

(١) ١ : ٤٨.

(٢) ١ : ٧١٦ إلى ٧٢٣.

وذكر مثل ذلك بعد نهاية الآثار المروية عن التابعين وذلك في آخر الكتاب[1].

وخَتَم الكتاب بذكره لألفاظ من الأحاديث يرويها العامة ملحونةً فأصلحها وبيَّن صوابها. وسيأتي الكلام على هذا عند تناول كتابه «إصلاح غلط المحدثين».

طريقته في إيراد مواد الكتاب:

لم يُرتب الخطابي كتابه على الأبواب، ولا على المفردات، ولكن جرى في إيراده التفصيلي لكل قسم على النحو التالي:

١ ـ أنه ليس له نسق معين في ترتيب الأحاديث بل الجامع العام كونها أحاديث مرفوعة، وتشتمل متونها على ألفاظ أو عبارات غريبة. وشملت الجزء الأول من الكتاب.

٢ ـ في مسانيد الصحابة قدَّم أحاديث العشرة المبشَّرين بالجنة، ثم السابقين إلى الإسلام من المهاجرين أو الأنصار دون ترتيب لهم على الحروف أو السنوات، ثم لما فرغ من ذكر الصحابة ذكر ما روى عن الصحابيات، فبدأ بعائشة ثم حفصة ثم أم سلمة ثم أسماء بنت أبي بكر الصديق، وبذلك انتهى الجزء الثاني، أما الجزء الثالث فهو لأحاديث التابعين وذكرهم دون ترتيب كما سبق.

---

(١) ٣: ١٩٣ إلى ٢١٨.

٣ ـ عند انتقاله من حديث لآخر أو لأثر ـ أو من لفظة غريبة أو عبارة إلى أخرى فإنه لا يخضع لترتيب معين.. أو نسق متفق.

وهذه الطريقة برغم صعوبتها، وعسر المراجعة فيها عند البحث عن مفردة غريبة.. إلا أنها هي المتبعة قديما في زمن الخطابي، ما قبله ـ حيث المؤلفات في غريب الحديث في القرن الثاني والثالث والرابع لا تعرف الترتيب اللغوي للمفردات، بحسب أولها أو آخرها... وكان التركيز منصبا على الأحاديث وأسانيدها، فعمدوا إلى ترتيبها بحسب المسانيد لتسهل مراجعة الحديث عندهم وتفسير غريبه، حيث الغالب عليهم حفظ الأحاديث فيصلون إلى الحديث سريعا بمعرفة اسم راويه من الصحابة أو التابعين.

ولما جاء زمن أبي عبيد أحمد بن محمد الهروي ـ ت ٤٠١هـ ألف كتابه «غريب القرآن والحديث» أو كما يسمى بـ «الغريبين»[١] فجعله مُرتباً بحسب حروف المعجم فبدأ بالهمزة ثم الباء ثم التاء وهكذا.. وجعل لكل حرف بابا، فيذكر فيه ما كان مبدءاً من المفردات بذلك الحرف ويفسرها، مع اقتصاره على المتون. وحذف ناشر الكتاب الأسانيد، لأن الغرض والمقصد

(١) طبع الجزء الأول في القاهرة سنة ١٣٩٠هـ بتحقيق الدكتور/ محمود الطناحي. ثم طبع كاملاً في الهند في ستة أجزاء.

من كتابه معرفة الكلمة الغريبة لُغةً وإعراباً ومعنى، لا معرفة متون الأحاديث والآثارو طرق أسانيدها وأسماء رواتها.. فإن ذلك علم مستقل بنفسه مشهور بين أهله.

وتتابع التأليف في غريب الحديث بالعناية بترتيب المفردات بحسب الحرف الأول منها.

وأشهر ما ألف في ذلك «الفائق في غريب الحديث»(١) لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ـ ت٥٣٨هـ» و«المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث»(٢) لأبي موسى محمد بن أبي بكر المديني الأصفهاني ت ٥٨٢هـ، و«غريب الحديث»(٣) لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي ـ ت٥٩٧هـ.

و«النهاية في غريب الحديث»(٤) لأبي السعادات مجد الدين المبارك ابن محمد الجزري المعروف بابن الأثير ـ ت٦٠٦هـ(٥).

---

(١) طبع بتحقيق علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم. وصور مراراً.

(٢) طبع بجامعة أم القرى في مكة المكرمة بين عامي ١٤٠٦هـ و١٤٠٨هـ بتحقيق الأستاذ/ عبد الكريم العزباوي.

(٣) طبع في بيروت سنة ١٤٠٥هـ بتعليق الدكتور/ عبدالمعطي أمين قلعجي.

(٤) طبع بتحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي. وصور مراراً.

(٥) للاستزادة عما سبق انظر مقدمة النهاية في غريب الحديث، والمعجم العربي لحسين نصار ١ : ٥٠ إلى ٦٥.

طريقته في شرح الألفاظ والعبارات الغريبة:

جرت طريقة الإمام الخطابي ـ رحمه الله ـ عند شرحه للمفردات أو العبارات أن يبدأ أولا بذكر المتن ـ دون التزام طريقة معينة في ترتيب المتون المروية عن الرسول، والترتيب على المسانيد فيما روى عن الصحابة والتابعين ـ فإذا ذكر المتن أتبعه بالسند الذي رُوي به ذلك المتن ـ إلا في مواضع يسيرة لم يذكر أسانيده فيها.

ثم يشرح بعد ذلك ما في المتن من مفردات أو عبارات غريبة ـ دون التزام طريقة في ترتيب المفردات ـ وقد بلغت تلك المواد اللغوية ٢٢١٢ مادة لغوية. والكتاب في مجمله تظهر فيه الصبغة اللغوية والأدبية كثيراً . . بينما تقل الصبغة الحديثية فيه. وجرى غالباً عند شرحه للمفردات والعبارات الغريبة على سلك النقاط الآتية:

١ ـ يذكر رأيه في معنى المفردات أو العبارة أولاً؛ فيبين معناها في أصل الإطلاق اللغوي، وشرح المراد بها في الحديث، ثم يستشهد بأقوال أئمة اللغة بعد ذلك.

٢ ـ اعتاد ـ غالباً ـ الاستدلال على تفسير المفردات بآيات

قرآنية[1] أحياناً بعض الأحاديث النبوية[2] الدالة على ذلك المعنى والأمثلة على ذلك كثيرة في كتابه.

٣ ـ التزم ـ تقريباً ـ بأن يذكر بيتاً من الشعر أو أكثر عند بيانه لكل مفردة فيها عدة أبيات شعرية. ولكثرتها جعل لها محقق الكتاب فهرسا خاصاً[3].

٤ ـ ويذكر أحياناً بعض أمثال العرب الدالة على ذلك المعنى.. ولكثرتها قام محقق الكتاب بوضع فهرس خاص للأمثال[4].

٥ ـ اعتنى ـ رحمه الله ـ بالتأصيل اللغوي، وبيان الوزن الصرفي للمفردة، وما تعرضت له من قلب وإبدال ونحو ذلك.. ويتبع ذلك أحياناً بالاهتمام بالمسائل النحوية إعراب بعض المفردات والجمل.. وتخريج بعض الإعرابات وحملها على

---

(١) انظر ج ١ : ٨٠ و٨٤ و٨٧ و٢٢٣ و٢٣٨ و٢٤٢ و٢٨٥ و٢٨٦ و٣٩٢ و٣٩٤ و٣٦٢ و٣٧٨ و٤٤٥ و٤٧٢ و٧٠٣.
وج ٢ : ٢١٠ و٣٣٢ و٣٦٥ و٣٩٩ و٤٢٤ و٤٢٨.
وج ٣ : ٦٤ و١٢٧ و١٥٢ و١٩٦ و١٩٨ و٢٠٦ و٢١٣.

(٢) انظر ج ١ : ٨٥ و٨٩ و١٤٣ و١٩٩ و٢٠٤ و٢١١ و٢١٩ و٢٨٩ و٢٩٩ و٣١٢ و٣٢٢ و٣٢٨ و٣٣٠ و٣٣٦ و٣٦٨ و٣٧٢ و٣٧٧ و٣٨١ و٣٩٧ و٤٤٢ و٤٨٠ و٤٨٦ و٥٠١ و٥٩٥ و٦٠٦ و٦٧٦ و٧٠٢ و٧٠٤، وج ٢ : ١٥ و٥٢ و٥٩ و٣٦١ و٤٢٠ و٣١ و٥٧١ و٥٨٩.

(٣) فهرس الشعر والرجز ـ ج ٣ : ٥٣٥ إلى ٦١٤.

(٤) فهرس الأمثال ٣ : ٦٣٢ إلى ٦٣٧.

بعض الوجوه المناسبة ولكثرة هذه أيضاً قام المحقق بوضع فهرس للغة[1] وفهرس النحو والصرف في الكتاب[2].

٦ ـ واهتم المؤلف أيضاً ـ بفقه اللغة فيذكر ما ورد عن العرب في تسمية ذلك الشيء على اختلاف مراحله وأحواله أو ما ترادفت أسماؤه، ونحو ذلك.

وأمثلة ذلك في الكتاب كثيرة[3].

٧ ـ يستعمل الإحالات أحياناً بقوله «وقد فسرنا هذا فيما تقدم من الكتاب»[4] أو قوله: «وقد ذكرته فيما مضى»[5]

٨ ـ اعتنى ـ رحمه الله ـ ببيان الوهم، ومخالفة الصواب، فيما ذكره عن أئمة اللغة في ضبط أو لفظ بعض المفردات، أو معناها فيبين بقوله: وهذا غلط[6]، أو هذا خطأ[7]، أو هذا

---

(١) فهرس اللغة ٣/٦١٥ إلى ٦٢٠.
(٢) فهرس النحو والصرف ٣/٦٢١ إلى ٦٢٥.
(٣) انظر مثلاً ج١: ٣٤٠ و٤١١ و٤٨٥ و٥٠٨ و٥١٠ و٥٢٦ و٥٣٢ و٦٤٩.
وج ٢: ٢١٥ و٢٣١ و٢٣٧ و٢٤٠.
(٤) ١/٤٩٧ و٧٠٦ و٧٢١.
وج ٢: ١٤١ و١٦١ و٢٤٢ و٢٤٣ و٥٨٨.
(٥) ٣/٢٠٣.
(٦) ١: ٣٠٨ و٦٥٢ وج٢: ٧ و٢٦٠ وج٣: ٦٥.
(٧) ١: ٣٢٥.

لا يستقيم[١]، وهذا فاسد[٢]، أو هذا التفسير ليس على التحقيق[٣].

ويُبَيِّن بعد ذلك الصواب بقوله والصواب كذا[٤].. أو تحقيقه كذا[٥]، واللغة الجيدة كذا[٦]...و... وأمثلة ذلك كثيرة جداً في الكتاب[٧]، وقد ختم الكتاب ببيان ما يروى عن المحدثين من أغلاط في لفظ بعض الأحاديث[٨].

٩ ـ ظهرت في الكتاب جلياً صفة الورع، وعدم القول بلا علم لدى الإمام الخطابي فنجده كثيراً ما يتوقف في تفسير بعض المفردات بقوله: لست أعرف حقيقته؟[٩] أو لا أدري ما هو[١٠]؟ أو لا أدري ما صحته[١١]؟ أو لم أسمع به[١٢]، إلى

---

(١) ١: ٤٩٦.
(٢) ١: ٣٢٧.
(٣) ١: ٢٩٥ و٣٥٣.
(٤) ١: ٨٥ و١٦٣ و٢٩٧ و٤٦٤ و٥١٧ وج٢: ٥٨٦ وج٣: ٦
(٥) ١: ٣٩٢.
(٦) ١: ٤٨٥.
(٧) انظر مثلاً ج١: ٧٧ و٨٧ و١٧٢ و٤٦٧ و٤٩٦ و٥٠٦ و٥٤٨ و٥٩٢ و٦٠٢ و٦٠٥ و٦١٨ و٦٩٩.
(٨) انظر ج٣: ٢١٩ إلى ٢٦٥.
(٩) ٢: ٥٤ و١: ٧٣٢.
(١٠) ٢: ٩٩.
(١١) ٢: ٢١٣.
(١٢) ١: ٥٠٨ و٥٤١ و٢: ٤٨٩.

غير ذلك في مواضع كثيرة[1]، ويتحرى الدقة في قوله ومن ذلك قوله في تفسير كلمة «القُنْع»:

«قد أكثرت السؤال عن هذا الحرف، والنشدة له فلم أجد فيه إلا دون ما يُقنع[2] و. . الخ، بل وبلغت عنايته بالمعاني أنه راسل بعض العلماء، ويدل على ذلك قوله في تفسير «البَرَهْرَهَةُ» فقد أكثرت السؤال عنها، فلم أجد فيها قولا يليق بمعنى الحديث يقطع بصحته. . . وكتبت فيها للأزهري فكان جوابه أنه تصحيف من بعض النقلة[3]. . الخ.

فقـه الحديث، وما يتعـلق بــه:

الخطابي إمام جامع «بين الرواية والدراية، فاستطاع ـ رحمه الله ـ أن يستفيد من الحديث في الاستدلال به على المسائل الفقهية، وكذلك استنباط الأحكام والآداب الشرعية منه.

ويتضح هذا جلياً في كتابه «غريب الحديث» مع أن موضوعه الأصلي شرح الغريب وتوضيحه تجده كثيراً ما يُعرِّج على بيان

---

(١) انظر مثلا ١: ٢١٠ و٢٩٥ و٣٥٢ و٣٨٦ و٥٣٩ و٦٤٩ و٦٦٧ و٦٧٥ و٦٨٩ و٧٧٢. ٢: ٣٢٢ و٣٨٩ و٥٤٤ و٥٨٨.
٣: ٤٦ و٦٥ و١٩٩ و٢٠٨ و٢١٣.

(٢) اختار ابن الجوزي أن المراد بالقنع: الشَّبُّورُ، وهو البُوق. غريب الحديث ٢ : ٢٦٧.

(٣) انظر ١ : ٦٧٥ وفسرها بأنها: سكينة بيضاء صافية الحديدة ١ : ٦٧٦.

جوانب من الأحكام الفقهية، والآداب الشرعية التي يدل عليها الحديث في نظره لكنه لم يلتزم هذا في كل أحاديث الكتاب ولكن في كثير منها حتى بلغ ذلك كماً ظاهراً جعل المحقق يخصص له فهرساً سماه «فهرس الفقه»(١).

ويذكر الخطابي أحياناً بعض الخلافات الفقهية، ويسمى أصحاب كل قول، ويورد بعض أدلتهم، وقد يُرجح بينها ـ أحياناً ـ أو يوفق بينها وشملت أقواله الفقهية العديد من إستنباطاته الفقهية، وآرائه وترجيحاته، وتعليله للأحاديث، وجمعه بين المتعارض، وبيانه للمشكل.

إحصائيات لمتون الكتاب، ومواده الغريبة:

لم يقم محقق كتاب «غريب الحديث» للخطابي، بترقيم أحاديث وآثار الكتاب، ولا إحصاء عدد مواده اللغوية.

فرأيت القيام بذلك ليقف القارىء على ضخامة العمل الجليل الذي قام به الإمام الخطابي، وأنَّ ما ذكره الإمام ابن قتيبة ـ رحمه الله تعالى ـ في مقدمة كتابه «غريب الحديث»(٢) «من أنه

---

(١) رتب المفهرس «فهرس الفقه» بحسب ورود المسائل في الكتاب وكنت أود لو رتبها بحسب الأبواب الفقهية لتجتمع أقوال الخطابي في الباب الواحد، وليصل الباحث إلى طلبته دون عناء، انظر: فهرس الفقه في آخر الكتاب ٣ : ٦٢٦ إلى ٦٣١.

(٢) غريب الحديث لابن قتيبة ١ : ١٠٩ ط. السويسي و١ : ١٥٢. ط ـ د: الجبوري.

لم يبق بعدما في كتابه، وكتاب أبي عبيد بن سلام الهروي من غريب الحديث ما يكون فيه لأحد مقالاً»، إنما قاله بحسب مبلغ علمه، بنظره لما كان في عصره مما يعد غريباً.

أقول: بلغ عدد الأحاديث والآثار التي شرح الخطابي غريبها ثلاثين ومائتين وألف حديث وأثرٍ «١٢٣٠» منها تسعةٌ وتسعون وأربعمائة حديث مرفوع في المجلد الأول «٤٩٩» ومنها ثلاثة وخمسون وأربعمائة حديث موقوف على الصحابة في المجلد الثاني «٤٥٣» ومنها تسعون ومائة أثر مقطوع على التابعين في المجلد الثالث «١٩٠» ومنها ثمانيةٌ وثمانون حديثاً يُسميها المؤلف بالمُقَطّعات ـ أي التي ذكرها بلا إسناد. منها في المجلد الأول عشرون حديثاً. وفي المجلد الثالث ثمانية وستون حديثاً وبلغ عدد المواد اللغوية التي شرحها المؤلف في كتابه بحسب ما ذكره المحقق في فهرس الألفاظ اللغوية اثنتى عشرة ومائتين وألفي مادة غريبة «٢٢١٢».

مميزات الكتـــاب:

بعد قراءتي للكتاب كاملاً تبين لي أنه يمتاز بمزايا كثيرة من أهمها مايلي:

١ ـ كتاب «غريب الحديث» للخطابي يشكِّل مع كتابي «غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام، وابن قتيبة» بناءً هاماً، وصرحاً شامخا في علم غريب الحديث، فتعتبر هذه المؤلفات الثلاثة هي الأمهات في هذا الفن، ويغلب على الظن

أنه لم يفتهم من غريب الحديث إلا النزر اليسير، وكل من ألف في غريب الحديث بعدهم فهو عالة عليهم.

٢ ـ أنه يعتبر مصدراً أصلياً في تخريج الأحاديث وذلك فيما رواه المؤلف من الأحاديث والآثار بسنده وقد بلغت ١١٤٢ ويمكن التخريج من هذا الكتاب بواسطة طريقتين:

١ ـ التخريج بحسب اللفظة الغريبة.

٢ ـ التخريج بحسب معرفة اسم راوى الحديث ومراجعته في مظنته من مسانيد الكتاب.

٣ ـ امتاز هذا لكتاب بطول نفس الإمام الخطابي في الشرح التفسير، حيث توسّع كثيراً في عدد كثير من المواضع فتجده غالباً عند تفسيره للمفردة الغريبة يبيِّنُ معناها، ويستدل عليه بما ورد في القرآن، أو السنة، أو الشعر، أو أخبار العرب، ويذكر ما يتعلق بالحديث، أو الأثر من مباحث فقهية، أو أصولية، أو نحوية، أو صرفية أو لُغوية أو أَدبية.

٤ ـ يُعتَبَرُ الكتابُ مَجْمَعاً هاماً لأقوال أئمة اللغة، وفُصَحاء العرب.

٥ ـ يعتبر الكتاب مجمعاً هاماً للأبيات الشعرية حيث أكثر الخطابي من ذكرها عند كل مفردة تقريباً.

٦ ـ أنه مرجع هام في معرفة أسماء شيوخ الإمام الخطابي ومن فوقهم ـ حيث يذكر أسماءهم صريحة، كاملة ولو مرة واحدة في مؤلفاته الأخرى ومعرفة المهمَلين من شيوخه أو

المجهولين منهم عند الترجمة لهم.

٧ ـ حوى الكتاب عدداً كبيراً من الآثار المروية عن الصحابة، أو التابعين وأتباعهم، فيعتبر مصدراً هاماً في مراجعة تلك الآثار والاستدلال بها.

٨ ـ عنايته بإصلاح غلط المحدثين، وتبيينه للنطق الصحيح للحديث وضَبْطِه.

٩ ـ يعتبر الكتاب بحق معلمة هامة في ذكره وتضمنه لمختلف أنواع العلوم والفنون. فلقد اشتمل الكتاب على كل من الفنون الآتية: التفسير، والعقيدة، والفتن، وأحاديث الأحكام والآداب وشرح غريبهما، والفقه وأصوله، وعلم الفرائض، والمغازي والشمائل والتاريخ، وفقه اللغة، والنحو والصرف، والشعر والأدب، وبُلدان وأنساب العرب، والمواعظ والتوجيهات التربوية، والمعلومات والمعارف العامة، وأُفصِّل ما أجملتُ فأقول:

أما التفسير فلقد اشتمل الكتاب على عدد كبير من الآيات القرآنية التي ذكرها المؤلف إما استدلالاً على معنى مفردة[1] أو لبيان تفسير تلك الآيات فيما رواه عن الصحابة أو التابعين ولقد

---

(١) تقدمت الاحالة على المواضع التي استدل فيها بآيات قرآنية في طريقته في شرح الألفاظ والعبارات الغريبة.

اشتمل مسند ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ[١] ومسند أبي بن كعب[٢]، ومسند مُجاهد بن جبير[٣] على عدد كثير من المرويات عنهم في تفسير بعض الآيات القرآنية.

وأما مسائل العقيدة، فلقد ذكر عدداً من المسائل العقدية في الكتاب منها ما يتعلق بالإيمان[٤] والتوكل[٥]، والاستغاثة[٦]، والولاء، والبراء[٧]، والبعث[٨]، والذبح لغير الله[٩]، وتوحيد الأسماء والصفات[١٠]، والعرش[١١]، والكلام عن الخوارج[١٢].

وأما الفتن فلقد ذكر المؤلف بعض ما يتعلق بأشراط الساعة، وأكثر من ذكر الدجال في عدة مواضع[١٣] وما حدث بين

---

(١) انظر ج ٢ : ٤٤٦ إلى ٤٨١.
(٢) ٢ : ٣١٨ إلى ٣٢١.
(٣) ٣ : ٦٧ إلى ٧٥.
(٤) ١ : ٦٤٦ و٣ : ١٠١.
(٥) ١ : ٧٠٠.
(٦) ٢ : ٢٤٢.
(٧) ١ : ١٢٣ و٣٢٣.
(٨) ١ : ٣٧٠.
(٩) ١ : ٣٧٠.
(١٠) ١ : ٧٠٧ و٧٠٧ و٣ : ١٩٨.
(١١) ٢ : ٤٩٥.
(١٢) ١ : ٣٦٢.
(١٣) انظر فهرس الأعلام ـ الدجال ـ ج ٣: ٧٠١.

الصحابة، والتنازع على الملك والخلافة[١]، ونحو ذلك وأخبار المهدي[٢].

وأما أحاديث الأحكام والآداب فهي التي حظيت بنصيب الأسد من الكتاب... ولكثرتها فهي أشهر من أن يُشار إلى مواضعها.

أما الفقه، وأصوله، والفرائض فلقد تقدم الكلام عليها في فقه الحديث في الكتاب.

وأما المغازي فلقد اهتم الخطابي بأحاديثها كثيراً، فشرح عدداً كبيراً من الأحاديث الواردة في مختلف غزوات الرسول ﷺ، وسراياه وبعض أحداث السيرة النبوية ومن ذلك مثلاً: خبر هجرة الحبشة[٣] وخبر هجرة المدينة[٤] وغزوة بدر الكبرى[٥] وغزوة بني سليم[٦] وغزوة أحد[٧]و ويوم الرَّجيع[٨]،

---

(١) ١ : ٥٥٠.
(٢) ٢ : ١٩١.
(٣) ١ : ٢٧٤.
(٤) ١ : ١٨٠ و٤٢١ و٤٢٣ و٤٢٦ و٥٥٦.
(٥) ١ : ٧٠ و١٩٨ و٣٩٤ و٣٩٦ و٣٩٩ و٥٠٧ و٥٥٤ و٦٦٨ و٦٧٨.
(٦) ١ : ١٣٦.
(٧) ١ : ١١٢ و١٦٦ و٢٢٦ و٣١٦.
(٨) ١ : ١٠٨ و٥٠٥.

وفتح خيبر[1]، وصلح الحُديبيّة[2]، وغزوة مؤتة[3] وغزوة حُنين[4]، وتَبوك[5]. وذكر أيضاً الخلاف في أول من أسلم من الصحابة ورجح بعدم القول بالأولوية مطلقاً، بل إن أول من أسلم من الرجال البالغين أبو بكر، ومن الأحداث علي بن أبي طالب، ومن النساء خديجة[6] ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ وأكثر ما ذكره في المغازي نقله من طريق أو كتاب الإمام محمد بن إسحاق أحياناً من طريق الزهري أو الواقدي.

وأما الشمائل فلقد اهتم المؤلف بالأحاديث الواردة في وصف الرسول ﷺ من الناحية الخَلْقية[7] والخُلُقِيّة[8].

وأما التاريخ فلقد ذكر الخطابي في أثناء شرحه لبعض الأحاديث بعض أيام العرب، وأخبار الخلفاء ومن ذلك ذكره لقصص أخبار بعض الأنبياء والصالحين[9] وأخبار قريش في

---

(١) ١ : ٢٦٢ و٣٥٩ و٥٦٢ و٦٠٥.
(٢) ١ : ٥٣٤ و٥٦٤.
(٣) ١ : ٦٠١.
(٤) ١ : ١٨٤ و٣٣٢ و٣٧٣.
(٥) ١ : ٣٠٣.
(٦) ٢ : ٢٧٢.
(٧) ١ : ٢١٢ وما بعدها.
(٨) ١ : ٤٢٤ و٥٣٣ و٦٠٠ و٦٠٢.
(٩) ١ : ٤٢٦.

الجاهلية[١]. والحديث عن خلافة أبي بكر[٢] وبقية الخلفاء الراشدين[٣] وبنى أمية[٤] وبعض الولاة، وأخبار الفتوحات وغيرها.

ومن أيام العرب ذكر حرب البسوس[٥] وقصة المُتلَمِّس وصحيفته[٦]. وخبر زهير بن جُناب الكلبي حينما وفد على بعض الملوك[٧]، ويوم بُعاث[٨].

أما فقه اللغة والنحو والصرف فيراجع فهرس اللغة[٩] و والنحو الصرف[١٠] للوقوف على ما ذكره الخطابي من تلك المسائل اللغوية والنحوية.

وأما الشعر فإن الناظر في الكتاب يَلْحظُ الكثرة الكاثرة من الأبيات الشعرية، فلا تكاد تخل صفحة من الكتاب إلا وفيها بيت أو أكثر من الشعر أو الرجز غالباً، ولا يذكر المؤلف مفردة غريبة

---

(١) ١ : ٤٥٢ و٢ : ١٤٧.

(٢) ٢ : ١٢٢.

(٣) انظر مسانيد الخلفاء الثلاثة عمر وعثمان وعلي.

(٤) ١ : ٥٥٠ وحديث عمر بن عبد العزيز ٣ : ١٤٠ إلى ٤٥.

(٥) ٢ : ٢٣ و٢٤.

(٦) ١ : ٢٢٨.

(٧) ٢ : ٨٨.

(٨) ١ : ٦٥٥.

(٩) ٣ : ٦١٥ ـ ٦٢٠.

(١٠) ٣ : ٦٢١ ـ ٦٢٥.

إلا استدل عليها ببيت من الشعر في الجملة.

وتمتاز الأبيات التي يستدل بها أو يستشهد بقوة العبارة، وجزالة الألفاظ، ودلالة المعنى، ووضوح التعبير، تعدد أغراض الشعر ومقاصده.

ويغلب على أبيات الكتاب أنها لشعراء متقدمين من العصر الجاهلي والإسلامي وعصور الخلفاء الراشدين، وبني أمية.. لذا اتصفت بما سبق ذكره.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الخطابي إذا أورد بيتا من الشعر أو الرجز ذكر اسم قائله باختصار أو بما اشتهر به كقوله: قال حسان، أو جرير، أو رُؤبه أو أوس بن حجر، ومن النادر أن لا يذكر اسم الشاعر.

وجرى الخطابي على اقتصاره على بيت أو شطره عند الاستدلال به على معنى مفردة. وأحياناً يذكر أكثر من بيت.

وللاستزادة يراجع فهرس الشعر والقوافي(١). وفهرس الرجز في آخر الكتاب(٢).

طبعات الكتاب وتقويمها:

أولاً ـ قام مَركزُ البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة بطباعة الكتاب وأسند مهمة تحقيقه للأستاذ/ عبد الكريم

---

(١) ٣ : ٥٣٥ إلى ٥٩٦.

(٢) ٣ : ٥٩٧ إلى ٦١٤.

ابن إبراهيم العزباوي، وشاركه في تخريج الأحاديث الشيخ عبدالقيوم عبد رب النبي وكان طبعه في عامي ١٤٠٢هـ، ١٤٠٣هـ حيث طبع الكتاب في ثلاثة مجلدات من الحجم الكبير، وأُلحق به عدة فهارس، شَغَلت ثلاثة أرباع المجلد الثالث تقريباً، وبحق فإن طباعة هذا الكتاب ضروريةٌ جداً؛ نظراً لأهمية مادته العلمية فهو أحد المؤلفات الهامة في غريب الحديث، بل ويعتبر من الأمهات في هذا الفن والقيام بتحقيقه يعتبر خدمة جليلةً لسِفْر علمي قيِّم.

ويُشكر الأستاذ المحقق على ما بذل من جهد في إخراج الكتاب ويتضح ذلك جليّاً فيما يلي:

١ ـ عنايته بنص الكتاب، وتحقيقه على عدة نسخ خطية، وضبطه بالشكل.

٢ ـ أجاد في تعليقه وشرحه لبعض المواضع من الكتاب.

٣ ـ جُهدُه المشكور في عزو الآيات وتخريج الأحاديث والأشعار والأمثال وغيرها.

٤ ـ وضعه لعدد من الفهارس الفنية التي ذللت للقراء الاستفادة من الكتاب. خاصة فهرس الألفاظ الغريبة في الكتاب وترتيبها بحسب الحرف الأول، وفهرس المسائل الفقهية في الكتاب وكذا المسائل النحوية والصرفية والأعلام والشعر.

٥ ـ العناية بإخراج الكتاب، وطباعته وحسن إخراجه، وتنظيمه للمعلومات في كل صفحة، ووضع بعض العناوين، ووضع نجمة عند بداية كل حديث.. وغير ذلك.

٦ ـ المقدمة الوافية التي تناول فيها ترجمة الخطابي ومؤلفاته ومنهجه في كتابه غريب الحديث[١].

---

(١) وبطبيعة الحال فإن كل عمل بشري لابد أن يعتريه الخطأ، ويؤخذ عليه بعض الملحوظات لذا فقد لاحظت ـ من وجهة نظري ـ بعض المآخذ التي لا تغض من الجهد الفائق الذي بذله الأستاذ المحقق بارك الله فيه.. ومن هذه المآخذ مايلي:
١ ـ أغفل المحقق بعض النسخ الخطية للكتاب فلم يذكر أنه رجع إليها ومنها النسخة المصورة عن المكتبة الوقفية بحلب والمصور عنها نسخة بجامعة الإمام برقم ٧٦٦٨ف، ومخطوطة كاملة كتبت سنة ٤٨٨هـ في مكتبة عاشر أفندي بتركيا وقد ذكر هذه المخطوطة الزركلي وبروكلمان وسزكين.
٢ ـ ترك كثيراً من العبارات والألفاظ الغامضة دون شرح أو تفسير لها، خاصة في مقدمة الكتاب.
٣ ـ لم يهتم المحقق كثيراً بتوثيق النصوص التي نقلها الخطابي عن شيوخه أو عن علماء اللغة السابقين خاصة من كتب غريب الحديث المتقدمة، للمقارنة بينها وبين تأليف الخطابي وإثبات الفروق.
٤ ـ حبذا لو ترجم للأعلام الذين لم يشتهروا خاصة شيوخ الخطابي، ومن جعل لهم الخطابي مسانيد مستقلة في أحاديث التابعين كعُبيد بن عمير الليثي، ومُوَرِّق العِجْلي، وأبي مجلز: لاحق به حميد، وعون بن عبد الله..
٥ ـ حذف المحقق السماعات المكتوبة على غلاف الكتاب وذلك في أول نسخة «م» واكتفى بذكر السماع المكتوب في آخر نسخة «س».



٤ ـ إصلاح غلط المحدثين

اسمه وتوثيق نسبته:

ذكره ياقوت[١]، وابن خِلِّكان[٢]، وابن العماد الحنبلي[٣]، وحاجي خليفة[٤] وكلهم سموه «إصلاح غلط المحدثين».

ذكره ياقوت[٥] والصفّدي[٦] وسمياه «إصلاح الغلط».

وذكره الزبيدي[٧] وسماه «إصلاح الألفاظ».

وذكره ابن خير الاشبيلي[٨] وسمّاه «جزء» في تصحيح المحدثين لألفاظ من الحديث.

---

(١) معجم الأدباء ١٠ : ٢٦٩.
(٢) وفيات الأعيان ٢ : ٢١٤.
(٣) شذرات الذهب ٣ : ١٢٨.
(٤) كشف الظنون ١ : ١٠٨.
(٥) معجم الأدباء ٤ : ٢٥٣.
(٦) الوافي بالوفيات ٧ : ٣١٧.
(٧) تاج العروس ١ : ٤٠٣.
(٨) فهرسة ابن خير ـ ص ١٩٠.

وذكره ابن حجر العسقلاني[1] وسماه «غلطات المحدثين».

أما المؤلف فلم أجد له تسمية للكتاب ـ ترجح القول في التسميات السابقة ـ اللهم إلا ما ذكره في مقدمة كتابه: «غريب الحديث» فقال[2]: «وختمت الكتاب بإصلاح ألفاظ من مشاهير الحديث ويرويها عوام النقلة ملحونة ومحرفة، عن جهة قصدها..».

وكذلك اختلفت عناوين النسخ الخطية للكتاب، فالمخطوطة الأزهرية عنوانها[3]: «إصلاح الغلط» ونسخة رئيس الكتاب التُركيّة عنوانها: «كتاب الألفاظ التي يرويها أكثر الناس ملحنة ومحرّفة».

السبب الباعث على تأليف الكتاب:

لا شك أنَّ أهم سبب لتأليف الكتاب هو حرص الخطابي ـ رحمه الله ـ على بيان الصواب في ضبط وكتابة الأحاديث التي رُوي فيها التصحيف عن المحدثين ـ رحمهم الله.

ولا شك أن ذلك دالٌّ على شدة عنايته بسنة المصطفى ﷺ ولما في ذلك من عظم الفائدة للناس، وقد أشار إلى هذا في مقدمة كتابه غريب

---

(١) التلخيص الحبير ١ : ٦١.
(٢) غريب الحديث للخطابي ١ : ٤٩.
(٣) مقدمة تحقيق د/ حاتم الضامن لإصلاح غلط المحدثين للخطابي ص ١١ و١٢.

الحديث فقال: [1]«وختمت الكتاب بإصلاح ألفاظ من مشاهير الحديث، يرويها عوام النقلة؛ ملحونة، ومحرفة عن جهة قصدها، رأيت داعية الحاجة منهم إلى ذكرها شديدة، والفائدة في تقويمها لهم عظيمة».

موضوع الكتاب:

بيان الصواب أو الراجح ـ عند الإمام الخطابي ـ في الألفاظ التي يرويها أكثر المحدثين[2] ملحونة أو محرفة، بِضبطها، أو تقويم حروفها.

---

(١) غريب الحديث ١: ٤٩.

(٢) قلت: يفهم من سياق كلام أن المقصود بالمحدثين هنا من شغلوا أنفسهم بجمع الأحاديث وطرقها دون التفقه في متونها، وذكر هؤلاء الإمام الخطابي في مقدمة معالم السنن فقال: فأما أهل هذه الطبقة الذين هم أهل الأثر والحديث فإن الأكثرين منهم إنما وكدهم الروايات وجمع الطرق، وطلب الغريب والشاذ من الحديث ـ الذي أكثره موضوع أو مقلوب لا يراعون المتون، ولا يتفهمون المعاني. معالم السنن ١ : ٣. وذكر هؤلاء ابن قتيبة في مقدمة غريب الحديث فقال متحدثاً عن بعضهم: همه الجمع دون التفقه فيه، والطرق دون المتون والغرائب دون السنن، والاستكثار من أسماء الرجال، حتى يعود كما بدأ.
غريب الحديث ١ : ٣.
وعاب هؤلاء الإمام الذهبي فقال: فغالبهم لا يفقهون، ولا همَّة لهم في معرفة الحديث، ولا في التدين به، إنما همتهم في السماع على جهله الشيوخ، وتكثير العدد من الأجزاء والرواة ولا يتأدبون بآداب الحديث، ولا يستفيقون من سكرة السماع.. الخ. زغل العلم ـ ص ٢٧.

علاقة كتاب «إصلاح غلط المحدثين» بكتاب «غريب الحديث» للخطابي:

قبل الإجابة على هذا السؤال لابد من الإشارة إلى النقاط التالية:

١ ـ ذكر الخطابي في مقدمة «غريب الحديث» أنه ختم الكتاب بإصلاح ألفاظ من مشاهير الحديث يرويها عوام النقلة مَلْحُونَةً أو مُحرفّة عن جِهَةِ قَصْدِها، وأنه قام بتصويبها[١]..الخ.

٢ ـ بالنظر في كتاب «غريب الحديث» للخطابي نجد أنه قد ختم الكتاب بألفاظ من الحديث يرويها أكثر الرواة والمحدثين ملحونة ومحرفة قام بإصلاحها، وتبيين صوابها[٢].

٣ ـ المقارنة بين ما ذُكر في آخر «غريب الحديث»، وبين ما في إصلاح غلط المحدثين» نجدُ تطابقاً كثيراً في مواضع كثيرة من الكتاب. بينما نجد اختلافاً في مواضع أخرى، وذلك بزيادات في الأحاديث والألفاظ لا سيما في الأحد عشر حديثاً الواردة في «إصلاح غلط المحدثين». ولم تذكر في نهاية «غريب

---

(١) انظر مقدمة غريب الحديث ج ١ : ٤٩.

(٢) ج ٣ : ٢١٩ إلى ٢٦٥.

الحديث»[1]. كذلك هناك اختلاف يسير في ترتيب بعض الأحاديث[2].

٤ ـ أحال الخطابي في موضعين من «إصلاح غلط المحدثين» على «غريب الحديث».

فقال في الموضوع الأول: «وقد فسَّرته في موضعه من الكتاب[3]، وأعدت لك ذكره ليكن منك على بال.

---

(١) وهي من رقم ١٣٤ إلى ١٤٣ ـ ط. الضامن، وأيضاً فقد سقط حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ «إنما أَنسى لأَسُن» ـ ص ٣٧ ط الضامن وحديث أن النبي ﷺ احتجم بلحيَي جَمَل ص ٤٧ وسقط حديث النبي ﷺ أنه ضحى بكبشين ـ ص ٤٨ وحديث عمر ـ رضي الله عنه ـ في الاستسقاء ـ ص ٤٨ و٤٩.
وسقط حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن الرسول ﷺ سجد للوَهَم وهو جالس ـ ص ٥٦، وحديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ «والله ما اختلفوا في نُقْطَةٍ» ـ ص ٦٧.

(٢) في مبحث «مما يتفاوت في الروايات ولا يختلف لها المعنى» اختلف ترتيب الأحاديث بين الكتابين ووقع اختلاف في العنوان حيث جاء في غريب الحديث: ومما يقارب فيه الروايات ولا تختلف في المعنى. وجاء في إصلاح غلط المحدثين بتحقيق الضامن، ومما يتفاوت في الروايات ولا يختار لها المعنى ـ ص ٦٦.
والصواب ـ والله أعلم ـ ما جاء في ط. الرُديني ما يتفاوت في الروايات ولا يختلف لها المعنى ـ ص ١٤٧.

(٣) إصلاح غلط المحدثين ـ ص٦٨ وغريب الحديث للخطابي ١ : ١٧٢.

قال في الموضوع الآخر: «وفسرناه في كتابنا هذا»[1]. وهذا يدل على أنَّ الخطابيَّ كان يعتبرها كتاباً واحداً إذ ليس في «إصلاح غلط المحدثين» تفسير لتلك العبارتين، أو ذكر لهما سوى في موضع واحد فقط لكل منهما.

والذي يبدو لي بعد قراءة الكتابين والتأمل فيهما:

أن «إصلاح غلط المحدثين» جزءٌ أخيرٌ من «غريب الحديث» لكن الخطابي بعد أن ذكره مع «غريب الحديث» أفرده مستقلاً وزاد فيه وعَدّل بعض التعديلات والمواضع عما هي في غريب الحديث». مما يدل على هذا مايلي:

١ ـ ما ذكرته من زيادات عديدة في الأحاديث والمفردات ذُكرت في «إصلاح غلط المحدثين» ولم تذكر في «غريب الحديث».

٢ ـ رواية كتاب «إصلاح غلط المحدثين» بطريق مستقل عن الخطابي[2].

٣ ـ الكُتب التي ترجمت للإمام الخطابي ذكرت كتاب

---

(١) إصلاح غلط المحدثين ـ ص١٤٦ وغريب الحديث للخطابي ١ : ٥٧١.

(٢) انظر إصلاح غلط المحدثين ـ ص ٤٣ وفهرسة ابن خير الأشبيلي ـ ص ١٩٠ و١٩١.

«إصلاح غلط المحدثين» مُستقلاً عن «غريب الحديث»[١].

ومن باب الإنصاف أود الإشارة إلى أن د/حاتم الضامن قد نبه إلى هذا واعتبر نفسه أول من نبه عليه، وأفاد أن ناشر غريب الحديث لم يشر إلى هذا[٢].!!

مميزات الكتـاب:

١ ـ أنه يعد مرجعاً هاماً في باب التصحيف والتحريف اللغوي لألفاظ الأحاديث، حيث اشتمل على ما يربو على مائة وأربعين حديثاً وأثراً يرويها المُحدِّثون أو العامة منهم ملحونة أو محرّفة فأبان الصواب في نُطقِها وضبطها رحمه الله.

٢ ـ حوى ثروةً لغويةً قيِّمة، حيث اشتمل على ما يربو على مائة وستين مادة لغوية بيَّن الصواب في نُطقها، وتكلم على تفسير بعضها، والمراد منه في ذلك الحديث.

٣ ـ وتضمن أيضاً مادة أدبية فائقة تمثلت في استشهاده بعدد من الأبيات الشعرية والأمثال، وذكر بعض اللطائف الأدبية.

٤ ـ اشتمل على كثيرٍ من آراء الخطابي التي تتمثَّل في بيان الصواب من الغَلَط، والترجيح بين الآراء المختلفة أو المتعددة، مع تعقبه لغيره أحياناً.

---

(١) انظر ما ذكرته أولاً في توثيق نسبة الكتاب.

(٢) إصلاح غلط المحدثين بتحقيق د/ حاتم الضامن ـ ص ١٠ و١١.

٥ ـ تميَّز الكتاب بإيجاز العبارة، والوصول للقول الصواب، بألفاظٍ يسيرة دون تطويل، أو استطراد.

٦ ـ يعدُّ هذا الكتاب من أوجه عناية المحدثين بنقد المتون، فاهتمام الخطابي فيه منصب على المتون، وإصلاح غلطها، وهذا يرُد على القائلين[١] بأنَّ اهتمام المحدثين مقصور على سند الحديث فقط.

أثره في غيـره:

استفاد من كتاب «إصلاح غلط المُحدثين» عدد من العلماء في مؤلفاتهم، فمنهم من نقل منه مستقلاً، ومنهم من نقل منه باعتباره جزءاً من «غريب الحديث» وتقدم ذكر عدد من الذين نقلوا من كتاب «غريب الحديث للخطابي».

أما من نقل من «إصلاح غلط المحدثين» فمنهم:

---

(١) قال هذا القول عدد من المستشرقين، وأحمد أمين في كتاب «فجر الإسلام» من ص ٢٥٥ إلى ص ٢٧٤. وللوقوف على تفنيد مزاعمهم الباطلة انظر: كتاب السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ـ ص ٢٣٦ ـ ٢٩٠.
وبحث الدكتور/ محمد الطحان وعنوانه «عناية المحدثين بمتن الحديث كعنايتهم بإسناده» المطبوع في مجلة كلية أصول الدين بالرياض العدد الأول عام ١٣٩٧هـ ـ ص ١٣٣ ـ ١٥١. ثم نشر هذا البحث في رسالة مستقلة.

١ ـ الإمام القاضي عياض ـ ت ٥٤٤هـ نقل منه كثيراً في كتابه «مشارق الأنوار»[١].

وأشار إليه في مقدمته[٢] وتعقبه في «الإلماع»[٣].

٢ ـ الإمام مجد الدين ابن الأثير الجزري ـ ت ٦٠٦هـ نقل منه في «جامع الأصول»[٤].

٣ ـ ياقوت الحموي ـ ت ٦٢٦هـ نقل منه «معجم البلدان»[٥].

٤ ـ الإمام النووي ـ ت٦٧٦هـ نقل منه في شرح صحيح مسلم[٦].

٥ ـ الحافظ ابن حجر ـ ت٨٥٢هـ ونقل منه وسماه «غلطات المحدثين»[٧] في كتابه «التلخيص الحبير»[٨].

---

(١) مشارق الأنوار ١ : ٢٥ و٢٨ و٧٧ و١٠٠ و١١٥ و١١٦ و١١٨ و١٨٨ و٢٩٣ و٣١٤ و٢ : ٣ و٢١ و٨٩ و٢٥٥ و٢٩٧.

(٢) المرجع السابق ـ المقدمة ١ : ٥.

(٣) الالماع ـ ص ١٨٨.

(٤) جامع الأصول ج١ : ٤٩٥ وج٢ : ٥٧٥ و٦٩٥ وج٤ : ٣١٣ و٤٥٤ و٤٩٤ و٥٨٢ وج٥ : ٣٤٥.

(٥) معجم البلدان ـ جعر ـ ٢ : ١٤٢ وحدب ٢ : ٢٢٩ نقع ٥ : ٣٠١ و٣٠٢.

(٦) شرح صحيح مسلم ٣ : ٢١٠ و٤ : ٢١ و٧١ و١٦٧.

(٧) التلخيص الحبير ١ : ٦١.

(٨) المرجع السابق ١ : ٦٠ و٢ : ٦٤ و٦٧ و١٤٠ و٣ : ٥٤ و١١٩.

٦ ـ الإمام السيوطي ـ ت٩١١هـ نقل منه في كتابه «التطريف في التصحيف»[1].

٧ ـ الإمام محمد مرتضى الزبيدي ـ ت١٢٠٥هـ عده من موارده في تاج العروس «وسماه: «إصلاح الألفاظ»[2].

٨ ـ كما استفاد منه بعض المؤلفين في مصطلح الحديث في مبحث التصحيف والتحريف حيث نقلوا بعض أمثلته[3].

طبعات الكتاب:

نظراً لقيمة الكتاب العلمية فلقد طُبع عدة طبعات، وبتحقيقات مختلفة. وقفت منها على مايلي:

١ ـ طُبِعَ الكتاب أولاً ـ حسب علمي ـ في القاهرة سنة ١٣٥٥هـ بتعليق ومراجعة الشيخ بُرهان الدين محمد الداغستاني ـ حيث نشره الأستاذ عزت العطار، وكانت هذه الطبعة على نسخة خطِّية وحيدة موجودة في دار الكتب المصرية.

فجاءت مليئةً بالأخطاء، وفيها بعض النقص؛ لكنها امتازت بالتعليقات المُفيدة عليها؛ المشتملة على تفسير لبعض المفردات الغريبة، والتعليق على بعض النصوص. مع مقدمة موجزة في التعريف بالإمام الخطابي وكتابه، وقد نُشرت هذه الطبعة عدة

---

(١) التطريف في التصحيف ـ ص ٦٣.
(٢) تاج العروس ١ : ٦ وانظر ١ : ٥١٣ و٥ : ٣١٢.
(٣) انظر شرح التبصرة والتذكرة ٢ : ٣٠١ وفتح المغيث ٣ : ٧٨.

مرات، منها نشرها مستقلة في كتاب بحجم صغير بالقاهرة. ثم طبعة ضمن مجموع الرسائل الكمالية.

ثم طبعتها الدار العلمية بالهند سنة ١٤٠٦هـ وفي كل هذه الطبعات سمى الكتاب بـ «إصلاح خطأ المحدثين».

٢ ـ ثم طُبع الكتاب في آخر «غريب الحديث للخطابي» بتحقيق الأستاذ عبد الكريم العزباوي سنة ١٤٠٣هـ ـ وتقدَّم الكلام على طبع «غريب الحديث»، وصلة إصلاح غلط المحدثين بغريب الحديث.

٣ ـ ثم طُبع الكتاب بتحقيق د/حاتم صالح الضامن، في العراق. واعتمد في هذه الطبعة على نُسختين خطيتين «للكتاب مع استفادته من طبعة الكتاب المذكورة أولا وسماه «إصلاح غلط المحدثين». وقدَّم للكتاب بمقدمة جيدة «وأجاد في التعليق على عدد كثير من النصوص في الكتاب بعزو الآيات وتخريج الأحاديث والأشعار، والترجمة للأعلام، وعزو بعض الأقوال، وتفسير الغريب، مع تصحيح نص الكتاب.

وختم الكتاب بفهارس متعددة للألفاظ والأعلام والأشعار، وقد طبع هذا التحقيق ثلاث مرات.

فطبع أولاً في مجلة المجمع العلمي العراقي بالمجلد ٣٥ الجزء رقم ٤ سنة ١٩٨٤م.

ثم طُبع مستقلاً سنة ١٤٠٥هـ عن مؤسسة الرسالة ببيروت.

ثم طبع سنة ١٤٠٧هـ ضمن كتاب «أربعة كتب في التصحيح اللغوي».

٤ ـ ثم طبع الكتاب أخيراً سنة ١٤٠٧هـ بدراسة وتحقيق د/ محمد علي عبد الكريم الرديني في دار المأمون للتراث بدمشق وبيروت. وتُعتبر هذه الطبعة أفضل طبعات الكتاب، حيث اشتملت على دراسة وافية عن حياة المؤلف، ومؤلفاته، وعرض مُفصّل لكتاب «إصلاح غلط المحدثين» من حيث منهجه، وطريقته في التأليف.

واعتمد على ثلاث نسخ خطية اثنتان منها اعتمد عليهما «د. الضامن في تحقيقه كما سبق».

أما الثالثة وهي نسخة مكتبة كلية سبلي أوك في برمنهجهام بالمملكة المتحدة فأظنه أول من رجع إليها في تحقيق الكتاب وطبعه. وتميّز تحقيقه بالنفس العلمي الطويل، من حيث استيفاءه غالباً ـ لتخريج الأحاديث والأشعار، وتأصيله للأقوال المروية عن أئمة السلف، وحرصه على تفسير الغريب، والتعليق على بعض المواضع، وشدة دقته في ذكر فروقات النسخ في حواشي الكتاب.

يُضاف إلى ذلك حسن إخراج الكتاب، وتنظيمه، وترقيمه، وتذييله بفهارس متعددة للآيات والأحاديث والألفاظ اللغوية والشعر والأعلام والقبائل والمواضع والبلدان والمصادر.

فشكر الله للأستاذ المحقق جهوده العلمية في العناية بهذا الكتاب، وإخراجه بالتحقيق المستحق له.

٥ ـ معالـم السنـــن

اسمـه، وتوثيـق نسبتــه:

يُعتبر كتاب «معالم السنن في شرح سنن أبي داود» من الشروح المهمة في كتب السنة النبوية، إذ هو من أوائل كتب الشروح التي اعتنت بسنن أبي دواد بل قد يكون أولها إذ لم أجد من ذكر لسنن أبي داود ـ شرحاً قبله، وقد اتفق الأكثرون على تسميته «معالم السنن» وعلى نِسبته إلى الخطابي، فتوثيق نِسبَته أمرٌ لا يُشَكُّ فيه، إذ ذكره الجم الغفير من العلماء والمؤلفين.

واسمه «معالم السنن» كما صرَّح بذلك الإمام الخطابي في مقدمة كتابه «أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري» فقال:[1] وإن جماعة من إخواني ببلخ كانوا سألوني عند فراغي لهم من إملاء كتاب «معالم السنن» لأبي داود سُليمان بن الأشعث السجستاني ـ رحمه الله ـ أن أشرح لهم كتاب «الجامع الصحيح» لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله... الخ، وهذه التسمية مطابقة لواقع الكتاب لأنه ليس شرحاً مُستوعباً لكل

(١) أعلام الحديث ١ : ١٠١ وانظر ص ١٠٤ و٧١٧ و١٥٥٦.

أحاديث سنن أبي داود بل لبعضها بحسب ما رآه الخطابي محتاجاً إلى شرح كما سيأتي بإذن الله تعالى.

المراد بمعالـم السنن:

المعالم: جمع معلم: وله عدة اطلاقات في اللغة منها:

الأثر الذي يستدل به على الطريق[١]، ومعلم الطريق دلالته، قال الخطابي[٢]: المعلم: واحد معالم الأرض أي: أعلامها التي يهتدى بها في الطرق.

فكأن الخطابي أراد بكتابه دلالة من أراد الاستفادة من سنن أبي داود، فالمعالم: الأمور البارزة التي يحتاج إليها في سنن أبي داود رواية ودراية.

موضـوع الكتــاب:

بيان ما احتاج لشرح ـ في نظر المؤلف ـ من أحاديث سُنن أبي داود؛ من حيث متونها، أو أسانيدها، أو هُما معاً. وذلك بتفسير الكلمات الغريبة، وإصلاح غلطها. والكلام على أحكام الأحاديث الفقهية، أو آدابه الشرعية. وتناول درجة الحديث والكلام على رجاله اسناده إن احتاج لذلك. كما يتضح ذلك في محتويات هذا الشرح.

---

(١) الصحاح ـ علم ـ ٥ : ١٩٩١.
(٢) أعلام الحديث ٣/٢٢٦٨.

مكان وزمان تأليف الكتاب:

ذكر الإمام الذهبي، أنَّ الإمام الخطابيّ أقام مدة بنيسابور يصنف؛ فعمل «غريب الحديث» و«معالم السنن».[1]

فهذا يفيد أنَّ الإمام الخطابي قد ألف «معالم السنن» في نيسابور.. وقد ذكر الخطابي أنه أملاه على طلابه في مدينة «بلخ» يدل على ذلك قوله في مقدمة «أعلام الحديث» في شرح صحيح البخاري»: وإن جَماعة من إخواني ببلخ كانوا سألوني عند فراغي لهم من إملاء كتاب «معالم السنن» لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني[2].. الخ

ومما يدل على أنه ألفه أولاً ثم أملاه قوله في مقدمة «معالم السنن» «.. قد كتبتُ لكم فيما أَمْلَيتُ من تفسيرها ـ أي سنن أبي داود ـ وأوضحته من وجوهها، ومعانيها، وذكر أقاويل العلماء واختلافهم فيها عِلماً جَماً، فكونوا به سعداء، نفعنا الله تعالى وإياكم برحمته[3]. فلعله ألَّف الكتاب أولاً في نيسابور ثم اصطحبه إلى بلخ فأملاه على طلابه هناك.

أما زمان تأليف الكتاب فلم يُشر له الخطابي في مقدمته له، ولكن ترجح لدي أنه ألفه بعد فراغه من تأليف كتابه «غريب

---

(١) تذكرة الحفاظ ٣ : ١٠١٩.
(٢) أعلام الحديث ١ : ١٠١.
(٣) معالم السنن ١ : ٨ ـ ط الطباخ.

الحديث»[1] وذلك لكثرة الإحالات عليه[2] خلال الشرح فيكون الخَطَّابيُّ قد ألَّف «معالم السنن» بعد سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ـ وهي سنة تسويد «غريب الحديث» بعد أن بلغ سنَّ الأربعين، وتلك هي مرحلة النضوج العقلي للإنسان، بعد أن قضى فترة طويلة في طلب العلم وتحصيله.

أثـره في غيـــره:

حظي كتاب «معالم السنن» بثناء العلماء عليه، واستفادتهم منه في مؤلفاتهم لا سيما المتعلقة بشروح أحاديث الأحكام فمن ثنائهم عليه:

١ ـ قول الإمام أبي طاهر السِّلفي[3] «واخترت ـ بعد استخارة الله سبحانه ـ في هذا الأوان الشروع في إملاء ديوان شرعي يصلح للفقهاء والأعيان، وينتفع به كذلك المتفقه فيما يكون بصدده، ويعدُّه من أوفى عُدده، ولا يخلو من الإسناد الذي عليه جُلُّ الاعتماد. بل يكون منوطاً، ووجوداً مشروطاً، فلم أر أحسنَ من شرح أبي سليمان الخطابي البُسْتي لكتاب أبي داود السِّجْزي، فهو كتابٌ جليل، وفي إلقائه عاجلاً ذكر جميل، وآجلاً إن شاء

---

(١) انظر المبحث المتعلق بزمان تأليف كتاب غريب الحديث.

(٢) معالم السنن ج ١ : ١٩٥ و٢٥٨ وج٢ : ٣٣٨ وج٤ : ١٣١.

(٣) معالم السنن ٤ : ٣٥٧.

الله ثوابٌ جزيل «فأملاه على طلابه في آخر سنة إحدى وستين وخمسمائة.

٢ ـ وذكر ابن شاكر الكُتبي[(١)] في ترجمة أبي الفضائل الصاغاني أنه كان يُقرأ عليه بعدن: «معالم السنن» للخطابي، وأنه كان معجباً به، وبكلام مصنفه، ويقول: إنَّ الخطابي جمع لهذا الكتاب جراميزه[(٢)].

ومن عناية العلماء بكتاب «معالم السنن» روايتهم له بالإسناد المتصل.. ومن هؤلاء:

١ ـ الإمام أبي طاهر السلفى ـ ت٥٧٦ هـ رحمه الله.

رواه مناولة من القاضي أبي المحاسن الطبري بالري سنة إحدى وخمسمائة، وأذِنَ له في روايته عنه[(٣)].

٢ ـ الإمام شمس الدين محمد بن جابر الوادي آشى[(٤)] ـ ت ٧٤٩هـ ـ قرأه بِحَرم الله تعالى تجاه الكعبة، على الأستاذ أبي

---

(١) فوات الوفيات ١ : ٣٥٩.

(٢) الجراميز جمع جرموز، وجراميز الإنسان: أطرافه وبدنه، ويقال: جمع جراميزه أي: تقبض ليثب، وجمع له جراميزه: أي: استعد له وعزم على قصده.
المعجم الوسيط. مادة جرمز ١ : ١١٨.

(٣) معالم السنن ٤ : ٣٧٦.

(٤) برنامج الوادي آشِي ـ ص ٢١٦ رقم ٣٥.

محمد عبد الله الدلّاصي في أصلِ سَمَاعه.. ثم سَاقَ سنده إلى الخطابي.

٣ ـ الإمام أبي بكر محمد بن خير الإشبيلي ـ ت ٥٧٥هـ ـ رحمه الله.

رواه تحديثاً عن الشيخ أبي بكر محمد بن أحمد بن طاهر ـ رحمه الله بسنده إلى الإمام الخطَّابي ـ[1] رحمه الله.

٤ ـ الشيخ صَالح بن محمد الغُلّاني ـ ت١٢١٨ هـ ـ رحمه الله.

قرأه من كتاب الفتن إلى آخره على الشيخ محمد سعيد سَفَر المدني ـ رحمه الله ـ ثم أجازه بسائره بسنده المتصل إلى الإمام الخطابي[2].

٥ ـ الشيخ محمد راغب الطبّاخ ـ ت١٣٧٠هـ ـ رحمه الله.

يرويه إجازة بالمكاتبة عن شيخه محمد بن عبد الحي الكستَّاني ـ رحمه الله بسنده إلى الخطابي[3].

مختصرات معالم السنن:

«عجالة العالم من كتاب المعالم»

---

(١) فهرسة ابن خير ـ ص ٢٠١.

(٢) قَطْفُ الثمر في رفع أسانيد المصنفات في الفنون والأثر ـ ص ١٢٦.

(٣) مقدمة تحقيق معالم السنن ١ : ٣١ و٣٢.

لخَّصه الإمام الحافظ شهاب الدين أبو محمد أحمد بن محمد بن إبراهيم المقدسي. المتوفى في ربيع الأول سنة ٧٦٥هـ[١]

ذكره العلامة حاجي خليفة[٢]، والمباركفوري[٣] رحمهم الله.

ولم أقف على هذا الملخص مطبوعاً، ولا مخطوطاً[٤].

- ومن عنايتهم به أيضاً كثرة النقول عنه في مؤلفاتهم المختلفة. وممن استفاد من الكتاب كثيراً العلماءُ الذين توافروا على شرح خدمة «سنن أبي داود» بل عدوه من مواردهم الهامة. ومن هؤلاء:

١ - الإمام زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى المُنذري - ت٦٥٦هـ رحمه الله - في كتابه «مختصر سنن أبي داود»[٥]. حيث نقل عنه كثيراً من أحكامه على الأحاديث وعللها.

٢ - الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر

---

(١) للاستزادة عن ترجمته انظر: «المعجم المختص بالمحدثين» للإمام الذهبي - ص ٣٣ ترجمته رقم ٣٤، والدرر الكامنة ١ : ٢٤٢ رقم ٦٢٠، ولحظ الألحاظ لابن فهد - ص ١٤٨ و١٤٩.

(٢) كشف الظنون ٢ : ١٠٠٥.

(٣) مقدمة تحفة الأحوذي ١ : ١٢٦.

(٤) وللاستزادة عن هذا الكتاب انظر ما سبق ذكره في المبحث المتعلق بما عُدَّ من مؤلفات الخطابي ولم تثبت نسبته إليه.

(٥) انظر مختصر سنن أبي داود ج ١ : ٨ و١١٧ و١٥٦ و١٥٨ و١٧٥ و١٨٦ و١٩٤ و٢٢٧ و٢٦٧ و٣١٨ و٣٤١.

المعروف بابن قيّم الجوزية ـ ت ٧٥١هـ ـ رحمه الله، فلقد نقل عنه في بعض المواضع في «تهذيبه لسنن أبي داود»[١]. خاصة فيما يتعلق بأحكام بعض الأحاديث.

٣ ـ الإمام شهاب الدين أحمد بن حسين بن رسلان الرملي المقدسي ت٨٤٤هـ في شرحه لسنن أبي دواد. فلقد نقل عنه في عدة مواضع[٢]، وتعقبه أيضاً في مواضع أخرى.[٣]

٤ ـ والعلامة الشيخ أبي عبد الرحمن شرف الحق الشهير بمحمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر الصديقي العظيم آبادي ـ ت ١٣٢٩هـ رحمه الله في كتابه الحافل «عون المعبود على سنن أبي داود[٤]» حيث نقل كثيراً جداً عن الإمام الخطابي،

---

(١) تهذيب الإمام ابن القيم لسنن أبي داود ١ : ٥٣ و٦٠ و٦١ و٦٣.

(٢) انظر «شرح ابن رسلان لسنن أبي داود» ـ مخطوط ـ نسخة مكتبة لاللي التركية. ل ٢/أ، ول ١٠/ب، ول ١١/أ.

(٣) المرجع السابق، ل ٤/ب، ول ٩/أ، ول ١٢/أ.
وأفادني بهذه الإحالات الشيخ د/محمد العمير/ الأستاذ المساعد بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء ـ الذي قام بتحقيق الجزء الأول من الكتاب وشكر الله تعاونه الكريم.

(٤) عون المعبود ج١ : ١٩ و٢٠ و٢١ و٢٤ و٢٥ و٢٦ و٤٧ و٥٩ و١٢٨ و١٤٣ و١٥١ و٢٣٨ و٢٥١ و٢٥٧ و٢٥٩ و٢٦٥ و٢٧١ و٢٨٥ و٢٩٥ و٣٢٢ و٣٢٥ و٣٣٩ و٣٥١ و٣٥٧ و٣٧٨ و٣٧٩ و٣٨٢ و٣٨٣ و٤٥٩ و٤٢٢ و٤٢٧ و٤٤٠ و٤٤١ و٤٤٣ و٤٥٨ و٤٧٣ و٤٨٠ و٤٩٨ و٤٩٩ و٥١٩ و٥٢٣ و٥٢٧.

ويغلب على ظني أنَّ كل حديث شرحه الخطابي من سنن أبي داود استفاد منه المؤلف ـ غالباً ـ ونقل منه ما يتعلق بشرح الغريب أو إصلاح الغلط أو الكلام على الحديث أو رواياته أو بعض أحكامه وفوائده.

٥ ـ والعلَّامة المحدث الشيخ/ خليل أحمد السهارنفوري ـ ت ١٣٤٦هـ رحمه الله في كتابه «بذل المجهود في حل أبي داود». فلقد عدَّه من موارده[١]، ونقل عنه كثيراً في شرحه[٢].

٦ ـ ومن نَقَل عنه كثيراً[٣] الإمام محيي السنة ركن الدين أبي محمد الحسين البغوي ـ ت ٥١٦هـ ـ رحمه الله. في كتابه «شرح السنة»[٤].

---

(١) بذل المجهود ١ : ٤١ ـ المقدمة.

(٢) انظر بذل المجهود ١ :٥ و١٠ و١٧ و١٩ و٣٥ و٤٦ و٥٥ و٧٨ و٩٢ وغيرها.

(٣) من لطيف ما ذكره الإمام السيوطي في مقدمة كتابه «البارق في قطع يمين السارق» أنه رأى بخط ابن حجر فصلاً فيمن أخذ تصنيف غيره فادعاه لنفسه، وذكر من هؤلاء الإمام البغوي في كتابه «شرح السنة» استمده من شرح الخطابي على البخاري، ومن شرحه على أبي داود. ونَقَلتُ هذا النص من مقدمة تحقيق كتاب «الفارق بين المُصنّف والسارق» للإمام السيوطي، بقلم د/ قاسم السامرائي، وقد نشره في مجلة عالم الكتب التي تصدر في الرياض، المجلد الثاني، العدد الرابع ـ ص ٧٤٣. عام ١٤٠٢هـ.

(٤) «شرح السنة» انظر مثلاً ج ١ : ١١ و٣٨ و٥١ و٦٩ و٧٦ و١١٠ =

٧ ـ ونقل منه الإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري ـ ت٦٠٦هـ ـ رحمه الله. في كتابه «جامع الأصول» وجعله من موادره التي عوّل عليها في شرح الكتاب كما صرح بذلك في المقدمة[1] ونقل عنه في مواضع كثيرة في كتابه[2].

= و١١٦ و١٢٦ و١٣٣ و١٥٨ و١٥٩ و١٦٠ و١٧٥ و١٧٦ و٢٢٢ و٢٢٨ و٢٣٦ و٢٨٧ و٢٩١ و٣٠٢ و٣٥٧ و٣٧٢ و٣٨٥ و٤١٢ و٤٦٢.

ج٢ : ٩٥ و١٤٤ و١٥٣ و١٧٠ و٢٠٥ و٢١٤ و٢٢٥ و٢٢٦ و٢٤٤ و٢٥٨ و٢٧٥ و٢٠٩ و٣٣٤ و٣٧٥ و٣٧٨ و٤١٩ و٤٢٤ و٤٢٨ و٤٥٦.

ج٣ : ٢٥ و٤٨ و١٣٥ و١٥٦ و١٦٢ و٢٣٥ و٢٣٧ و٢٦٧ و٢٧٩ و٢٩٤ و٤١١ و٤١٤.

ج٤ : ١٢٥ و١٣٢ و١٦٩ و١٧٨ و٢٢٣ و٢٢٤ و٣٨٠ و٣٨٣ و٤١٧ و٤٣٥ ٤٨٦.

ج٥ : ٢٠ و٨٨ و١٢٥ و١٦٦ و٢١٢ و٢١٤ و٢٢٩ و٢٥٤ و٢٦٨ و٢٧٢ و٣٤٢ و٣٩٥ و٤١٤ و٤٦٨ و٤٨٩ و٤٩٥ و٤٩٨.

(١) جامع الأصول ١ : ٦٦.

(٢) المرجع السابق ١ : ٢١٢ و٢٢٠ و٢٣١ و٢٦٢ و٢٨٢ و٢٨٤ و٢٨٧ و٤٣٤ و٤٤١ و٤٦٥ و٤٩٥ و٥٣٥ و٥٤٤ و٥٦٥ و٥٧٨ و٥٩٩.

وج٢ : ٣٦٠ و٤٧٩ و٥٧١ و٦٣٢ و٦٦٣ و٦٧٧ و٦٨٠ و٧٠٨ و٧٢٣ و٧٣٦ و٧٥١.

ج٣ : ٢١٣ و٢٩٨ و٣١٧ و٥٤٤ و٥٤٥.

وج ٤ : ٥٢ و٢٦٢ و٣٠٨ و٤٣٠ و٤٨٧ و٥٥٣ و٥٦٥ و٥٨١ و٦٢٦=

٨ ـ واحتفل به كثيراً الإمام أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي ـ ت٦٧٦هـ رحمه الله ـ في عدد من مؤلفاته.

فلقد جعل «معالم السنن» من موارده في كتابه: «تهذيب الأسماء واللغات» فقال في خطبة الكتاب:[١] «ومن شروح الحديث «كمعالم السنن» للخطابي في شرح سنن أبي داود، والاعلام له في شرح البخاري».

ونقل منه في كتابه: «الأذكار»[٢].

وصرح «بمعالم السنن» في عدة مواضع من الكتاب[٣].

ـ وكذا في «رياض الصالحين» له نقل منه في أربعة مواضع[٤].

أما «شرحه لصحيح مسلم» فلقد نقل منه كثيراً[٥] في مواضع

= و٦٥٧ و٦٦٨و ٧٨٣ و٧٨٥ و٧٩٢ و٨٠٦.
ج ٥ : ١٧ و٩٩ و١٣١ و٢٥٨ و٣١٣ و٤٢٩ و٤٦٠ و٤٧٥ و٦١٩ و٦٥٢.

(١) تهذيب الأسماء واللغات ١ : ٧.

(٢) الأذكار ـ ص ٦٤ و٧٧ و٩٧ و١٧٩ و١٨٧ و١٩٤ و١٩٨ و٢٣٥ و٣٠٧ و٣٠٨ و٣١٢ و٣٢٧ و٣٤٩.

(٣) الأذكار ـ ص ٢٣٥ و٣٠٧ و٣١٢ و٣٢٧ و٣٤٩.

(٤) رياض الصالحين ـ ص ٣٠١ و٣٠٢ و٥١٣ و٥٦٩.

(٥) شرح صحيح مسلم ـ انظر مثلاً ج١: ٢٧ و٢٩ و١٤٤ و١٤٥ و١٥٤ و١٨٦ و١٨٨ و١٩٧ و٢٠٢ و٢٠٣ و٢٠٥ و٢٠٩ و٢١٦.

متفرقة من الكتاب، وبعضها قد يكون من أعلام الحديث أو فيهما معاً.

٩ ـ من كتب شروح الأحاديث: التي استفادت من «معالم السنن» كتاب «النفح الشذي في شرح جامع الترمذي» للإمام أبي الفتح محمد بن محمد بن محمد ابن سيد الناس اليعمُري ـ ت٧٣٤هـ.

فلقد ذكر محقق الكتاب[١] د. أحمد معبد عبد الكريم أن «معالم السنن» يعتبر من مصادر ابن سيد الناس في شرحه[٢].

١٠ ـ وممن استفاد من كتاب «معالم السنن» الإمام ابن قيم الجوزية ت ٧٥١هـ ـ في كتابه القيم: «زاد المعاد في هدى خير العباد» فلقد ذكر مفهرس الكتاب[٣] أنَّ ابن القيّم ذكر الإمام الخطابي في أربعة عشر موضعاً من الكتاب[٤] وبمراجعتها

= ج٢ : ١٥ و٢٧ و٣٨ و٣٩ و٤٧ و٩٠ و٩١ و١٣١ و١٩٠ و١٩٨ و٢١٢ و٢٢١.

ج٣: ٢٠ و٢٨ و٩٠ و٩١ و٩٣ و١٠٥ و١٣٨ و١٤٨ و١٦٢ و١٦٥ و١٩٥ و٢٠٢.

ج٤ : ٤٠ و٥٦ و٧١ و٧٨ و٧٩ و٢٠٤.. وغيرها كثير.

(١) النفح الشذي ـ مقدمة التحقيق ـ ١ : ٩١ و٩٥.

(٢) النفح الشذي ـ انظر مثلاً ج١: ٢٢٣ و٢٦٧ و٢٦٩ و٣٣٤ و٣٣٦ و٣٥٤ و٤٠٠ و٤٠١ و٤١٤ و٤٤٦ و.. وغيرها.

(٣) فهرس زاد المعاد ـ ص ٣٠٦.

(٤) انظر زاد المعاد ١ : ١٣٩ و٢٣٠ و٤٤٠ و٤٥٥ و٥٠٢.

وجدتها كلها منقولة من «معالم السنن».

١١ ـ ونقل منه الإمام جمال الدين الزيلعي ـ ت ٧٦٢هـ ـ أحكامه على كثير من الأحاديث في عدة مواضع من كتابه «نصب الراية لأحاديث الهداية»[١].

١٢ ـ ونقل منه الإمام بدر الدين الزركشي ـ ت ٧٩٤هـ ـ رحمه الله ـ في موضعين من كتابه «الإجابة لا يراد ما استدركته عائشة على الصحابة»[٢].

١٣ ـ وكذا الإمام زين الدين أبو الفرج ابن رجب الحنبلي ـ ت ٧٩٥هـ ـ في كتابه الحافل «جامع العلوم والحكم» نقل منه في عدة مواضع[٣]، وفي أحدها صرَّح بقوله: قد ذكر هذا المعنى أيضاً الخطابي في كتابه «معالم السنن»[٤].

١٤ ـ نقل منه كثيراً الإمام زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي ت ٨٠٦هـ ـ رحمه الله. في كتابه: «طرح

= ٢ : ٤٢٣.
٤ : ٦٥ و١٣٩ و٣٥٤.
٥ : ٢٦ و٣٩ و٢٢٧ و٢٥٥ و٦٢٦.

(١) نصب الراية ج١ : ٤٢ و٨٨ و١١٥ و١٢٠ و٢٣٣ و٤٢٤. ج٢ : ٤٤٨. ج٣ : ٢٢٦. ج٤ : ٣٨٧.
(٢) الاجابة ـ ص ١٠٦ و١٣٩.
(٣) جامع العلوم والحكم ـ ص ٢٤ و٣٥ و١٨٦ و٢٨٩.
(٤) المرجع السابق ـ ض ٣٥.

التثريب في شرح التقريب»[١]. سماه في بعض المواضع[٢]: «معالـم السنـن وأحيانـاً يختصـر فيقـول:[٣] المعالـم أو فـي معالمه[٤].

١٥ ـ ونقل منه الإمام الحافظ أبو الفضل شهاب الدين ابن حَجَر العسقلاني ت ٨٥٢هـ في كتابه: «التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي[٥] الكبير» فيما يربو على الأربعين موضعاً، لا سيما في كلامه على درجة بعض الأحاديث أو ذكره تفسيره لبعض مفرداتها أو عباراتها ونحو ذلك.

١٦ ـ واستفاد منه أيضاً العلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني ت ١١٨٢هـ في كتابه: «سبل السلام في شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام» وذلك في مواضع كثيرة من الكتاب.

---

(١) طرح التثريب ٢ : ٤ و٢٣ و٢٨ و٣٤ و٤٠ و٤٤ و٤٨ و٥٢ و٥٤ و١١٥ و١٧٣ و١٩٦ و٢٠٦ و٢٢٥ و٢٣٦ و٢٣٨ و٢٥٠ و٢٥٥ و٢٦٣ و٣٨٨ و٣٨٩ و٣٩١.

(٢) المرجع السابق ٢ : ٤.

(٣) المرجع السابق ٢: ٢٣. و٢٥٠.

(٤) ٢ : ٢٣٦.

(٥) التلخيص الحبير ج١ : ص١٩ و٤٥ و٥٥ و١٣٩ و١٥١ و١٥٧.

وبتتبع الجزء الأول منه وجدته قد ذكر الخطابي في تسعة عشر موضعاً[1] وبمراجعتها وجدتها منقولة من «معالم السنن».

١٧ ـ نقل منه أيضاً العلامة محمد بن علي الشوكاني ـ ت ١٢٥٥ هـ رحمه الله. في كتابه الشهير: «نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار»[2]. في مواضع عديدة منه.

١٨ ـ ونقل عدد من المؤلفين في «مصطلح الحديث»[3] تعريفات الإمام الخطابي للحديث الصحيح والحسن وتقسيمه للحديث السقيم ـ مع مناقشتهم لها قبولا واعتراضا. وهي التي ذكرها في مقدمته لمعالم السنن[4].

وممن استفاد منه في كتب اللغة العربية:

١ ـ الإمام أحمد بن محمد بن علي الفَيّومي المتوفى سنة

---

(١) سبل السلام ص١٧ و١٠٩ و١١٢ و١١٦ و١٤١ و١٥٣ و١٧٩ و١٩٥ و٢٠٠ و٢١٣ و٢٢٠ و٢٣٤ و٢٥٧ و٢٦٧ و٢٩٩ و٣١٥ و٣١٨ و٣٢٠ و٤٢٩.

(٢) نيل الأوطار، انظر مثلاً ج١ : ص١٣ و٢٠ و٣٢ و٣٨ و٥٩ و٧٨ و٨٨ و٩٦ و١٠ و١١٠ و١٢٥ و١٣٠ و.. غيرها كثير.

(٣) انظر مقدمة ابن الصلاح ـ ص ١٥.
واختصار علوم الحديث ـ ص ٣٥.
وشرح ألفية العراقي له ـ ص ١٢ و٨٤، وفتح المغيث ١ : ١٧ و٦٤ و٧٠ و٨٧. ط دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٤) معالم السنن ١ : ٦.

٧٧٠هـ. في كتابه «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير» جعله من موارده[١].

ونقل منه في عدة مواضع وصرح باسمه فيها.[٢]

٢ ـ الإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ـ ت٨١٧هـ ـ رحمه الله نقل عنه في كتابه الحافل «القاموس المحيط».[٣] وبتتبع المواضع في هذين الكتابين وجدت أنها منقولة من «معالم السنن».

● ● ●

---

(١) المصباح المنير ٢ ـ ص٧١٢ لكنه وهم فسماه: «معالم التنزيل».

(٢) المصباح المنير ج١ : ٩٠ و٩٨ و٢٠٩ و٣٥١ و٣٠٦ و٦٥٨.

(٣) القاموس المحيط مادة خرب ـ ص ١٠٠ وفصل ـ ص ١٣٤٧.

تقويــم الكتــــاب

١ ـ المميزات:

يعتبر الحديث عن مميزات «معالم السنن» أمراً مُسلَّماً به، وذلك لكثرة ما امتاز به، فلا يشُك باحث، ولا طالب علم في أن «معالم السنن» متعدد المزايا، وافر المناقب، لذا سأقتصر على أهمها وهي:

١ ـ يعتبر هذا الكتاب مرجعاً هاماً في شرح أحاديث سنن أبي داود، ومعرفة ما اشتمل عليه أكثرها من أحكام وآداب، إضافة لتفسير غريبها، وإصلاح غلطها، ونحو ذلك.

٢ ـ لما كان «معالم السنن» هو أول شرح وصل إلينا من شروح سنن أبي داود ففي ذلك منقبة ومزيّة له من حيث السبق لغيره.. ثم توافر العلماء بعده للاستفادة منه في شروحهم، وقد سبق مزيد تفصيل في أثره في غيره.

٣ ـ حَوى شرحُه مادةً علميةً غزيرة تمثلت في آرائه وتعقباته المتعلقة الحديث والفقه واللغة العربية.

٤ ـ يعتبر مرجعاً هاماً في معرفة حكم الخطابي على كثير من الأحاديث وبيان درجتهاو لا سيما وأنَّ كتاب أبي داود الذي هو

موضوع الشرح لم يبيِّن مؤلفه كل حديث فيه.

٥ ـ كما يُعتبر مرجعاً هاماً في معرفة حكم الخطابي على كثير من الرجال، ومعرفة رأيه فيهم جرحاً وتعديلاً مع نقله أحياناً لأقوال غيره من الأئمة.

٦ ـ اشتمل الكتاب على الكثير من آراء الخطابي في الكثير من المصطلحات الحديثية.

٧ ـ تميَّز الكتاب بوضوح منهجه حيث سار الخطابي على ما التزم في مقدمة الكتاب.

٨ ـ تميَّز بايجاز عبارة الخطابي فيه فجاء كلامه مختصراً اختصاراً وافياً دون خلل بالمطلوب.

٩ ـ لما كان سنن أبي داود يتميز باشتماله على أحاديث الأحكام فإن شرح الخطابي هذا يعتبر مرجعاً هاماً في شرح أحاديث الأحكام، والكلام عليها، وذكر المسائل الفقهية المتعلقة بها.

١٠ ـ تضمن شرح الخطابي عدداً من الآداب الشرعية التي يحسُن الاهتمام بها.

١١ ـ وتضمن شرحه عدداً من الفوائد اللغوية والعلمية[١].

---

(١) انظر: ذكر الخلاف بين الفقير والمسكين ٢: ٦٢ والفرق بين الشح والبخل ٢: ٨٣ وعادة العرب في الأسماء ٣: ٥٥.

طبعـات الكتاب وتقويمهـا:

١ ـ طُبع كتاب «معالم السنن» أولاً في المطبعة العلمية بحلب بعناية الشيخ/ محمد راغب الطباخ الحلبي رحمه الله ويعتبر هو أول من أخرج هذا الشرح القيّم ونشره لطلاب العلم، فجزاه الله خيراً، وكان طبعه في الفترة من عام ١٣٥١هـ إلى ١٣٥٣هـ.

حيث خرج في أربعة أجزاء يقع كل منها في ثلاثمائة وخمسين صفحة تقريباً وجُعلت في مجلدين، ولقد أجاد الشيخ/ محمد راغب الطباخ في العناية بالكتاب، وإخراجه حيث أخرج النص مُقابلاً على ثلاث نسخ خطية، واعتنى بتصحيحه، مع التعليق الموجزَ على بعض الأحاديث وإتمام بعضها مما قد اكتفى المؤلف بذكر الشاهد منه، وذلك في حاشية الكتاب. وذيل كل جزء بفهرس للأبواب المشتمل عليها ذلك الجزء.

وقدَّم للكتاب بمقدمة مطولة تناول فيها كلام العلماء، وثناءهم على «سنن أبي داود» وشرحه «معالم السنن».

ثم ذكر ما عثر عليه من نسخ خطية للكتاب، ووصفها بإسهاب دون ذكر ما اعتمد عليه منها، بل جعلها سواء، ثم ترجم للإمامين: أبي داود السجستاني وأبي سليمان الخطابي ترجمة وافية، وأتبع ذلك بذكر سنده في روايته لسنن أبي داود، وكتب الإمام أبي سليمان الخطابي.

وألحق في آخر الجزء الرابع المقدمة التي كتبها الإمام

أبو طاهر السلفي عند إملائه لمعالم السنن على طلابه حيث وقعت في المجلد الرابع من ص ٣٥٥ إلى ٣٨٢.

ولكن يؤخذ على هذه الطبعة بعض الأخطاء المطبعية. وقلة التعليقات على المواضع المحتاجة لذلك، ولعله قصد إخراج الكتاب وطبعه للناس لينتفعوا بكلام المؤلف فقط، فجزاه الله خيراً وأجزل مثوبته.

٢ ـ وصوِّرت الطبعة السابقة في المكتبة العلمية، في لبنان عام ١٤٠١هـ وسميت الطبعة الثانية وهي مطابقة للطبعة الأولى بحلب، إلا أنها جعلت في أربعة مجلدات منفصلة. وهي الطبعة التي أعزو إليها في حواشي هذه الرسالة، وقد حرصت على تصويب ما أنقله منها مما كان فيه أخطاء طباعية.

٣ ـ ثم طبع الكتاب في القاهرة سنة ١٣٦٧هـ بتحقيق كل من الشيخين: أحمد محمد شاكر، ومحمد حامد الفقى ـ رحمهما الله. ولم أقف على هذه الطبعة مستقلة، وإنما وقفت عليها مضمونة مع غيرها كما سيأتي.

٤ ـ وطبع مع غيره في مطبعة السُنّة النبوية بالقاهرة سنة ١٣٦٩هـ في مجموع اشتمل على مختصر سنن أبي داود للإمام الحافظ المنذري وقد جُعل في أعلى كل صفحة من الكتاب، ثم يليه «معالم السنن» للخطَّابي، وتبدأ دائماً بعبارة: قال الشيخ، ثم تهذيب الإمام ابن قيم الجوزية لسنن أبي داود مصدَّراً بقال الشيخ ابن القيم أو قال الإمام ابن القيم: (وقد جعلا في وسط كل

صفحة ذكرا فيها) ويفصل بين كل منهما خط أسود طويل.

ويقع هذا المجموع في ثمانية مجلدات، متوسطة الحجم، ألحق بكل منهما فهرس للأبواب في آخره. واشترك كل من الشيخ/ أحمد محمد شاكر والشيخ/ محمد حامد الفقى رحمهما الله في التعليق على المؤلفات الثلاثة السابقة حتى بلغا منتصف المجلد الثالث من كتاب الصيام، باب فيمن اختار الصيام ج٣/ ص٢٨٩، حيث لم يشترك الشيخ/ أحمد محمد شاكر في التعليق على الكتاب فأتم الأجزاء الخمسة المتبقية الشيخ/ محمد حامد الفقى. ولما فرغ من التعليق على الكتاب ذيل المجلد الثامن بنقل التنبيهات التي ذكرها الشيخ/ أبو الطيب محمد بن أمير الشهير بشمس الحق العظيم أبادي ـ رحمه الله ـ في خاتمة شرحه المسمى: «عَوْن المعبود، شرح سنن أبي داد».

ثم أعقبها بنقل المقدمة التي كتبها الإمام أبي طاهر السلفى عند إملائه لمعالم السنن على طلابه.

ثم ختم الكتاب بفهرسين أولهما: فهرس إجمالي عام لجميع الكتب المذكورة في الكتاب ثم فهرس تفصيلي على حسب أسماء الصحابة مرتب على حروف المعجم ذكر فيه مالهم من أحاديث في مختلف الأبواب.

ويلاحظ على هذه الطبعة عدم اعتمادها على نسخ خطية «لمعالم السنن» بل نقلوا طبعة الشيخ الطبّاخ المذكورة أولاً. وقد

أشاروا لذلك في مقدمة الطبع عقب الترجمة المختصرة للإمام الخطابي.

٥ ـ وطبع أكثره أيضاً بحاشية «سنن أبي دواد». وذلك بدار الحديث بحمص بسوريا في خمسة مجلدات من الحجم الكبير صدر الأول سنة ١٣٨٨هـ والخامس سنة ١٣٩٤هـ، وقام بالتعليق وتخريج أحاديث الأجزاء الثلاثة الشيخ عزت عبيد دعاس، وشاركه في الجزء الرابع والخامس: عادل السيد.

وقد جعلا «معالم السنن» في حاشية الكتاب مُصدراً بعبارة قال الشيخ:

ومختوماً بكلمة: (خطابي) واعتمد على طبعة الطباخ «لمعالم السنن» كما أشار إلى ذلك في خاتمة الكتاب، وأضاف في بعض المواضع شروحاً منقولة من «مختصر السنن» للمنذري أو من «تهذيب ابن القيم» للسنن، أو من تعليق محمد محي الدين عبد الحميد على سنن أبي دواد.

وتمتاز هذه الطبعة بحرص ناشريها على تصويب أحاديث سنن أبي داود وتحقيقها على نسخة مخطوطة محفوظة بالمكتبة الظاهرية بدمشق، ومقالتها على عدة طبعات لسنن أبي داود.

امتازت بتخريج أحاديثها وترقيمها وكثرة التعاليق المنقولة عن عدد من الشروح المذكورة أعلاه.

وختمت هذه الطبعة بفهرس عام لأحاديث سنن أبي داود، مرتَّباً على الأحرف الهجائية، قام بترتيبه/ عبد المهيمن الطحان.

٦ ـ أعـلام الحديـث

عنوان الكتاب، وتوثيـق نسبتـه:

بسبب عدم تصريح المؤلف بأنه سمى كتابه باسم معيَّن جعله عنواناً له، فإنه وقع اختلاف كثير في تحديد عنوان الكتاب، واختلفت أيضاً عناوين نُسخ الكتاب الخطية، وتكاد تنحصر تسميات العلماء لهذا الكتاب فيما يلي:

١ ـ أعلام الحديث: سماه بهذا كل من الإمام السمعاني[١]، وياقوت في قول له[٢]، والصَّفدي في قول له[٣]، وابن حجر[٤] رحمهم الله تعالى وجاءت هذه التسمية عنواناً لمخطوطتي الكتاب المحفوظتين في الموصل[٥] والهند[٦] واختار هذه التسمية

---

(١) الأنساب ٢ : ٢٢٦ و٥ : ١٥٩.

(٢) معجم البلدان ٤ : ٢٥٣.

(٣) الوافي بالوفيات ٧ : ٣١٧.

(٤) فتح الباري ١١ : ٥١٠.

(٥) ذكرها داود الجلبي الموصلي في كتاب «مخطوطات الموصل» ورقمها ٣٥ ـ ص ٩٤.

(٦) ذكرها محقق الكتاب وسماها مخطوطة مكتبة بنكبيور بالهند ورقمها ١٥٠، أعلام الحديث ١ : ٦٩ و٧٢ وانظر تاريخ التراث ١ : ٢٢٩.

الأمير الدكتور/ محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود عند تحقيقه للكتاب[١]، فجعلها عنواناً له[٢]، وبها طبع الكتاب بتحقيقه[٣].

٢ ـ أعلام السنن

وسماه بهذا كل من ياقوت في قول آخر غير السابق[٤] والقفطي[٥] وابن خلكّان[٦]، وحاجي خليفة[٧]، وزعم أنَّ الخطابي سماه «أعلام السنن» وإسماعيل باشا[٨].

٣ ـ أعلام البخاري

وسماه بهذا ابن قاضي شُهبة[٩] رحمه الله تعالى.

---

(١) في رسالة دكتوراة حصل عليها من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة سنة ١٤٠٥/١٤٠٦هـ.

(٢) للاستزادة عن سبب اختياره لهذا العنوان: انظر أعلام الحديث ١ : ٦٤ إلى ٦٨ و٤ : ١٢٥٨ و١٢٥٩.

(٣) طُبع الكتاب بإشراف مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى سنة ١٤٠٩هـ، وصدر منه حتى كتابة هذه الرسالة ثلاثة أجزاء. وسيأتي الكلام مفصلاً عن طبع الكتاب، والجهود القيمة التي بذلها المحقق مشكوراً في نهاية هذا الفصل.

(٤) معجم الأدباء ١٠ : ٢٦٩.

(٥) أنباه الرواة ١ : ١٢٥.

(٦) وفيات الأعيان ٢ : ٢١٤.

(٧) كشف الظنون ١ : ١٢٥ و٥٤٥ و٦٣٨.

(٨) هدية العارفين ٥ : ٦٨.

(٩) طبقات الشافعية ١ : ١٥٧.

٤ ـ أعلام الجامع الصحيح

سماه بهذا الإمام الرازي[١] وسماه بهذا الإمام أبو زرعة العراقي في تكملته لكتاب والده ابي الفضل العراقي المسمى «طرح التثريب»[٢]، والسخاوى[٣].

٥ ـ الأعلام على اختلاف في تتمة العنوان:

فسماه الإمام ابن الجوزي[٤]: الأعلام شرح فيها البخاري.

وسماه الإمام الفيروزآبادي[٥]: الأعلام تعليقاً على البخاري.

وسماه النووي[٦] ابن خير الإشبيلي[٧]: الأعلام في شرح كتاب البخاري.

وجاء على غلاف مخطوطة مكتبة أيا صوفيا بتركيا تسميته:[٨] «الأعلام شرح ما أشكل في البخاري على الأفهام»، أما عنوان

---

(١) مناقب الإمام الشافعي ص ٢٣٣.

(٢) طرح التثريب ٧ : ٢٦١.

(٣) فتح المغيث ١ : ٦٤.

(٤) المنتظم ٦ : ٣٩٧.

(٥) البُلغة ـ ص ٩٥.

(٦) بستان العارفين ـ ص ٢٧ وتهذيب الأسماء واللغات ١ : ٧.

(٧) فهرسة ابن خير ـ ص ٢٠١.

(٨) نقلاً مما ذكره محقق الحديث في وصفه لنسخ الكتاب الخطية ١ : ٦٤ إلى ٧١.

مخطوطة الخزانة الملكية بالرباط فهو:[1]

«الأعلام في شرح معاني جامع الصحيح».

أما مخطوطة مكتبة فيض الله بتركيا فهو[2]: الأعلام على البخاري.

٦ ـ شرح البخاري:

سماه بهذا شيخ الإسلام ابن تيمية[3]، وياقوت الحموي في قول له[4]، وكذا الصفدي[5]، والسيوطي[6]، وعبد القادر البغدادي[7].

قلت ولعل أقرب التسميات إلى مراد المؤلف وواقع الكتاب تسميتان:

١ ـ الأعلام شرح ما أشكل في البخاري على الأفهام.

فهذه مأخوذة من كلام المؤلف في مقدمة الكتاب في

---

(١) نقلاً مما ذكره محقق الحديث في وصفه لنسخ الكتاب الخطية ١ : ٦٤ إلى ٧١.

(٢) نقلاً مما ذكره محقق الحديث في وصفه لنسخ الكتاب الخطية ١ : ٦٤ إلى ٧١.

(٣) الإيمان ـ ص ٣٤٣. وانظر مجموع الفتاوى ٧ : ٣٥٩.

(٤) معجم الأدباء ٤ : ٢٥٣.

(٥) الوافي بالوفيات ٧ : ٣١٧.

(٦) بغية الوعاة ١ : ٥٤٧ وطبقات الحفاظ ـ ص ٤٤.

(٧) خزانة الأدب ٢ : ١٢٣.

قوله[1]: «أن أشرح كتاب الجامع الصحيح لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ـ رحمه الله ـ وأن أُفسر المُشكِل من أحاديثه، وأُبين الغامض من معانيها. . الخ

وقوله[2]: ورأيت في حق الدين وواجب النصيحة لجماعة المسلمين أن لا أمنع ميسور ما أسبغ له من تفسير المشكل من أحاديث هذا الكتاب، وفتق معانيها.

٢ ـ أعلام الجامع الصحيح

وهذه أيضاً مطابقة لمضمون شرحه حيث لم يقتصر على تفسير المشكل، ولكنه تناوله وتناول غيره من الأمور البارزة التي رآها تحتاج إلى بيان في الكتاب كشرح الغريب، وتناول بعض الأحكام والفوائد وما يتعلق بها، ولما كان هذا الكتاب ـ كما سيأتي ـ تالياً لتأليفه كتاب «معالم السنن» فإنَّ تقارب العنوانين أمر متوقع من المؤلف، لأنَّ «المعالم» و«الأعلام» يطلقان بمعنى الدلالة على الأمور البارزة، فسمى الأول «معالم السنن» أي سنن أبي داود.

أطلق من جاء بعده على كتابه الثاني «أعلام الجامع الصحيح».

ولكن لما كان الكتاب قد طُبع محققاً بعنوان «أعلام الحديث

---

(١) أعلام الحديث ١ : ١٠١.
(٢) أعلام الحديث ١ : ١٠٤.

في شرح صحيح البخاري»، فإني سأسير على ذلك في العزو إليه في هذا الكتاب، رغبة في توحيد مسمى الكتاب بحسب ما هو مطبوع ومعروف به في المكتبات، ولدى الأوساط العلمية.

أما عن التسميات الأخرى للكتاب فكلها ـ عدا ما اخترته ـ اجتهادات حسب نظر أصحابها في مضمون الكتاب، وفي بعض عبارات المؤلف في مقدمة الكتاب أو خاتمته كما قدمت.

فتسميته بأعلام الحديث، أو أعلام السنن ـ برغم كثرة القائلين بها إلا أنها لا تدل على محتوى الكتاب بخصوصية، وكذلك تسميته بأعلام البخاري أو الأعلام.

أما تسميته بشرح البخاري أو تفسير أحاديث الجامع الصحيح فهي تسمية البعض باسم الكل وفيها توسع كبير يخالف ما سار عليه المؤلف من عدم شرح كافة أحاديث صحيح البخاري، بل الاكتفاء بما رآه محتاجاً للشرح. هذا فيما يتعلق بتسمية الكتاب.

أما توثيق نسبته إليه فأمر لا يتطرق إليه الشك، وذلك لشهرة الكتاب، وكثرة من ذكره، ونقل عنه من المتقدمين والمتأخرين.

المراد بأعلام الحديث:

الأعلام بفتح الهمزة في اللغة جمع علم، له عدة إطلاقات أقربها إلى الدلالة على عنوان الكتاب هو قولهم:

العَلَمُ شيءٌ ينصب في الفلوات يهتدي به الضالة...، ويقال لما يُبنى في جواد الطريق من المنازل يستدل بها على الطريق

أعلام[1]، فيفهم من هذا أنَّ المراد بالأعلام: الأمور البارزة التي تحتاج لتفسير حسب رأي الإمام الخطابي ـ من كتاب الجامع الصحيح للإمام البخاري. سواءٌ ما يتعلق منها بالدّراية أو الرواية فكأنه بذلك قد يسَّر سلوك الطريق لمن أراد فهم الجامع الصحيح.

وهذا يفيد أنه لم يقصد شرح صحيح البخاري كاملاً، بل قصد شرح ما كان مُحتاجاً إلى بيان وتوضيح فقط.

مما يؤكد هذا أنَّ الإمام الخطَّابي قد ألف هذا الكتاب بعد «معالم السنن» فالمعالم والأعلام متقاربان في المعنى اللغوي.

ويدل على ذلك قول الإمام الخطابي[2]: المعلم واحد، معالم الأرض أي أعلامُها التي يُهتدى بها في الطريق.

موضـوع الكتاب:

بيان ما احتاج لشرح في نظر المؤلف من أحاديث الجامع الصحيح للإمام البخاري من حيث متونها، أو أسانيدها، أو هما معاً. وذلك بتفسير الكلمات الغريبة، وإصلاح غلطها.

والكلام على أحكام الحديث الفقهية أو آدابه الشرعية. مع تناول درجة الحديث والكلام على رجاله أو إسناده ـ إن احتاج لذلك ـ إضافة لتفسيره للمشكل من الأحاديث التي قد تعد من

---

(١) لسان العرب ٢ : ٨٧١ مادة علم.
(٢) أعلام الحديث ٣ : ٢٢٦٨.

متشابه العلم مما له تعلق بالأسماء والصفات أو اليوم الآخر ـ وغيرها ـ كما يتضح ذلك في محتويات هذا الشرح.

شرط المؤلف في شرحه:

شَرَطَ المؤلف في شرحه هو الحرص على الاختصار ويتمثَّل ذلك فيما يلي:

١ ـ أن ما سبق شرحه من الأحاديث في كتاب «معالم السنن» فإنه لا يعيده كاملاً لئلا يهجّن الكتاب بالتكرار. ولكن بإيجاز، وقد يُضيف إليه ما تيسر من فوائد لم تذكر هناك، أما مالم يشرحه في كتاب «معالم السنن» فإنه يُوفيه حقه من الشرح والبيان ويدل على هذا قوله[١]: «وقد تأَّملت المشكل من أحاديث هذا الكتاب، والمُسْتَفْسرَ منها فوجدت بعضها قد وقع ذكره في كتاب «معالم السنن» مع الشرح له، والإشباع في تفسيره، ورأيتُني لو طويتها فيما أُفسِّره من هذا الكتاب، ضربت عن ذكرها صفحاً اعتماداً مني على ما أودعته ذلك الكتاب من ذكرها.. كنتُ قد أخللت بحق هذا الكتاب، فقد يقع هذا عند من لا يقع عنده ذاك، وقد يرغب في أحدهما من لا يرغب في الآخر، ولو أعدت فيه ذكر جميع ما وقع في ذلك التصنيف كنتُ قد هَجّنتُ هذا الكتاب بالتكرار وعرّضتُ الناظر فيه للملال.

فرأيت الأصوب أن لا أُخليها من ذكر بعض ما تقدَّم شرحه

---

(١) أعلام الحديث ١ : ١٠٤ و١٠٥.

وبيانه هناك، متوخياً الإيجاز فيه، مع إضافتي إليه ما عسى أن يتيسَّر في بعض تلك الأحاديث من تجديد فائدة، وتوكيد معنى، زيادة على ما في ذلك الكتاب؛ ليكون عوضاً عن الفائت وجبْراً للناقص منه، ثم إني أشرح بمشيئة الله الكلام في سائر الأحاديث التي لم يقع ذكرها في «معالم السنن»، وأوفيها حقها من الشرح والبيان».

٢ ـ اشترط في شرحه للألفاظ الغريبة الاقتصار على القدر الذي تقع به الكفاية في معارف أهل الحديث.. لئلا يطول الكتاب وأحال على الكتب المؤلفة في غريب الحديث، ومنها كتاب «غريب الحديث» لأبي القاسم بن سلام ـ ت ٢٢٤هـ وغيره[١].

٣ ـ ومما يدل على حرصه على الإيجاز وعدم الإطالة في الشرح ذكره لذلك في عدة مواضع عند شرحه لبعض الأحاديث ومنها قوله: «فالقدر الذي ذكرناه هاهنا كاف على شرط ما أنشىء له هذا الكتاب ـ إن شاء الله»[٢].

وقوله: «والكلام في هذا يطول، والذي ذكرناه منه يكفي المفهم المُوفق»[٣].

---

(١) انظر ١ : ١٠٥.
(٢) انظر ١ : ١٤٥.
(٣) ١ : ٧٢١، وانظر: ٢: ١٢٧٨ و١٥٠٣.

وقوله في آخر الكتاب: «هذا منتهى القول فيما تيسر من تفسير أحاديث الجامع الصحيح، وقد اختصرنا الكلام في عامتها إلا في مواضع لم نجد من إشباع القول فيها بُدًا لإشكالها وغُموض معانيها. . الخ[1].

وكما أشرت من قبل فإنَّ الإمام الخطَّابي ـ كما تقدم ـ لم يشرح كل أحاديث الجامع الصحيح، بل اقتصر على ما رآه محتاجاً لشرح وبيان.

فإذا وجد القارىء أنَّ الإمامَ الخطَّابي لم يذكر كتاباً من كتب الصحيح، أو باباً من أبوابه أو بعض أحاديث من أي باب فليعلم أنَّ الخطابي يختار ما يراه مُحتاجاً لشرح وبيان فقط.

عدد الأحـاديث المشروحـة في أعـلام الحديث:

ليعلم القارىء الكريم أنَّ الإمام الخطابي لم يشرح من كتاب «الجامع الصحيح» للبخاري سوى ربعه تقريباً. فلقد بلغ عدد الأحاديث التي شرحها ـ حسب ترقيم المحقق ثمانية وثلاثين ومائتين وألف حديث (١٢٣٨).

هذا ومن المعلوم أنَّ أحاديث صحيح البخاري تربو على أربعة آلاف حديث ـ بحذف المكرر ـ على خلاف في تحديد العدد

---

(١) ٤ : ٢٣٥٨.

بَسَطه الإمام الحافظ ابن حجر في «هدي الساري» مقدمة فتح الباري [1].

أوليـة الخطابي في شرح صحيح البخاري:

يعتبر شرح الخطابي لصحيح البخاري هو أول شروحه التي وصلت إلينا، إذ لم تذكر المراجع[2] التي اهتمت بصحيح البخاري والعناية به ـ شرحاً أو اختصاراً أو تعقيباً ـ ونحوها ـ شرحاً وَصَل إلينا قبل شرح الخطابي له، وتلك مزِيَّةٌ وَمَنْقَبة للإمام الخطَّابي حيث يعتبر أول من حَمَلَ راية شرح أصح كتب السنة ألا وهو صحيح البخاري ـ رحمه الله ـ وما ذكره في مقدمة شرحه يدل على أنه أول شارح لصحيح البخاري، إذ ذكر حاجة الناس لشرحه وما انتشر بينهم من الجهل والبدع، فرأى من واجبه القيام بذلك لما فيه من واجب النصيحة للمسلمين فلو أن أحداً سبقه لشرح صحيح البخاري لأحال عليه، أو أشار إليه أو لذكر كتابه وأَبَان عما فيه من قصور ونحوه، وأنه سيقوم بسدد خلله، أو غير ذلك، لكن لما لم يذكر ذلك ترجح والله أعلم

---

(١) هدى الساري ـ ص ٤٦٥.

(٢) انظر مثلاً مقدمة إرشاد الساري ١ : ٤١.
وكشف الظنون ١ : ٥٤٥ وتاريخ التراث العربي ١ : ٢٢٩ و٤٢٨، وكتاب الإمام البخاري وصحيحه ـ ص ٢٣٠ وما بعدها، ومقدمة «لامع الداري» ص ٤١٠.

أسبقيته إلى شرح صحيح البخاري، وجزم د/ سزكين[1] بأوليّة الخطابي في شرح البخاري.

قلت: عبرت بقولي: إنَّ شرح الخطابي هو أول شرح وصل إلينا، احترازا من الشروح التي قد تكون سابقة على زمن الخطابي، ولكن لم نعلم عنها شيئاً، ولم يبلغنا شيء منها، ولا ذِكْرَ لها. فقلت ذلك احتياطاً[2].

---

(١) تاريخ التراث العربي ١ : ٢٢٦.

(٢) أنبه هنا على ما ذكره صاحب كتاب «إتحاف القاري» بمعرفة جهود وأعمال العلماء على صحيح البخاري».
من أن ثلاثة شروح قد سبقت شرح الخطابي وهي:
١ ـ المُصنف على الصحيحين للإمام أبي عبد الله: محمد بن يعقوب بن يوسف بن الأخرم النيسابوري ـ ت٣٤٤هـ.
٢ ـ شرح الجامع الصحيح للبخاري للإمام أبي علي الحسين بن محمد الماسرجسي النيسابوري ـ ت٣٦٥هـ.
٣ ـ شرح الجامع الصحيح للإمام أبي أحمد محمد بن محمد النيسابوري الكَرابيسي المعروف بالحاكم الكبير ـ ت٣٥٨هـ.
قلت: قمت بمراجعة تراجم هؤلاء الأئمة في مظانها، وتتبعت المؤلفات التي ذكرت تلك الشروح فترجح لي أن صاحب «إتحاف القاري» قد وَهِمَ في تسميتها شروحاً ـ بل هي مستخرجات على صحيح البخاري كما نصَّ على ذلك بعض من ترجموا لهؤلاء الأئمة، ومن ذكر والمتسخرجات على الصحيحين، فعدوا تلك المؤلفات منها، ولم أجد من سماها شروحاً سوى صاحب كتاب «هدية العارفين» فقد سمى كتاب الحاكم الكبير «شرح الجامع الصحيح =

ترتيب الكتاب:

لما كان الكتاب المتصدى لشرحه هو «صحيح البخاري» فإنَّ الخطابي قد سَلَك نفس ترتيب الصحيح في الكتب والأبواب والأحاديث، باعتباره الكتاب المشروح، ولم يخرج عن ذلك إلا في أحيان قليلة ـ كما سيأتي ذكره.

ومن المعلوم أن صحيح البخاري كتاب جامع لعدد من أبواب العلم وليس مقتصراً على الأبواب الفقهية فقط. وقد أشار الخطابي لهذا في مقدمة الكتاب فقال:

«وغرض صاحب هذا الكتاب ـ يعني صحيح البخاري ـ إنما هو ذكر ما صحَّ عن رسول الله ﷺ من حديث في جليل من العلم أو دقيق ولذلك أدخل فيه كل حديث صحَّ عنه في تفسير القرآن، وذكر التوحيد والصفات، ودلائل النبوة، ومبدأ الوحي وشأن البعث، وأيام رسول ﷺ وحروبه ومغازيه وأخبار القيامة، والحشر والحساب والشفاعة، وصفة الجنة والنار، وما ورد منها في ذكر القرون الماضية، وما جاء من الأخبار في المواعظ والزهد، والرقاق

= للبخاري»، والراجح أنه مستخرج إذ ذكر في ترجمة الحاكم الكبير أنه صنَّف على الصحيحين وعلى جامع الترمذي وهذا يفيد أن هذه مستخرجات وليست شروحاً.

ومن الطريف في الأمر أن صاحب «إتحاف القاري» قد عدّها من المُستخرجات على البخاري في مقدمة كتابه، ثم عدها من الشروح في أثناء الكتاب؟!!!

إلى ما أودعه بعد من الأحاديث في الفقه والأحكام والسنن، والآداب، ومحاسن الأخلاق، وسائر ما يدخل في معناها من أمور الدين، فأصبح هذا الكتاب كنزاً للدين، وركازاً للعلوم[1] الخ. . .

ومما يدلُّ على أغلبية اقتفاء الخطابي لترتيب البخاري وإشارته لعدم مخالفته قوله في آخر شرحه «. . ووجدت صاحب الكتاب لم يرتب ما وضع فيه من الأحاديث ترتيب الكتب المصنفة في أبواب الفقه والعلم. فيضمّ كل نوع منه إلى لفقه[2] ويضعه في بابه، ولا يخلطه بغيره كما فعله أبو داود في كتابه ـ فوقع كلا منا في تفسيرها على حسب ذلك اتباعا لمذهبه وحفظاً لرسمه[3]. أهـ

وقوله أيضاً عد شرحه لحديث مالك بن صعصعة قال: «قال النبي ﷺ بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان فأتيت بطست من ذهب. وذكر حديث المعراج[4].

---

(١) ١ : ١٠٢.

(٢) لفقه: مشتقة من لفق الثوب لفقا أي: ضم إحدى الشقتين إلى الأخرى وخالطهما، فلعل المؤلف شبه ضم أنواع الحديث مع بعضها بضم شقتي الثوب ـ المعجم الوسيط: لفق. .

(٣) ٤ : ٢٣٥٨.

(٤) ٢ : ١٤٧٩، والحديث أخرجه البخاري في عدة مواضع منها في كتاب بدء الخلق ـ باب ما ذكر الملائكة، برقم ٣٢٠٧٦. وذكر طرفاً منه في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله عز وجل ﴿هل أتاك حديث موسى. .﴾ الآية برقم (٣٣٩٣) ومسلم في الإيمان باب الإسراء برسول

«وقد وقع أطراف من هذا الحديث في مواضع متفرقة من هذا الكتاب على حسب ترتيب مصنفه، وذكرت معانيها في مواضعها. .الخ

ومع اقتفاء الإمام الخطابي فيما شرحه لترتيب الإمام البخاري في صحيحه، وتكرر إشارته إلى مراعاة ذلك إلا أنه أحياناً يقدم بعض الأحاديث على غيرها، أو يجعلها في غير بابها لما رآه من مناسبة في جمع تلك الأحاديث في موضع واحد، من أمثلة ذلك أنه في كتاب بدء الوحي، بعد شرحه لحديث الحارث بن هشام ـ رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس[١]. . الحديث.

قال الخطابي[٢]: وقد روى أبو عبد الله فيما يُشبه هذا حديثاً في كتاب المناسك كتبناه هاهنا إذ كان مُشاكلاً لهذا الحديث.

---

(١) الله ﷺ ـ رقم ١٦٤. متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي. باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ رقم ٢.
وفي بدء الخلق باب ذكر الملائكة رقم ٣٢١٥.
ومسلم في الفضائل. باب عرق النبي ﷺ في البرد حين يأتيه الوحي رقم ٢٣٣٣.

(٢) ١: ١٢٢.

ثم ذكر الحديث[١]

قال الخطابي[٢]: هذا شبيه في المعنى لما تقدم ذكره في الحديث الأول من صعوبة الأمر عليه في تلقى الوحي عند وروده وضعف القوة البشرية عن احتماله.. الخ

وذكر أمثلة أخرى.. غير هذا أكتفي بالإحالة على مواضعها[٣] رغبة في عدم الإطالة.

أثـره في غيره:

لما كان كتاب «أعلام الحديث» هو أول شرح لصحيح البخاري فقد اهتم الذين شرحوا صحيح البخاري من بعده به، واستفادوا منه. ونقلوا عنه، أو تعقبوه، مع ثنائهم عليه في مؤلفاتهم المتعلقة بصحيح البخاري.

فممن أثنى عليه الإمام الكرماني المتوفى سنة ٧٨٦هـ فقال:[٤] «كتاب العلامة أبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي شَكَرَ الله مساعيه، فيه نكتٌ متفرقات، ولطائف على

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الحج. باب غسل الخلوق ثلاث مرات من الثياب. رقم ١٥٣٦.
ومسلم في كتاب الحج. باب ما يباح للمحرم بحج أو عمرة. رقم ١١٨.

(٢) ١ : ١٢٤.

(٣) انظر مثلاً ١ : ٥٢٦ و٢ : ١٠٥٧.

(٤) الكواكب الدراري ١ : ٣.

سبيل الطفرات». وقال الإمام القسطلاني المتوفى سنة ٩٢٣هـ[١]:

«.. وقد اعتنى الأئمة بشرح هذا الجامع ـ أي الجامع الصحيح للبُخاري ـ فشرحه الإمام أبو سليمان أحمد[٢] بن محمد بن إبراهيم الخطابي بشرح لطيف فيه نكتٌ لطيفة، ولطائفُ شريفة».

ونقل هذا الثناء بنصه العلّامة حاجي خليفة،[٣] والعلامة محمد زكريا الكاندهلوي[٤].

أما من اعتنى به، فقال حاجي خليفة:[٥]

واعتنى الإمام محمد التميمي ـ التيمي ـ[٦] بشرح مالمْ يذكره الخطابي مع التنبيه على أوهامه.

---

(١) إرشاد الساري ١ : ٤١.

(٢) انظر المبحث المتعلق باسمه من هذا الكتاب، ورجحت أنه حَمْد.

(٣) كشف الظنون ١ : ٥٤٥.

(٤) مقدمة لامع الدراري على جامع البخاري ـ ص ٤١٠.

(٥) كشف الظنون ١ : ٥٤٥.

(٦) هكذا في المرجع السابق بالنسبتين معاً، ويعدُّ هذا من «المتفق والمفترق» فلقد وقفت على أسماء علماء كلهم محمد التميمي، وواحد اسمه محمد التيمي، ولكل منهم شرح على صحيح البخاري. قلت: والظاهر ـ والله أعلم ـ أنه محمد بن يحيى ابن الحذاء المتوفى سنة ٤١٦هـ من زمن الخطابي.

وكذا أبو جعفر أحمد بن سعيد الداوودي[١]، وهو ممن ينقل عنه ابن التين[٢].

ونقل هذا القول بنصه القَسْطَلاّني[٣]، والمُباركفوري[٤]، والكاندهلوي[٥] وغيرهم.

أما نقول العلماء عنه فكثيرة في مؤلفاتهم المختلفة، فمن نقل عنه من الشارحين لصحيح البخاري.

١ ـ الإمام شمس الدين محمد بن يوسف الكِرماني ـ ت٧٩٦هـ في كتابه «الكواكب الدراري» نقل من شرح الخطابي كثيراً في عدة مواضع[٦].

---

(١) قوله: أحمد بن سعيد وَهْم، والصحيح أنه «أبو جعفر أحمد بن نصر الداوُودي الأسدي» ـ ت٤٠٢هـ له «النصيحة في شرح البخاري» ذكره صاحب الديباج المُذهب ١ : ١٦٥، وإتحاف القاري ـ ص ٩٨، ومقدمة لامع الدراري ـ ص ٤١٠.

(٢) هو أبو محمد عبد الواحد بن التِّين الصفاقُسي المغربي المالكي ـ ت٦١١هـ شرحه هو «المخبر الفصيح في شرح البخاري الصحيح» انظر: شجرة النور الزكية ١ : ١٦٨ وإتحاف القاري ـ ص ١٩١ والحطة ـ ص ٣٢٤.

(٣) إرشاد الساري ١ : ٤١.

(٤) مقدمة تحفة الأحوذي ١ : ٢٥٤.

(٥) مقدمة لامع الدراري ـ ص ٤١٠.

(٦) انظر مثلاً ج١: ٢٩ و١١٠ و١١٧ و١٢١ و١٤٩ و١٦٢ و.. وغيرها.

٢ ـ الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني ـ ٨٥٢هـ في كتابه الحافل: «فتح الباري شرح صحيح البخاري» نقل من شرح الخطابي كثيراً بل أكاد أجزم أنَّ الحافظ ابن حجر قد نقل أكثر كلام الخطابي لما شرحه من أحاديث الجامع الصحيح وذلك لأنه لا تكاد تمر بباب من أبواب «فتح الباري» إلا تجد للخطابي فيه ذكراً.. سواء نقل عنه، أم تعقب أو نحو ذلك.

أما ذكر مواضع نقوله في فتح الباري فكثيرة جداً يطول سردها.. لذا فقد قمت بتتبع مواضع نقوله في المجلد الأول فقط، نظراً لطول الكتاب مع ذكر بعض المواضع في المجلدات الأخرى[1]. هذا ولقد بلغ مجموع ما ورد فيه ذكر اسم الخطابي في المجلد الأول فقط مائة وسبعة مواضع ومن النقول عنه في المؤلفات الحديثية الأخرى مايلي:

٣ ـ ممن أكثر النقل عن «أعلام الحديث» الإمام أبو زكريا

---

(١) انظر مثلاً ج١: ١٠ و١١ و١٥ و٢٠ و٢٤ و٢٦ و٣٩ و٤٠ و٥٢ و٥٩ و٦٥ و٧٣ و٨٨ و٩٠ و...
ج٢ : ٣٢٧ و٣٤٣ و٥١٦ و١٨٥.
ج٣ : ١٣ و١٥٨ و٢٢١ و٣٩٣.
ج٦ : ٤٠٩ و٥٣٩ وج٧ : ٣٤، ٨ : ٣١ و٣٢ و٥٧٥.
ج٩ : ٢٦٠ و٥٧٤ و٦٣٩ وج١٠ : ١٦٣ و١٦٨ وج١١ : ٤٢ و٤٧٥ و٥١٠. ١٢ : ٤٠٥.
١٣ : ٣٢٧ و٤٠١ و٤٨٣.

يحيى بن شرف النووي ـ ت٦٧٦هـ في بعض كتبه ومنها: «الأذكار المنتخب من كلام سيد الأبرار».

فلقد نقل عنه في أول الكتاب كلامه بنصه عن أهمية حديث «إنما الأعمال بالنيات» واستحباب أهل العلم تقديمه أمام كل شيء من أمور الدين[١].

وجعل «أعلام الحديث» من موارده في كتابه «تهذيب الأسماء واللغات»[٢].

وقال في كتابه: «بُستان العارفين»[٣] وروينا عن الإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، فيما قرأته في أول كتابه «الأعلام في شرح صحيح البخاري».

ونقل منه في عدة مواضع من كتابه «الترخيص بالقيام لذوي الفضل والمزية من أهل الإسلام»[٤].

٤ ـ وممن استفاد من «أعلام الحديث» أيضاً الإمام زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن على شهاب الدين المعروف بابن رجب الحنبلي ـ ت ٧٩٥هـ.

في كتابه القيم: «جامع العلوم والحكم».

---

(١) الأذكار ـ فصل في الأمر بالاخلاص وحسن النيات ـ ص٦.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات ١ : ٧.

(٣) بستان العارفين ـ ص ٢٧.

(٤) الترخيص بالقيام ـ ص ٣٨ و٣٩ و٥٢ و٧٠ و٧١.

فلقد نقل منه في عدة مواضع عند شرحه لبعض الأحاديث الثابتة في صحيح البخاري مع تصريحه باسم الخطابي[1] ـ رحمه الله ـ. وذلك في شرحه للحديث الأول والثاني والثالث والعشرين.

٥ ـ ونقل منه الإمام زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي ـ ت٨٠٦ ـ رحمه الله. وابنه أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي ـ ت٨٢٦هـ في كتابهما «طرح التثريب في شرح التقريب «في عدة مواضع[2] مع التصريح باسمه فقال[3]: وقال الخطابي في: أعلام الجامع الصحيح.

٦ ـ ونقل الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد القُرطبي ت ٦٧١هـ ـ رحمه الله ـ في كتابه: «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة»[4].

● ● ●

---

(١) جامع العلوم والحكم ـ ص٥ و٣٥ و١٨٦.
(٢) طرح التثريب ٢: ٣ و١٩ و٣٤ و١٧٣ و١٩٦ و٢٢٥.
(٣) المرجع السابق ٧: ٢٦١.
(٤) التذكرة ص ٢٠ و١٩٧ و١٩٩ و٣٧٩ و٦١٤ و٦٢٨ و٦٤١ و٦٧٥ و٧٨٨ و٩٩١.



تقويـم الكتـــاب

١ ـ المميـزات:

الحديث عن مميزات كتاب «أعلام الحديث» أمر يطول ذكره لكثرة ما امتاز به هذا الشرح العلمي الجليل ـ ولكني أقتصر على أهمها فمنها:

١ ـ يُعتبر هذا الكتاب أول شرح لكتاب الجامع الصحيح للإمام البخاري، وفي هذا منقبةٌ ومزيّةٌ له حيث أنه لما تتابع الشارحون لصحيح البخاري بعده توافروا على شرح الخطابي، فاستفادوا منه كثيراً، ونقلوا عنه، كما سبق في أثره في غيره من المؤلفات.

٢ ـ يشكل «أعلام الحديث» مع «معالم السنن» مجموعاً هاماً في شرح عددٍ كبير من احاديث السنة النبوية بتفسير غريبها، وذكر ما استنبط من أحكام وآداب ونحو ذلك مما يتعلق بعاصر شرحه.

٣ ـ اشتمالُه على عدد من آراء وترجيحات المؤلف التي تعتبر تقويما وغربلة لآراء من سبقوه.

٤ ـ أنه ليس مقصوراً على شرح الأحاديث المتعلقة بأبواب الفقه والآداب ـ كما في «معالم السنن» ـ بل اشتمل على شرح

أحاديث من مختلف أبواب العلم تبعاً لما ذكره البخاري من أبواب متعددة في تفسير القرآن، وذكر التوحيد والصفات، والمغازي، والمناقب، والفتن، وذكر التوحيد والصفات، والمغازي، والمناقب، والفتن، والطب، ونحوها.

فتبيَّن منها معرفة آرائه في تلك الأبواب، وأقواله في شرحها.

٥ ـ تميز الكتاب بوضوح منهج الإمام الخطابي فيه، حيث سار على ما التزم به في مقدمة الكتاب.

٦ ـ وتميَّز بإيجاز عبارة الخطابي فيه، فجاء مختصراً وافياً بالمطلوب دون إطالة.

كما وصفه العلامة القسطلاني[1]: بأنه شرح لطيف، فيه نكت لطيفة، ولطائف شريفة.

٧ ـ أنه يعتبر مرجعاً هاماً في معرفة أسماء شيوخ الإمام الخطابي حيث صرح فيه بأسماء كثيرة منهم ممن لم نقف على رواية للخطابي عنه إلا في هذا الكتاب.

٨ ـ عَنِيَ فيه كثيراً ـ كعادته ـ بإصلاح غلط المحدثين ـ.

٩ ـ حوى كمية وافرة من الأبيات الشعرية، والرجز وأمثال العرب وأقوال أئمة اللغة وفصحائها، ومن ابتغى التوسع في هذا

---

(١) ارشاد السارى ١ : ٤١.

فليراجع فهرسة المحقق لها في نهاية تحقيقه للكتاب حيث أفرد كلا منها بفهرس خاص.

١٠ ـ تضمَّن شرحه عدداً من الفوائد العلمية التي تدل على سعة اطلاعه ومعرفته وإلمامه بما في عصره عُموماً ومنها:

أ ـ فيما يتعلق باللغات ذكر بعض الألفاظ الفارسية(١) والرومية(٢) واليمانية(٣).

ب ـ وفيما يتعلق بالطب فلقد ذكر كثيراً من الفوائد الطبية عند شرحه لأحاديث من كتاب الطب.(٤). ولا غرو في ذلك، فالإمام الخطابي له مؤلف مستقل في الطب كما ذكر ذلك في «أعلام الحديث»(٥).

جـ ـ وحرص على الرد على المتكلمين بأسلوب كلامي يدفع شبههم وبلسانهم الذي يحاجون به(٦).

د ـ وفيما يتعلق بالأنساب قال: «والأنساب على وجوه: نسب ولادي، ونسب بلادي، ونسب من جهة الدين اعتقادي، ونسب صناعي، فيقال في نسب الولادي: سُلمي وأسدي، وفي

---

(١) انظر: ص ٦٣٩ وص ٥٤٥.
(٢) انظر: ص ١٣٦٣.
(٣) انظر: ص ٩٩٤ و١٧٦٨.
(٤) انظر مثلاً ـ ص ٨٠١ و٢١٠٧ و٢١١٠ و٢١٢٢ و٢١٢٤ و١٨٠٠.
(٥) ٢١٠٧..
(٦) انظر مثلاً ـ ص ٧٢٠ و١٥١٢ إلى ١٥١٤.

البلادي كوفي ومصري وإلى الأديان والمذاهب: سُنِّي وقَدَري، وفي ملل الكفر يهودي، ونصراني، وإلى الصناعات والمهن صيدلاني وصيرفي[1].

طبعُ الكتاب:

١ ـ قام الدكتور/ يوسف الكَتّاني أستاذ الحديث بجامعة القرويين بمدينة فاس بالمغرب بطبع الكتاب ونشره، دون تحقيق، وسماه: «أعلام السُّنن».

واكتفى بطبعه ونشره على نُسخةٍ وحيدة عَثَرَ عليها بالخزانة العامة بالمغرب، ضم كتب مكتبة تامكروت، واعتبر نفسه أول من ينشر الكتاب على الناس، ويُقدِّمه للباحثين غير مسبوق إليه.

وأعلن التزامه بتحقيق الكتاب مستقبلاً، ولم أقف على تلك الطبعة محققة أو بدون تحقيق، وإنما وقفت على عرض له موجز شره في مجلة معهد المخططات بالكويت[2] سنة ١٤٠٢هـ ـ ١٤٠٣هـ.

٢ ـ ثم طبع الكتاب بعنوان «أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري» وذلك في رسالة علمية، لنيل درجة الدكتوراة من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ـ

---

(١) ص١٧٥٩.
(٢) مجلة معهد المخطوطات ـ المجلد رقم ٣٦ الجزء الثاني من شهر رمضان ١٤٠٢هـ إلى صفر ١٤٠٣هـ، من ص٧٢٥ إلى ص٧٣٤.

بتحقيق الأمير/ د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود سنة ١٤٠٥هـ ١٤٠٦هـ، وكان طبعه بالآلة الكاتبة فجاء مُحققاً في أربعة أجزاء من الحجم الكبير، وبلغ عدد أوراقه ١٦٠٤ ورقة، وقام مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة بنشر الكتاب مُحققاً ضمن سلسلة «من التراث الإسلامي»، وجاءت هذه الطبعة في أربعة أجزاء من الحجم الكبير حيث يقع كل جزء فيما يربو على ٧٣٠ صفحة، وقد صدرت الأجزاء الثلاثة من الكتاب سنة ١٤٠٩هـ. ثم تبعها الجزء الرابع مذيلاً بالفهارس.

ولقد قام المحقق بتحقيق الكتاب كاملاً، وبذل جهداً طيباً في العناية بالكتاب، وإخراجه وخدمته خدمة جليلة يَسَّرت للباحثين وطلاب العلم الانتفاع من الكتاب.(١) بجانب تلك المزايا العديدة

---

(١) تبرز أهم الجوانب التي اهتم بها المحقق، واعتنى بخدمتها مايلي:
١ ـ تحقيق الكتاب على خمس نسخ خطية للكتاب، بذل المحقق جهده في الحصول عليها من مختلف مكتبات العالم، وعمل على تصويب النص، وذكر الفروق بين النسخ.
٢ ـ الدراسة الوافية التي ذكرها في مقدمة التحقيق عن حياة الإمام الخطابي، وعصره ومؤلفاته ونحوها، وتبعها بذكر منهجه في تحقيق الكتاب.
٣ ـ حرصه على تخريج الأحاديث الواردة في أثناء الشرح، وعزوها لمصادرها الأصلية.
٤ ـ التعليق على بعض المواضع التي تحتاج لمزيد من البيان =

العديدة التي يُشكر المحقق عليها، أود أن أذكر بعض الملاحظات اليسيرة[١] التي ظَهَرت لي بعد قراءتي للكتاب.

= والإيضاح.

٥ ـ قام بترقيم الكتب والأبواب والأحاديث بحسب ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي لصحيح البخاري المطبوع ضمن «فتح الباري»، ثم طبع مُستقلاً. كما قام بترقيم الأحاديث ترقيماً ذكرها عند الإمام الخطابي في شرحه.

٦ ـ قام بالترجمة بإيجاز للأعلام الذين يَرِدُ ذكرهم في سند البخاري أو أثناء الشرح.

٧ ـ فَسَّر عدداً من المفردات الغريبة التي لم يُفسِّرها الخطابي، واستعان في ذلك بعدد من كتب غريب الحديث ومعاجم اللغة العربية.

٨ ـ تخريج الأبيات الشعرية، وأمثال العرب، وعزوها لقائلها مع ذكر بعض الكتب الأدبية التي أَوْرَدَتْهَا.

٩ ـ عزو الأقوال الفقهية التي يذكرها الخطابي إلى مظانها من كتب الفقه بحسب كل مذهب.

١٠ ـ أجاد المحقق في تذييله لتحقيقه بفهارس عديدة خدمت الكتاب، ويسَّرت الانتفاع به، وبلغت تلك الفهارس سبعة عشر فهرساً.

(١) ١ ـ في بعض التراجم اليسيرة، ترجم لغير من ذُكِرَ في الشرح، ومن ذلك أنه عند تعليقه على الحديث في غزوة مُؤتة، وفيه قول الرسول ﷺ «أخذ الراية زيد فأصيب. . .» الحديث.

قال في ترجمة زيد: إنه زيد بن ثابت بن الضحَّاك.

والصحيح أنه زيد بن حارثة، قائد جيش المسلمين في غزوة مؤتة، ولما استشهد بها خَلَفه جعفر بن أبي طالب، ولما استشهد خلفه

= عبد الله بن رواحة، ولما استشهد خلفه خالد بن الوليد وكانت مؤتة سنة ثمان للهجرة.

وكذلك عند تعليقه على قول الخطابي حدثنيه: أبو بكر الرازي (وهذا يفيد أنه شيخ للخطابي).

قال في ترجمته: الحافظ الإمام محدث نيسابور أحمد بن علي ابن الحسن أبو بكر الرازي، صاحب التصانيف، مات سنة ٣١٥هـ.

فكيف يحدث الخطابي عن شيخ توفي قبل ولادته حيث ولد الخطابي سنة ٣١٩هـ؟!!

٢ ـ عدم تطابق الإحالات في المتن على الحواشي.. بوقوع بعض الأخطاء في الترقيم في ص١٦ و١٩٥ و٥٣٩ و١٤٤٢، أو ذكر بعض الحواشي دون ترقيم كما في ص ١١ و٢٥١ و١٨٤٣ و٢١٩١ أو ترك بعض الحواشي غُفلاً دون تعليق فيذكر الرقم فقط. كما في ص ٦٤.

٣ ـ وقوع سقط في ترقيم لوحات المخطوط فبعد أن ذكر اللوحة رقم ٧٥/ب بعدها ٨٠/ب ثم ٨٣/ب.

٤ ـ عند تعداده للفهارس الفنية اعتبرها ستة عشر فهرساً، والواقع أنها سبعة عشر فهرساً إذ فاته فهرس الكتب الواردة في المتن وقد ذكره في نهاية الرسالة ـ ص ١٦٠٣. قبل فهرس الفهارس.

ـ وفي فهرس الكتب الواردة في المتن فاته ذكر عدد من الكتب الواردة في المتن ومنها:

ـ دلائل النبوة ـ ص ١٣٨٤، ومسألة في الطب ـ ص ٢١٠٧، ومسألة في الفطرة ـ ص ٧١٧، ومسألة في ابن الصياد ـ ص ٧١١، ومسألة في جمع القرآن ـ ص ١٨٥٢، وغريب الحديث ـ ص ١٢٥٦. وهذه كلها من تأليف الإمام الخطابي.

= ـ وكذلك فاته ذكر «غريب الحديث» لأبي عبيد ـ ص ١٩٨٨ و٢٢٥٤.
ـ وكذلك كتاب «صحيح ابن خزيمة» ويسميه الخطابي: «المسند الصحيح» ص ٧٣٨ و٧٣٩ و٧٧٦ وغيرها.
ـ وموطأ الإمام مالك ـ ص١٠٧.
ـ وكتاب المُزَارعة لابن خزيمة ـ ص ١١٢٧.
ـ وكتاب إختلاف الفقهاء لأبي يعلى الساجي ـ ص ٣٨٧.
ـ وغيرها من الكتب التي قد سبق ذكرها في موارد الكتاب.
وأخيراً أقول: إن هذه الملاحظات اليسيرة ما هي إلا اجتهاد من كاتبها قصدت منها خدمة الكتاب، وإلا فهي لا تقلل من شأن الجهد الضخم المبذول في تحقيق الكتاب، شكر الله للمحقق جهوده المثمرة، وأكثر الله من أمثاله لخدمة سنة المصطفى ﷺ.

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الفصل الثالث: مؤلفات الإمام الخطابي

● ● ●